سلسلة شروحات وتعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (٩)

شرح

وَظائِفِ رَمَضَان

مِن لَطَائِف المعَارِفِ لابن رجب

بزيادات للشَّيخِ عَبدالرَّحمَن بن محمَّد بن قاسم رحمهما اللَّه

شرح

سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

إعداد

مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لِلَّه وصلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ على رسول اللَّهِ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه. أمَّا بعد:

فيطيب «لمؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية» أن تضع بين يدي القارئ الكريم شرح سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لكتاب «وظائف رمضان» للشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ ضمن سلسلة إصداراتها لشروح وتعليقات سماحة الشيخ بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ على كتب أهل العلم.

وكان تعليق شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقًا مفيدًا، حيث بيَّن فيه ما ينبغي للمسلم أن يلتزم به في رمضان خاصَّةً صونًا لصومه من الجرح، وحرصًا على سلامته من النقص، ورجاء لقبوله عند اللَّه، وما يجب أن يكون عليه المسلم أثناء أدائه لهذه العبادة العظيمة استشعارًا لعظمتها ومكانتها واحتسابًا لأجرها عند اللَّهِ سبحانه، فالصوم له، كما قال جلَّ في علاه.

كما بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ كيف يجب أن يكون حال المؤمن بعد أداء هذه الفريضة، فلا يعود بعد رمضان إلى السيئات والمعاصي فيخسر دنياه وآخرته، نسأل اللَّه السلامة والعافية من ذلك.

نسأل اللَّه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن

يجعله من العلم النافع الذي يجري أجره على سماحة شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأن يضاعف له الأجر والمثوبة.

كما نسأل اللَّه تعالى أن يكتب الأجر والمثوبة لكل من تسبب في إخراج هذه المادة وعلى رأسهم سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبدالعزيز بن عبداللَّه بن محمد آل الشيخ حفظه اللَّه، وفريق العمل بالرئاسة على ما بذلوه من جهد في مراجعة هذه المادة ومطابقتها بأصولها الصوتية.

كما نسأله أن يأجر كل من قرأها ونشرها، إنه سميع مجيب.

مؤسسة الشيخ
عبد العزيز بن باز الخيرية
للتواصل مع المؤسسة على العنوان التالي:
الإيميل: info@binbazfoundation.sa
هاتف: ٠١١٤٣٥٤٤٤٤

ترجمة موجزة
لصاحب الأصل (ابن رجب) رَحِمَهُ اللَّهُ

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

اسمه: هو الإمام الحافظ: عبدالرحمن بن أحمد بن رجب واسمه عبدالرحمن بن الحسن ابن محمد بن مسعود السلامي البغدادي، ثم الدمشقي الشامي موطنًا، الحنبلي مذهبًا، السلفي منهجًا وعقيدة ومسلكًا المشهور بابن رجب الحنبلي.

كنيته: أبو الفرج.

لقبه: المعروف عند العلماء هو زين الدِّين، كما لقب بألقاب عديدة تدل على مكانته العلمية، منها الحافظ، المقرئ، المحدث، العمدة، القدوة، الفقيه، الحُجَّة، الزاهد، الشيخ الإمام، أوحد الأنام، وغيرها من الصفات والنعوت.

ولادته ونشأته:

ولد ببغداد واختلف في سنة ولادته، والمشهور أنه ولد سنة ست وثلاثين وسبع مئة هجرية [٧٣٦هـ].

ونشأ في أسرة مشهورة بالعلم والصلاح، وبعد أن أخذ حظِّه من علماء بلده تطلَّع للمزيد، ورحل في طلب العلم في الديار الإسلامية ترحل إلى مصر، ومكة والتقى بمشاهير علماء عصره، واستفاد منهم حتى صار شيخ الإسلام وأحد الأعلام، وواعظ

المسلمين ومفيد المحدثين، وجمال المصنفين.

مؤلفاته ووفاته:

كان الحافظ ابن رجب بارعًا في فنون العلم الشرعي فله مؤلفات في الفقه، والحديث، والتفسير، والتاريخ، والمواعظ وغيرها، وقد عدد منها محقق كتابه لطائف المعارف ثلاثة وسبعين كتابًا.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ بدمشق سنة خمس وتسعين وسبع مئة هجرية [٧٩٥هـ][(١)].

❋ ❋ ❋

(١) انظر: ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٣٢١) وإنباء الغمر للذهبي (٣/ ١٧٥)، ومقدمة لطائف المعارف بقلم محققه ياسين محمد السِّواس (ص٩ ـ ص٢٠) والأعلام للزركلي (٣/ ٢٩٥) ومقدمة كتاب منهج الحافظ بن رجب في العقيدة لعلي الشبل (ص ٤٠، ٤١).

ترجمة موجزة
للمختصر (ابن قاسم) رَحِمَهُ اللَّهُ

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

اسمه: هو: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي نسبًا، أي: نسبة إلى عاصم وهو جد القبيلة المشهورة بنجد من قحطان، النجدي موطنًا وسكنًا.

كنيته: أبو محمد، ويكنى أيضًا بأبي عبداللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

مولده ونشأته:

ولد في بلدة البير القرية المعروفة شمال الرياض سنة ١٣١٢هـ، وقد نشأ بها في بيت علم، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن بها، ثم رحل إلى الرياض حاضرة العلم في هذا العصر، وتتلمذ على علمائها من أشهرهم: الشيخ/ عبداللَّه، والشيخ/ إبراهيم ابني عبداللطيف آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ/ حمد بن فارس، والشيخ/ سعد بن حمد بن عتيق وغيرهم رحمهم اللَّه.

وقد تضلع في علم التوحيد وبرز فيه، وفي الفقه، والحديث وغيرها من العلوم الشرعية الدينية، وقد نفع اللَّه بعلومه، وبارك في أوقاته فصنف عدة كتب.

مؤلفاته:

له العديد من المؤلفات منها:-

- أصول الأحكام: وشرحه الإِحكام شرح أصول الأحكام في

الحديث الشريف.

- وفي الفقه: له حاشية كتاب الروض المربع شرح زاد المستقنع، ونبذة مفيدة في حلق اللِّحية.

- وفي التفسير: له مقدمة مفيدة في أصول التفسير وشرحها.

- وفي التوحيد: السيف المسلول في الرد على عابد الرسول، وحاشية على ثلاثة الأصول، وحاشية على كتاب التوحيد كلاهما للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وله الدرر السنية في الأجوبة النجدية رتب فيه رسائل ومسائل علماء نجد من زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى زمنه رَحِمَهُ اللَّهُ.

- كما جمع ورتب مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، في سبع وثلاثين مجلدًا، ومن مؤلفاته وظائف رمضان لخصها من لطائف المعارف للحافظ ابن رجب الحنبلي مع زيادات له، وهو الكتاب الذي شرحه سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو الذي نقدم له.

وكما اشتغل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بالتأليف كذلك تقلد مناصب إدارية كالتدريس، وإدارة المكاتب والإشراف على طبع الكتب ونحو ذلك، وقد بذل جهدًا كبيرًا وأثمر، ثمرة نافعة.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ يوم ٧ شعبان ١٣٩٢هـ[(١)].

---

(١) ينظر لترجمته: كتاب علماء نجد خلال ثمانية قرون لعبداللَّه بن عبدالرحمن آل بسام الطبعة الثانية عام ١٤١٩هـ طبعة دار العاصمة بالرياض (٣/ ٢٠٢) ترجمة رقم (٣١٦)، وطبقات النَّسابين لبكر بن عبد اللَّه أبو زيد (ص٣٥) والأعلام للزركلي (٣/ ٣٣٦).

ترجمة موجزة للشارح رَحِمَهُ اللَّهُ[1]

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

اسمه: هو سماحة الإمام المجتهد، بقية السلف، ومفتي المسلمين في زمانه العلَّامة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله بن باز.

كنيته: أبو عبد الله، وهو أكبر أولاده.

لقبه المشهور به: ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

مولده ونشأته وأسرته:

ولد في مدينة الرياض في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة من عام ثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية (١٢/١٢/ ١٣٣٠هـ) وبالرياض نشأ وشبَّ وكبر، ولم يخرج منها إلا ناويًا الحج أو العمرة، أو العمل في كل من الخرج، والمدينة، والطائف.

---

(١) ينظر ترجمته في: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (١/ ٩ ـ ١٢) من جمع وترتيب د. محمَّد بن سعد الشويعر، والإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة (ص٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٤، ٤٥، ٣٧٧) وكتاب جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، رواية الشيخ محمد الموسى، إعداد: د. محمد بن إبراهيم الحمد (٣٣) والإبريزية في التسعين البازية، د. حمد بن إبراهيم الشتوي (١٨، ٢٠، ٢١، ٣٠، ١٨٩) وترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، من إعداد واعتناء: الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (١٣، ٢٣، ٢٦، ١٣٨) وغيرها.

وقد نشأ في بيت عامر بالصَّلاح وحبّ الخير، في حضن والدته، فقد توفي والده عام ثلاث وثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية (١٣٣٣هـ) وكان عمره آنذاك دون الثالثة، فعاش يتيمًا في حجر أمه، التي أحسنت تربيته وتنشأته، مع شقيقه محمد، وأخيه من أمه إبراهيم، وأخته من أمه منيرة، وكلهم أكبر سنًّا من سماحته.

وكان لوالدته -رحمها اللَّه- التي توفيت عام (١٣٥٦هـ) دور بارز، وأثر بالغ في توجهه نحو العلم الشرعي، وطلبه له ومثابرته عليه، ففضلها عليه كبير، حيث اعتنت بتربيته وغرست فيه الصفات الحميدة، كما كانت البيئة التي عاش فيها بيئة علمية، فقد كان في مدينة الرياض كبار أئمة الدعوة السلفية في هذا العصر.

۞ حياته العلمية والعملية:

بدأ حياته العلمية: بالدراسة منذ الصغر فحفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، على يد الشيخ عبد الله بن مفيريج رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم تلقى العلوم الشرعية والعربية، على أيدي كثير من علماء الرياض، ومن أعلامهم:

١- الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمهم اللَّه-.

٢- الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (قاضي الرياض) -رحمهم اللَّه-.

٣- الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (قاضي الرياض) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال بالرياض) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- الشيخ سعد وقاص البخاري (من علماء مكة المكرمة) رَحِمَهُ اللَّهُ

أخذ عنه علم التجويد في عام ١٣٥٥هـ، حيث كان يتردد على الشيخ سعد في دكانه مدة شهرين.

٦- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وقد لزم حلقاته صباحاً ومساءً، وحضر كل ما يقرأ عليه، ثم قرأ عليه جميع المواد التي درسها في الحديث والعقيدة، والفقه، والنحو، والفرائض، وقرأ عليه شيئاً كثيراً في التفسير، والتاريخ، والسيرة النبوية نحواً من عشر سنوات وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية ابتداءً من سنة ١٣٤٧هـ إلى سنة ١٣٥٧هـ حيث رشح للقضاء من قبل سماحته[(١)].

أما تلاميذه: فأكثر من أن نحصرهم ونحصيهم في هذه الأسطر لكثرتهم وطول المدة حدود سبعين عامًا، فقد ذكر الشيخ عبد الرحمٰن الرحمة في ترجمة سماحته أكثر من (٤٧٤ طالبًا)[(٢)].

وأمَّا حياته العملية: فقد تولى عدة أعمال، **منها:** القضاء في منطقة الخرج بالدلم مدة أربعة عشر عامًا وأشهرًا، (١٣٥٧ - ١٣٧١هـ) **ومنها:** التدريس في المعهد العلمي في الرياض، ثم كلية الشريعة (١٣٧١- ١٣٨١هـ) درَّس الفقه والتوحيد والحديث، حدود تسع سنوات وبضعة أشهر، **ومنها:** العمل إداريًّا في التعليم، (١٣٨١ ـ ١٣٩٥هـ) نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حدود (١٠) أعوام، ثم رئيسًا لها حدود (٥) أعوام.

وفي (١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ) صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية، والإفتاء والدعوة والإرشاد،

(١) ينظر: جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز (ص٣٣، ٣٤).

(٢) ينظر: الإنجاز في ترجمة سماحة الإمام عبد العزيز بن باز (ص٨٤ - ١٢٤).

حتى مطلع سنة (١٤١٤هـ).

وفي (٢٠/١/١٤١٤هـ) صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب المفتي العام للمملكة، ورئيسًا لهيئة كبار العلماء، ورئيسًا لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، وبقي في هذا المنصب إلى أن توفاه الله (٢٧/١/١٤٢٠هـ) رحمه الله رحمة واسعة.

وإلى جانب هذا العمل الوظيفي الرسمي كان سماحته عضوًا أو رئيسًا لكثير من المجالس العلمية الرسمية في المملكة، وفي العالم الإسلامي؛ كرابطة العالم الإسلامي، والمجمع الفقهي التابع لها، والمجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وعضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة، وعضوية الهيئة العليا للدعوة في المملكة، وغيرها، وما من منصب تقلّده إلا وكانت له فيه إبداعات وبصمات خالدة رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ صفاته الخَلقية والخُلقية:

أمَّا صفاته الخَلقيَّة: فقد كان ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير، وإلى الطول أقرب، معتدل القوام متساوي الأعضاء، حنطي اللون، مستدير الوجه، ناتئ الجبهة، غاير العينين، أقنى الأنف قليلًا، خفيف الشارب قليل اللحية على العارضين كثة في الذقن، ويمتاز بالتوسط في عموم أعضاء جسمه.

أمَّا صفاته الخُلقية: فقد جبل اللهُ الشيخ على صفات نبيلة، وشمائل فريدة، وسجايا كريمة قلَّ أن تجتمع في شخص في عصرنا هذا، ولا يمكن حصرها وتعدادها خصلة، خصلة، فقد ذكر الشيخ عبد الرحمن الرحمة في ترجمته لسماحة الشيخ تسعين صفة ومنقبة تميَّز بها سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد أبرز

أربعين صفة خلقية لسماحته[(١)].

وقد قال عنه سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ: «**ضرب في كل ميدان من ميادين الخير بسهم، فسبحان من جمع له الخير من أطرافه، وبارك له في عمره وعمله..، وهذا من أمارات الخير له غفر الله له ورحمه**»[(٢)].

۞ مؤلفاته وفتاواه ودروسه:

أمَّا مؤلفاته المطبوعة فكثيرة جدًّا[(٣)]: وأكثرها قد جمع في كتابه المشهور «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» الذي قام بجمعه وترتيبه معالي الشيخ الدكتور/ محمَّد بن سعد الشويعر رَحِمَهُ اللَّهُ في ثلاثين مجلدًا، وقد جمع فيه أكثر تراث سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

كما حوِّلت تسجيلات برنامجه الإذاعي إلى كتاب بعنوان: «**فتاوى نور على الدرب**» وطبعته الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء في (٣٥) مجلداً.

---

(١) ينظر: الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز للرحمة (٣٧، ٤٥ ـ ٦٠) وكتاب جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز للحمد والموسى (٣٩ ـ ٤١).

(٢) اقتباس بتصرف من: تقديم سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ لكتاب فتاوى نور على الدرب لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (١/ ٤) جمع وترتيب: د. محمد بن سعد الشويعر.

(٣) ذكر منها سماحته في «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» ثلاثة وعشرين مؤلفًا له (١/ ١١، ١٢) وزاد عليها تلميذه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (٢٤ عنوانًا) في مقدمة كتاب «**التحفة الكريمة**» (ص٢٠ ـ ٢٦) كان قد أفرد لها محمد يوسف المجذوب كُتيبا صغيرًا، وقد طبع في حياة سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، كما أفردها بمؤلَّف صالح بن راشد الهويمل بعنوان: «**الإيجاز في سيرة ومؤلفات ابن باز**».

كما أصدرت مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، بعض شروح وتعليقات سماحته على بعض كتب أهل العلم منها: «**تعليق التبصير في معالم الدين**» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، وتعليق سماحته على «**مقدمة تفسير الحافظ ابن كثير مع تعليق على تفسيره لسورة الفاتحة**» وشرح «**عمدة الأحكام**» للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ، وشرح كتاب«**الواسطية**» و«**العقيدة الحموية**» كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وشرح كتاب «**كشف الشبهات**» وشرح كتاب «**القواعد الأربع**» وتعليقات على كتاب «**فضل الإسلام**» وشرح كتاب «**التوحيد**» وشرح كتاب «**الأصول الثلاثة**» جميع هذه الكتب الخمسة الأخيرة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وتعليقات سماحته على كتاب «**وظائف رمضان**» تلخيص ابن قاسم العاصمي رَحِمَهُ اللَّهُ، من لـ«طائف المعارف» لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيرها.

كما أشرفت المؤسسة على ما صدر من بعض مخطوطات سماحته منها: ما اعتنى به تلميذه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، كـ«**التحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والسقيمة**» و«**تحفة أهل العلم والإيمان بمختارات من الأحاديث الصحيحة والحسان**» و«**تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان**» وغيرها.

وتعليقات سماحته على كتاب التقريب للحافظ ابن حجر، بعنوان: «**النكت على تقريب التهذيب**» بتحقيق: د. عبد الله بن فوزان الفوزان، وكتاب «**الفوائد العلمية من الدروس البازية**» الذي جمعه معالي الشيخ الدكتور عبد السلام بن عبد الله السليمان، من دروس عامي (١٣٩٨، ١٣٩٩هـ).

۞ زوجاته وعقبه ووفاته:

تزوج رَحِمَهُ اللَّهُ أربع نسوة: أولى زوجاته تزوجها عام ١٣٥٤هـ وطلقها عام ١٣٥٦هـ ولم ينجب منها، **ثاني زوجاته** تزوجها عام ١٣٥٧هـ وهي أم أولاده الكبار: عبد الله، وعبد الرحمٰن، وثلاث بنات، **وثالث زوجاته هي:** ابنة عمه، مكثت عنده ستة أشهر، ثم طلقها، ولم تلد له، ذكرها تلميذه عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، في ترجمته له نقلًا عن الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، **ورابع زوجاته** تزوجها عام ١٣٨٦هـ وهي أم أولاده الصغار، أحمد، وخالد، وثلاث بنات، وبهذا يُعلم أن سماحته قد تزوج أربع نسوة أنجب من الاثنتين أربعة أبناء، وست بنات، فمجموع ذريته: عشرة، أسبغ الله عليهم النعم، وكفاهم الله الشرور والنقم، وجعلهم خير عقب لخير سلف بارين بوالديهم، آمين، آمين[(١)].

۞ وفاتـه:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ قُبيل فجر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم الحرام سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة، بمدينة الطائف (٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ) ونقل جثمانه إلى مكة وغسل في بيته هناك، وصلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة، وقبر في مقبرة العدل، عن عمر يناهز التسعين عامًا، رحمه الله رحمة واسعة، وجعل الجنة مثواه، آمين.

---

(١) ينظر: الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز (ص٣٤، ٣٥) والإبريزية في التسعين البازية للشتوي (ص٢١) وترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز للقاسم (ص٢٣).

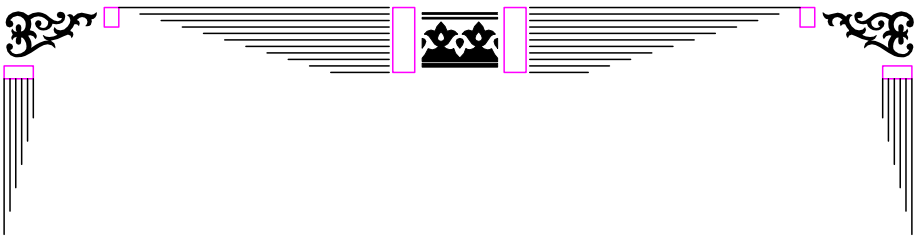

مقدمة المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الشَّيخ عبدالرَّحمن بن محمَّد بن قاسم رحمه اللَّهُ تعالى:

الحمد لِلَّه الَّذي خص بالفضل والتشريف شهر رمضان، وأنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وخصه بالعفو والغفران، واختص من اصطفاه بفضل منه وامتنان،وأيقظ بالوعظ من وفقه في هذا الموسم العظيم الشأن.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ذو الفضل والإحسان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيِّد ولد عدنان، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا. أمَّا بعد:

فهذا مختصر لطيف في وظائف هذا الموسم الشريف، يبعث الهمم إلى التعرض للنفحات، ويثير العزم إلى أشرف الأوقات.

واللَّهَ أسألُ أن يوفِّقنا لما يُحبُّ من الطاعات، وأن يضاعف لنا الحسنات، ويغفرَ لنا السيئاتِ، ويستجيب لنا الدعواتِ، إنه جوادٌ كريم.

المجلس الأول:
فَضْلُ شَهْرِ رَمضانَ

وفيه ثلاثة دروس:

الدرس الأول: في التبشير بمجيء شهر رمضان
الدرس الثاني: في الخصال التي أُعطيتها الأمة فيه
الدرس الثالث: في تهيئة الجنة لمن صام شهر رمضان

الدرس الأول
في التبشير بمجيء شهر رمضان

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ يَقُولُ: «**قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ فِيهِ تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ[1] فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»[2] رَواهُ أحمدُ والنسائيّ.

وَرُوِيَ: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ سَيِّدُ الشُّهُورِ، فَمَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا**»[3].

---

(١) تُغَلُّ: تُقيَّد بطوق من حديد يجعل في العنق، ويجمع على أغلال مثل قُفْلٍ وأقفال. ينظر المصباح المنير للفيومي حرف الغين مع اللام وما يثالثهما مادة: [غلل] والمراد، تقيد كي يكون اختيار المرء للطاعة خاليًا من وسوسة الشياطين، اقتباس من تعليق في مسند ابن أبي شيبة (٢/ ٤١٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد الرسالة برقم (٧١٤٨-٨٩٩١-٩٤٩٧) والنسائي (٤/ ١٢٩) برقم (٢١٠٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٥) ومحققو المسند.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٤٣) برقم (٣٣٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**سَيِّدُ الشُّهُورِ شَهْرُ رَمُضَانُ**» وقال في إسناده ضعف، وأخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٣١٠) برقم (٣٤٧٩) وفي فضائل الأوقات برقم (١٦٧) من حدييث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا وزاد فيه: «**وأعظمها حرمة ذو الحجة**» وأخرجه أبوبكر الشافعي في الغيلانيات برقم (١٨٤) والطبراني في الكبير برقم (٩٠٠٠)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٤٣) برقم (٣٣٦٥) موقوفا على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**سَيِّدُ الشُّهُورِ رَمَضَانُ، وَسَيِّدُ الأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ**» قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٤٠) رواه الطبراني في الكبير وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه.

جاء شهرُ الصيامِ بالبركاتِ فأكرِمْ به مِنْ زائرٍ هُوَ آتِ

وَعَنْ عُبَادَةَ مرفوعًا: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرُ بَرَكَةٍ يَغْشَاكُمُ اللَّهُ فِيهِ، فَيُنزِّلُ الرَّحْمَةَ، وَيحُطُّ الْخَطَايَا، ويَسْتَجِيبُ فِيهِ الْدُّعَاءَ، يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى تَنَافُسِكمُ فِيهِ، ويُبَاهِي بِكُمْ مَلَائِكتَهُ، فَأَرُوْا اللَّهَ مِنْ أَنفُسِكُمْ خَيرًا، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةَ اللَّهِ»[١] رواهُ الطَّبرانيُّ، وَرُوَاتُهُ ثِقاتٌ.

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»[٢]، ولمسلم: «فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ»[٣]، وله أيضًا عن أبي هُرَيرةَ ﷺ مرفوعًا: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ»[٤].

وعنهُ ﷺ: أنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّيرانِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِي الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِي الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»[٥] رواه الترمذي والنسائي والحاكم.

---

(١) أخرجه الشامتين في مسنده برقم (١٢٢٤)، والطبراني في مسند الشامتين برقم (٢٤٢٣٨) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٤٢) ورواه الطبراني في الكبير، وفيه محمد بن أبي قيس ولم أجد له ترجمة وفي الباب عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٨٩٩) وللفظ له، وأخرجه مسلم برقم (١٠٧٩).

(٣) برقم (١٠٧٩).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٠٧٩).

(٥) أخرجه الترمذي برقم (٦٨٢)، وابن ماجه برقم (١٦٤٢)، وأخرجه الإمام أحمد برقم (١٨٧٩٥) والنسائي برقم (٢٠٩٨) عن أبي هريرة ﷺ النبي ﷺ، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٨٦) برقم (١٥٣٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذا السياقة ووافقه الذهبي.

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحمد لِلَّه وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على رسول اللَّهِ وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أمَّا بعد:

فقد ثبت عن رسول اللَّهِ ﷺ، في هذا الشهر الكريم، شهر رمضان من الأحاديث الكثيرة ما يدل على عظم شأنه، وأنه شهر المواساة، وشهر الإحسان، وشهر الصدقات، وشهر المسارعة إلى الطاعات، والمنافسة في أنواع الخير، شهر تفتح فيه أبواب الجنات، وتغلق فيه أبواب جهنَّم، وتصفد فيه الشياطين، شهر جعل اللَّهُ صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعًا، تفتح فيه أبواب الجنَّة، وتغلق فيه أبواب جهنَّم، وتفتح فيه أبواب السَّماء، وأبواب الرَّحمة، وينادي فيه منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولِلَّهِ فيه عتقاء من النَّار وذلك كل ليلة.

فجدير بالمؤمن والمؤمنة المنافسة في هذا الخير والمسارعة في هذا الشهر الكريم إلى أنواع الطاعات، فهو شهر عظيم، ما مرَّ بالمسلمين شهر أفضل منه، ولا مرَّ بالمنافقين شهر أشرُّ عليهم منه، لعدم إحسانهم فيه، وعدم قيامهم بحقِّه، فالمؤمن يخالف فيه أهل النفاق فيسارع في الخيرات، ويجتهد في طاعة اللَّهِ وأداء فرائضه، وترك محارمه، ويسارع فيه إلى أنواع الخير، من الصدقات والتسبيح والتهليل والتكبير، وقراءة القرآن، والإكثار من كل خير، ولا سيما قراءة القرآن، هذا شهر القرآن، ينبغي للمؤمن أن يكثر فيه من قراءة القرآن كل حرف به حسنة والحسنة بعشر أمثالها مع التدبر والتعقل، كما قال اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾

[الإسـرَاء: ٩] قـال جـلَّ وعـلا: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعَام: ١٥٥] فجدير بالمؤمن أن يعتني بهذا الكتاب العزيز القرآن الكريم، وأن يتدبره ويُكثر من تلاوته، وكان النَّبِيُّ ﷺ في هذا الشهر الكريم يدارس جبرائيل القرآن الكريم كل ليلة، وفي السنة الأخيرة دارسه القرآن مرتين[(١)] ففي هذا الحث على مدارسة القرآن والعناية به والاستكثار منه لما فيه من الخير العظيم والحسنات الكثيرة، كل حرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها.

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يستكثر فيه من الصدقات، ومواساة الفقراء والمحاويج لقوله عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ [ذَلِكَ] لَهُ مَغْفِرةً لِذُنُوبِهِ، وَعِتقَ رَقَبَتِهِ مِن النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ**»[(٢)].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٣)] «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٤)] «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٥)] ويقول النَّبِيُّ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ**

(١) سيأتي نص الحديث وتخريجه في صفحة (١٠٧).

(٢) هذا جزء من حديث طويل عن سلمان ﷺ وسيأتي بنصه كاملًا مع تخريجه في صفحة (٣١).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري في أكثر من موضع أولها (٣٨)، ومسلم برقم (٧٦٠).

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري في مواضع منها برقم (٢٠٠٩)، ومسلم برقم (٧٥٩).

(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري برقم (٢٠١٤)، ومسلم برقم (٧٦٠).

[يُضَاعَفُ] لَهُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ ﷻ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ»[(١)].

ويقول عليه الصلاة والسلام لأصحابه: إذا جاء رمضان «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرُ بَرَكَةٍ، يَغشَاكُمْ اللَّهُ فِيهِ، [فَتَنْزِلُ الرَّحْمَةُ] وَيُحِطُّ الخَطَايَا، وَيَستَجَابُ الدُّعاءُ، فَيَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى تَنَافُسِكُمْ، وَيُبَاهِي بِكُم مَلَائِكَتَهُ، فَأَرُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةَ اللَّهِ ﷻ**»[(٢)].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[(٣)].

فالواجب على المؤمن أن يحذر محارم اللَّهِ، المعاصي محرمة في كل وقت وفي كل مكان؛ لكن يجب أن يكون الحذر منها في هذا الشهر الكريم أكثر، وأن يجتهد المؤمن في صيانة صيامه وحفظه من سائر المعاصي من الغيبة، والنميمة، والظلم للناس، والتعدي عليهم في أي شيء في أموالهم أو أنفسهم، وفي غير ذلك من المعاصي، كأكل الربا والغش في المعاملات، وغير هذا ممَّا حرَّم اللَّه، فالمؤمن يحذر كل معاصي اللَّهِ، ويبتعد عنها، يرجو ثواب اللَّهِ ويخشى عقاب اللَّهِ، ويجتهد في أداء فرائض اللَّهِ، يؤدي الصلاة في الجماعة ويحافظ عليها، في جميع الأوقات الخمسة، يبر والديه

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (٥٩٢٧)، ومسلم برقم (١١٥١).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٤).

(٣) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (١٩٠٣).

يصل أرحامه، يدعو إلى اللَّه، يأمر بالمعروف ينهى عن المنكر، يحذر كل شر ويجتهد في كل خير، ولا سيما في هذا الشهر الكريم، شهر الصيام شهر الصدقات شهر القيام شهر مضاعفة الحسنات، فالمؤمن يجتهد في اغتنام هذه الأيام وهذه الليالي بالصيام والقيام، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(١)].

وقد حلى بهم عليه الصلاة والسلام ثلاث ليالٍ في رمضان، واجتمع الناس ثم إنه ترك ذلك، خشية أن تفرض عليهم صلاة الليل[(٢)]، فلما كان عمر رضي الله عنه في خلافته، جمع الناس على إمام واحد، كانوا يصلون في المسجد أوزاعًا، فجمعهم على إمام واحد[(٣)]، وصلَّى بهم، فربما صلَّى ثلاثًا وعشرين، وربما صلَّى إحدى عشرة، فالمؤمن في هذا أمره واسع؛ إن صلَّى إحدى عشرة أو صلَّى ثلاث عشرة أو صلَّى ثلاثًا وعشرين كل ذلك بحمد اللَّهِ ميسر[(٤)]، ويقول الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى**»[(٥)] ولم يحدد حدًا، فإذا صلَّى إحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة كما صلَّى الرسول ﷺ فهذا أفضل، وإن صلَّى ثلاثًا وعشرين، كما صلى الصحابة، أو صلَّى أكثر من ذلك فالأمر فيه واسع بحمد

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).
(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه البخاري برقم (٩٢٤)، ومسلم برقم (٧٦١).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٠١٠).
(٤) ينظر: المجموع للنووي (٤/ ٣٢).
(٥) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (٩٩٥)، ومسلم برقم (٧٤٩).

اللَّهِ؛ لأن الرسول لم يحدد ركعات معلومة ؛ ولكن يختم بواحدة، يوتر بها سواء صلاها في أول الليل أو في آخر اللَّيل، أو في وسط اللَّيل الأمر واسع بحمد اللَّهِ ؛ لكن يستحب في العشر الأخيرة إحياء اللَّيل كما كان النَّبِيَّ يحي اللَّيل عليه الصَّلاة والسَّلام في العشر الأخيرة[١].

أمَّا في العشرين الأول فالسُّنَّة أن يصلي بعض اللَّيل وينام، تأسيًا بالنَّبِيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام في ذلك؛ ولكن يجب الحذر من جميع المعاصي في اللَّيل والنهار، والمشروع لك أن تحفظ وقتك في طاعة اللَّهِ في تسبيح وتهليل، وقراءة وذكر واستغفار، وصلاة، وفي سائر العبادات، فتصون هذا الوقت وتحرص عليه حتى لا يضيع منه شيء، يكون محفوظًا في طاعة اللَّهِ، وإلا ففيما أباح اللَّه، وتحذر أن يضيع منه شيء في محارم اللَّهِ ؛ فيضرك في الدنيا والآخرة، ومن اتى المعاصي في رمضان كالربا وغيره فيرجى له قبول الصيام، وإن كان الصيام ينجرح فهي تنقص الثواب والأجر، فهو على خطر من المعاصي.

وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٠٢٤)، ومسلم برقم (١١٧٤).

الدرس الثاني
في الخصال التي أُعطيتها الأمة في شهر رمضان

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أُعْطِيَتْ أُمَّتِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْسَ خِصَالٍ[١] لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ خُلُوفُ[٢] فَم الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُفْطِرُوا، وَيُزَيِّنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: يُوشِكُ عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ المَؤونَةَ[٣] وَالأَذَى، وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ، وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الْجِنِّ[٤] [الشَّيَاطِينُ] فَلَا يَخْلُصُوا فِيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ**». وقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ **قَالَ: «لَا؛ وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوَفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ»**[٥] رواه أحمد.

---

(١) الخصال: جمع خصلة: وهي خُلق في الإنسان تكون فضيلة أو رذيلة، وقد غلب على الفضيلة، ينظر: القاموس المحيط للفيروز آبادى، باب اللام، فصل الخاء (ص٩١٣).

(٢) الخُلُوف: تغير طعم الفم وريحه لتأخير الطعام ينظر: غريب الحديث لابن سلام (١/ ٣٢٧) مادة: [خلف].

(٣) الْمَؤونَةُ الثِّقْلُ، قَالَ الشَّاعِرُ: «أَمِيرُنَا مُؤْنَتُهُ خَفِيفَةٌ» وَالْجَمْعُ مُؤَنٌ، المصباح المنير: (٩/ ١٠٣).

(٤) في النسخة التي تقرأ بين يدي الشيخ (الجن) وفي نص الحديث [مردة الشياطين] (٣/ ٣٠٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في برقم (٧٩١٧)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار، وفيه هشام بن زياد أبو المقدام وهو ضعيف. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (٣/ ٢٥٥).

وَعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، جَعَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَقِيَامُ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ، وَشَهْرُ الْمُوَاسَاةُ، وَشَهْر يُزْدَادُ فِيهِ الْرِّزْقُ، وَمَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ وَعِتْقُ رَقَبَتِهِ مِن النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ كُلُّنَا يَجِدُ مَا يُفَطِّرُ بِهِ الصَّائِمَ، **قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُعْطِي اللَّهُ هَذَا الثَّوَابَ لِمَنْ فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى مُذْقَةِ لَبَنٍ، أَوْ تَمْرَةٍ، أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ. وَمَنْ سَقَى صَائِمًا سَقَاهُ اللَّهُ ﷻ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا حَتَى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلُوْكِهِ فِيهِ غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَأَعْتَقَهُ مِنِ النَّارِ حَتَى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرَهُ عِتْقٌ مِن النَّارِ. فَاسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَصْلَتَيْنِ تَرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ، وَخَصْلَتَيْنِ لَا غِنَاءَ بِكُمْ عُنْهُمَا، أَمَّا الْخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تَرْضَونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ فَشَهَادَةُ: أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَتَسْتَغْفِرُونَهُ، وَأَمَّا اللَّتَانِ لَا غِنَاءَ بِكُمْ عَنْهُمَا: فَتَسْأَلُوْنَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَذُونَ بِهِ مِن النَّارِ**»[1] رواه ابن خزيمة والبيهقي وغيرهما.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه وقال: إن صح الخبر برقم (١٨٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٠٥) برقم (٣٦٠٨)، قال الحافظ ابن حجر: في (٥/ ٥٦٠) مداره على علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: وإن كان فيه انقطاع وضعف لكن له شواهد.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَن رسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَظَلَّكُمْ شَهْرُكُمْ هَذَا بِمَحْلُوفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا مَرَّ بِالْمُسْلِمِينَ شَهْرٌ [قَطُّ] خَيْرٌ لَهُمْ مِنْهُ، وَمَا مَرَّ بِالْمُنَافِقِينَ شَهْرٌ [قَطُّ] أَشَرُّ لَهُمْ مِنْهُ بِمَحْلُوفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ لَيَكْتُبُ أَجْرَهُ وَنَوَافِلَهُ وَيَكْتُبُ وِزْرَهُ قَبْلِ أَنْ يُدْخِلَهُ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُعِدُّ فِيهِ الْقُوَّةَ مِنَ النَّفَقَةِ لِلْعِبَادَةِ، وَيُعِدُّ فِيهِ الْمُنَافِقُ اتِّبَاعِ [ابْتِغَاءَ] غَفَلَاتِ الْمُؤْمِنِينَ واتِّبَاعِ عَوْرَاتِهِمْ فَغُنْمٌ يَغْتَنِمُهُ الْمُؤْمِنِ**». وقال بندار في حديثه: «**فَهُوَ غُنْمٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، يَغْتَنِمَهُ الْفَاجِرُ**»[(١)] رواه ابن خزيمة في صحيحه وغيره.

قال الشارح رحمه الله:

هذه الأحاديث فيها الحث على اغتنام هذا الشهر الكريم بالأعمال الصالحة، وأنَّه لا شهر أفضل منه، وأنه غنيمة للمؤمن وفرصة للمؤمن يتقرب فيه بأنواع الخير، ويسارع فيه إلى أنواع الطاعات، فينبغي للمؤمن أن ينتهز هذه الفرصة؛ ولهذا جاء في حديث أبي هريرة المتقدم يقول ﷺ: «**أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**» ـ وهذه ـ الخصلة ـ جاءت بها الأحاديث الصحيحة ـ[(٢)] «**وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُفْطِرُوا، وَيُزَيِّنُ اللَّهُ ﷻ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ، وَيَقُولُ: يُوشِكُ عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ الْمَؤونَةَ وَالأَذَى، وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ، وَتُصَفَّدُ فِيهِ الشَّيَاطِينِ، ومَرَدَةُ الجِنَ فَلَا يَخْلُصُوا فِيهِ**

(١) أخرجه الإمام أحمد في (٨٣٦٨)، وابن خزيمة برقم (١٨٨٤).

(٢) منها ما أخرجه البخاري برقم (١٩٠٤)، ومسلم برقم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إِلَى مَا كَانُوْا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ» ـ يعني: طوي عنهم سلطانه في هذا الشهر الكريم ـ «**ويُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ **قَالَ**: «**لَا؛ وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوَفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ**»(١).

فهذه الخصال لها شواهد كلها تدل على فضل هذا الشهر العظيم، وينبغي للمؤمن أن يغتنمه في أنواع الخير وأنواع العبادة: كثرة الصدقة والاستغفار، والحذر من الشياطين وأذاهم، فإن المؤمن وإن كان في هذا الشهر الكريم قد أعانه اللَّهُ ويسر أمره وأضعف شيطانه؛ لكن ينبغي له أن يجاهد نفسه حتى تستمر هذه العبادات، وهذا النشاط في جميع السَّنة، فلا ينبغي له ولا يليق به أن يجتهد في رمضان، ثم يضيع بعد رمضان؛ بل ينبغي أن يستمر، وأن يكون الجهاد مستمرًا لعدو اللَّهِ، مستمرًا في طاعة اللَّهِ وابتغاء مرضاته.

ومن ذلك ما جاء في حديث سلمان، وإن كان فيه انقطاع لكن له شواهد، تقدم بعضها، إن الرسول الكريم كان يبشر أصحابه «**جَاءَكُمْ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ جَعَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَقِيَامُ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ، وَشَهْرُ الْمُوَاسَاةُ** ـ والمؤمن يواسي إخوانه الفقراء ـ **شَهْرٌ يَزْدَادُ فِيهِ الرِّزْقُ مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ لَهُ مَغْفِرَةً لِذُنُوْبِهِ، وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنْ النَّارِ** ـ هذا فضل كبير ـ **قِيلَ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ لَيْسَ كُلُّنَا يَجِدُ مَا يُفَطِّرُ بِهِ الصَّائِمَ، قَالَ: يُعْطِي اللَّهُ هَذَا الثَّوَابَ لِمَنْ فَطَّرَ**

(١) سبق تخريجه في أصل المتن في صفحة (٣٠).

صَائِمًا عَلَى مُذْقَةُ لَبَنٍ، أَوْ تَمْرَةٍ، أَوْ شَرْبَةَ مَاءٍ، وَمَنْ سَقَىٰ فِيهِ صَائِمًا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لَاْ يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَمَن خَفَّفَ عَن مَمْلُوْكِهِ أَوَأَعْتَقَهُ أَعْتَقَ اللَّهُ رَقَبَتُهُ مِن النَّارِ، وَهُوَ شَهْرٌ أَوَلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِن النَّارِ، ـ شهر يغلب على أوله الرحمة والتوفيق للمؤمنين بالعمل، وعلى وسطه المغفرة لهم بسبب أعمالهم الطيبة، ويغلب على أخره العتق من النَّار لأهل التقوى والاستقامة في هذا الشهر الكريم، فينبغي للمؤمن أن يلاحظ هذه الأمور، وأن يجتهد في عمارة هذا الشهر الكريم بأنواع الخير، وأنواع العبادة ـ: «**فَاسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَصْلَتَيْنِ تَرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ، وهما: شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالاسْتِغْفَارَ**» يعني: الاكثار من ذكر اللَّهِ ومن الاستغفار، وَخَصْلَتَانِ لَا غِنَاءَ لكُمْ عُنْهُمَا، وهما: «**سؤال اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَذُوْنَ بِهِ اللَّه مِن النَّارِ**»[(١)].

فأنت يا عبدَاللَّهِ في هذا الشهر الكريم، مأمور بالعناية بهذه الخصال الطيِّبة بالاستكثار من طاعة اللَّهِ، وبالاستكثار من ذكر اللَّهِ والتسبيح والتهليل والتحميد، والاستكثار من الاستغفار، وسؤال اللَّه الجنَّة، والتعوذ به من النَّار، ترجو ثواب اللَّهِ، وتخشى عقاب اللَّهِ، ويبيِّن الحديث السابق أنَه ما مرَّ بالمؤمنين شهر خير لهم منه، بمحلوف رسول اللَّه ﷺ، ولا مرَّ بالمنافقين شهر أشرَّ لهم منه؛ لأن المؤمن يعد فيه النفقة والقوة للعبادة، والمنافق يعد فيه اتباع غفلات النَّاس، واتباع عوراتهم، نسأل اللَّه العافية.

فهو غنيمة للمؤمن فينبغي له أن يكون ذا حرص على اغتنام الخيرات، والمسارعة إلى الطاعات، ضد أهل النفاق الَّذين يتربصون

(١) سبق تخريجه في صفحة (٣١).

بالمؤمنين الدوائر، ويعدون الشر، فالمنافق عدوٌ لِلَّهِ وعدوٌ للمؤمنين، يعدُّ لهم كل شر، ويتبع عوراتهم، ويغتابهم ويتسلط عليهم بأنواع الأذى؛ أمَّا المؤمن فهو رحمة ينفع اللَّهُ به العباد، ينصح ويُواسي، ويحسن ويدعو إلى اللَّهِ ويرغب في الخير، ويعين على نوائب الحقِّ، فالمؤمن حاله غير حال المنافق، المنافق مخرب وداعي سوء ومزيف وملبس، والمؤمن صاحب نصح وتوبة واجتهاد، وعناية وإعانة على الخير والترغيب فيه، فالفرق فيه عظيم بين هذا وهذا. فنسأل اللَّه أن يجعلنا وإيَّاكم من عباده الصالحين، ومن المؤمنين ومن المسارعين إلى الخيرات، ونعوذ باللَّهِ من حال المنافقين وحال أشباههم.

نسأل اللَّه السلامة والعافية، ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّهِ.

وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

الدرس الثالث
في تهيئة الجنَّة لمن صام رمضان

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَعَن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْجَنَّةَ لَتُبَخَّرُ وَتُزَيَّنُ مِن الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ لِدُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِذَا كَانَتْ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ هَبَّتْ رِيْحٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، يُقَالُ لَهَا: الْمُثِيرَةُ، فَتَصْفُقُ أَوْرَاقُ أَشْجَارِ الْجِنَانِ، وَحِلَقِ الْمَصَارِيعِ**[(١)]. **فَيُسْمَعُ لِذَلِكَ طَنِينٌ لَمْ يَسْمَعْ السَّامِعُونَ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَتَبْرُزُ الْحُورُ الْعِينُ، حَتَى يَقِفْنَ بَيْنَ شُرَفِ الْجَنَّةِ فَيُنَادِينَ: هَلْ مِنْ خَاطِبٍ إِلَى اللهِ فَيُزَوِّجُهُ؟ ثُمَّ يَقُلْنَ الْحُورُ الْعِينُ: يَا رِضْوَانَ الْجَنَّةِ، مَا هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟ فَيُجِيبَهُنَّ بِالتَّلْبِيَّةِ، ثُمَّ يَقُولُ: هَذِهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ عَلى الصَّائِمِيْنَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ**»[(٢)] رواه البيهقي وغيره.

---

(١) المَصاريع: الأبواب، واحدها مِصراع، ولا يكون الباب مِصراعًا حتى يكون اثنين (٢/ ٧٣٨)، ومن ذلك قيل: مِصْراع الشعر؛ لأنه نصف بيت فشُبِّه مِصْراع الباب به. جمهرة اللغة لابن دريد، وفي الصحاح: والتَصْريعُ في الشِعر: تقفية المِصْراع الأوَّل، وهو مأخوذ من مِصْراع الباب، وهما مِصْراعانِ. ينظر: الصِّحاح في اللغة للجوهري، مادة: [صرع].

(٢) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة برقم (١٥٧٥) مطولاً والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٣٨) برقم (٣٣٥٩) وقال في إسناده ضعف، وقال الإمام ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٥٣٦) وهذا حديث لا يصح.

وعن عمرو بن مرة ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَصَلَيْتُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ، وَأَدَيْتُ الزَّكَاةَ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَقُمْتُهُ، فَمِمَنْ أَنَا؟ **قَالَ**: «**مِنِ الصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ**» رواه ابن خزيمة وابن حبان(١).

وعن أنس ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يدعو ببلوغ رمضانَ، فكان إذا دخل شهرُ رجب، قال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبَ وَشَعْبَانَ وَبَلِغْنَا رَمَضَانَ**» رواه الطبراني وغيره(٢).

وقال عبدالعزيز بن مروان: كان المسلمون يقولون عند حضور شهر رمضان: اللهم قد أظلنا شهر رمضان، وحضر فسلمه لنا وسلمنا له، وارزقنا صيامه وقيامه، وارزقنا فيه الجد والاجتهاد والقوة والنشاط، وأعذنا فيه من الفتن.

وقال معلَّى بنُ الفضل: كانوا يدعونَ اللَّه ستة أشهرٍ أن يبلغهم رمضانَ، ثم يدعونه ستَّة أشهر أن يتقبَّله منهم(٣).

وقال يحيى بن أبي كثير: كان من دعائهم: «**اللهم سلِّمني إلى**

(١) أخرجه ابن خزيمة برقم (٢٢١٢) وابن حبان برقم (٣٤٣٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤٦) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا شيخى البزار وأرجو إسناده أنه إسناد حسن أو صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٣٤٦) والبزار برقم (٦٤٩٦) والطبراني في الدعاء برقم (٩١١) وفي الأوسط برقم (٣٩٣٩) وقال: لا يروى هذا الحديث عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد تفرد به زائدة ابن أبي الرقاد، وانظر: مجمع الزوائد (٣/ ١٨٤).

(٣) أخرجه قوام السنة الأصبهاني في الترغيب والترهيب برقم (١٧٦١) وفي صحته نظر.

رمضان وسلم لي رمضان، وتسلَّمه مني متقبلا»[١].

بلوغ شهر رمضانَ، وصيامُه نعمةٌ عظيمةٌ، ويدُّل عليه حديثُ الثلاثة الذين استشهد اثنان منهم، ومات الثالث بعدهما على فراشه، فرؤي في المنام سابقًا لهما، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَيْسَ صَلَّى بَعْدَهُمَا كَذَا وَكَذَا صَلَاة، وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَهُ؟ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ بَيْنَهُمَا لَأَبْعَد مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**»[٢] رواه أحمد وغيره.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت ودخل رمضانُ: يا رسول اللَّهِ، فما أقول؟ قال: **قُوْلِي: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»**[٣].

جاء رمضانُ، فيه الأمانُ والعتقُ والفوزُ بسكنى الجِنَان. من لم يربحْ في هذا الشهر ففي أي: وقت يربح؟ من لم يقرب فيه لمولاه، فهو على بُعده لا يَبرحْ، من رُحم في هذا الشهر فهو المرحوم، ومن حُرِمَ خيره، فهو المحروم.

أتى رمضان مزرعة العباد ... لتطهير القلوب من الفسادِ
فأدِّ حقوقه قولًا وفعلًا ... وزادَك فاتخذهُ للمعادِ
فمن زرع الحبوب وما سقاها ... تأوَّه نادمًا عند الحصادِ

وعن أبي جعفر بن علي رضي الله عنه قال: كان رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إذا استهل شهرُ رمضانَ استقبله بوجهه، ثم يقول: «**اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا**

---

(١) وقد أخرج الطبراني في الدعاء برقم (٩١٢) عن عبادة بن الصامت قال: كان رسول اللَّه ﷺ يعلمنا هؤلاء الكلمات إذا جاء رمضان أن يقول أحدنا: «**اللهم سلمني من رمضان، وسلم رمضان لي، وتسلمه مني متقبلًا**». قال السيوطي في الجامع الكبير (٣٥/ ٢٧٦): رواه الطبراني في الدعاء والديلمي وسنده حسن.

(٢) أخرجه الإمام أحمد برقم (١٤٠٣) واللفظ له.

(٣) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٥٣٨٤)، والترمذي برقم (٣٥١٣)، وابن ماجه برقم (٣٨٥٠)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٧٦٦٥).

بِالأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ، وَالعَافِيَةِ المُجَلَّلَةِ، وَدِفَاعِ الْأَسْقَامِ، وَالْعَوْنِ عَلَىٰ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا لِرَمَضَانَ وَسَلِّمِهُ لَنَا، وَتَسَلَّمْهُ مِنَّا، حَتَّى يَخْرُجَ رَمَضَانُ، وَقَدْ غَفَرْتَ لَنَا وَرَحِمْتَنَا وَعَفَوْتَ عَنَا» أخرجه ابن عساكر(١).

وروى ابن النَّجار عن الحارث الأعور عن علي ﷺ أنه كان إذا نظر إلى الهلال قال: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ، وَفَتْحَهُ وَنَصْرَهُ وَبَرَكَتَهُ، وَرِزْقَهُ وَنُورَهُ وَظُهُورَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ»**(٢).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث والآثار عن السلف كُلُّها تدل على حرصهم على الأعمال الصالحة في هذا الشهر، واستبشارهم ورغبتهم فيما أعدَّ اللَّهُ للمؤمنين فيه، وأنه ينبغي للمؤمن أن ينافس في هذه الأيام الكريمة، وأن يسارع إلى أنواع الخير من صلاة وتسبيح وتحميد وتهليل، وذكر وقراءة قرآن وصدقات، وغير هذا من وجوه الخير، اغتنامًا للزمن العظيم؛ فإنَّه شهر عظيم تفتح فيه أبواب الجنات، وتغلق فيه أبواب جهنم، وتغل فيه الشياطين، وينادي فيهم منادٍ يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولِلَّه عتقاء من النَّار، وذلك

(١) في تاريخ دمشق (٥١/ ١٨٦)، وذكره السيوطي في جامع الكبير (٣١/ ٣١٤) برقم (٣٤٢٩١) عن علي ﷺ وذكره صاحب كنز العمال برقم (٢٤٢٨٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء برقم (٨٣٥، ٨٣٦). وذكره السيوطي في جامع الكبير برقم (٣٢٩٠٣) ونسبه إلى ابن النجار.
قال سماحة الشيخ ابن باز: حديث الحارث الأعور ضعيف؛ لكن يسوقه المؤلف وغيره من باب الترغيب إلى أبواب الخير.

كل ليلة تغشاهم، ويقول فيه الرَّب جلَّ وعلا: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَّا الصِّيَام، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي**»[(١)].

ويقول ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» و«**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» و«**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٢)] هذا فضل عظيم.

وكان السلف يعتنون بهذا الأمر، يقولون: «اللهم سلمنا لرمضان وسلم لنا رمضان، وتسلمه منا متقبلًا»[(٣)]، كان بعضهم يدعو اللَّه ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ويدعون ستة أشهر أن يتقبله منهم، هذا من أدلة حرصهم على العمل فيه، ورغبتهم فيه، واستبشارهم به، وسأله القائل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَصَلَيْتُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ، وَأَدَيْتُ الزَّكَاةَ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَقُمْتُهُ، فَمِمَنْ أَنَا؟ **قَالَ**: «**مِن الْصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ**»[(٤)].

العبد إذا أدَّى هذه الأركان مع الاستقامة على طاعة اللَّهِ، ومع ترك محارم اللَّهِ، فلا شك إنَّه من عباد اللَّهِ الصدِّيقين ومن عباد اللَّهِ الأخيار، فإنَّ النُّصوص يفسر بعضها بعضًا، ويدل بعضها على بعض

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (١٨٩٤) وبرقم (١٩٠٤)، ومسلم برقم (١١٥١).
(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).
(٣) ينظر: الدعاء للطبراني (٩١٣)، حليه الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٦٩).
(٤) سبق تخريجه في صفحة (٣٧).

ويقيِّد بعضها بعضًا، فمن استقام على دين اللَّهِ من صلاة وصوم وزكاة وغير ذلك، وابتعد عن محارم اللَّهِ فهو من الأخيار، وهو داخل في قوله جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النِّسَاء: ٦٩].

وممَّا ينبغي الحرص عليه، مواساة الفقير في هذا الشهر الكريم، والإحسان إليه من غير زكاة الفطر، ومن غير زكاة المال بالحرص بأن يحرص المؤمن على المواساة ولو بالقليل «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(١).

فإن كل واحد إذا حرص وبذل ما تيسر تجمع للفقير خير كثير، فالمؤمن يسارع إلى الخيرات، ويواسي ويحسن، ويرجو ما عند اللَّهِ من المثوبة، ولا يستقل بل يدفع ما تيسر له خمسة، عشرة، عشرين، ثلاثين، طعام، ملابس، فالفقراء في حاجة إلى المساعدة بجميع أنواعها في هذا الشهر.

وينبغي للعبد الإكثار من قراءة القرآن الكريم، والإكثار من التسبيح والتهليل والتحميد، والتكبير والاستغفار، وقول لا حول ولا قوة إلَّا باللَّهِ، فإن هذه أعمال عظيمة وثوابها عظيم، ومع ذلك ميسرة بحمد اللَّهِ، لا كلفة فيها، نسأل اللَّه أن يوفق الجميع للمسارعة إلى كل خير، والحذر من كل شر.

وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

❀ ❀ ❀

(١) متفق عليه من حديث عن عدي بن حاتم ﷺ وفيه قصه أخرجه البخاري برقم (١٤١٧)، ومسلم برقم (١٠١٦).

المجلس الثاني:
في أجر الصيام وفوائده

وفيه ستة دروس:

الدرس الأول: لا حد لمضاعفة أجر الصِّيام

الدرس الثاني: في شرف العامل من أسباب مضاعفة الأجر

الدرس الثالث: من فوائد الصيام تضييق مجاري الدم

الدرس الرابع: وجوب حفظ الجوارح في رمضان وغيره

الدرس الخامس: بيان طبقات الصائمين

الدرس السادس: من فوائد الصيام طيب رائحة فم الصائم

الدرس الأول
لا حد لمضاعفة أجر الصِّيام

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له الْحَسَنَةُ بعَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا الصَّيام، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِى بِهِ تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي للصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، ولخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ أَطَيْبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»(١).

وفي رواية: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي**»، وللبخاري: «**لِكُلِّ عَمَلٍ كَفَّارَةٌ، وَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»(٢) ولأحمد: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ كَفَارَةٌ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»(٣).

فعلى الرواية الأولى: يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة، فتكون الأعمال تضاعفُ بعشر أمثالِها إلى سبعمائَةِ ضعفٍ إلَّا الصوم، فإنه لا ينحَصرُ تضعيفه؛ بل يضاعِفه اللَّهُ أضعافًا كثيرةً، فإن الصَّيام من الصبر، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٥٣٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٩٨٨٨) بلفظ: «**قَالَ اللَّهُ ﷻ كُلُّ الْعَمَلِ كَفَّارَةٌ إِلَّا الصَّوْمَ، وَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**».

ولهذا روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ الصَّبْرِ**»[١] وعنه ﷺ أنه قال: «**الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ**»[٢] رواه الترمذي.

والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة اللَّهِ، وصبر عن محارم اللَّهِ، وصبر على أقدار اللَّهِ المؤلمة، وتجتمع الثلاثة كُلُّها في الصوم[٣]. وتَقدَّم في حديث سلمان رضي الله عنه: «**هُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الجَنَّةُ**»[٤].

وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «**الصِّيَامُ لِلَّهِ، لَا يَعْلَمُ ثَوَابَهُ إِلَّا اللَّه**»[٥].

واعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب.

منها: شرفُ المكان المعمول فيه ذلك العمل؛ كالحرم؛ ولذلك تضاعف الصلاة في مسجديْ مكة والمدينة، كما ثبت في الصحيح

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من المراجع؛ لكن قد ورد تسمية رمضان بـ(شهر الصبر) في أحاديث منها ما أخرجه أبو داود برقم (٢٤٢٨)، وابن ماجه برقم (١٤١) عن مجيبة الباهلية: «**صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ، وَيَوْمًا مِنْ كُلِّ شَهْرٍ**» ومنها ما أخرجه الإمام أحمد برقم (٧٥٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّهِ ﷺ يقول: «**صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَصَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ**» كما سمي بذلك في حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه وقد سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٥١٩)، قد ضعفه الشيخ الألباني في المشكاة برقم (٢٩٦).

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ٢٦).

(٤) سبق تخريجه في صفحة (٣١).

(٥) جزء من حديث طويل أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٨٦٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢١٠) برقم (٣٣١٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٢) رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحي بن المتوكل ضعفه الجمهور وضعفه العلامة الألباني في الضعيف.

«صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ»(١).

وفي رواية: «فَإِنَّهُ أَفْضَلُ»(٢) ولذلك روي أن الصيام يضاعف بالحرم.

وفي سنن ابن ماجه بإسناد ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعًا: «مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ بِمَكَّةَ، فَصَامَ وَقَامَ مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ لَهُ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهُ» (٣) وذكر له ثوابًا كثيرًا.

ومنها: شرفُ الزمانِ، كشهر رمضان وعشر ذي الحجة، وتقدم في حديث سلمان في فضل شهر رمضان «مَنْ تَطَوَّعَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ»(٤).

وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه، سئل النَّبِيُّ ﷺ: أيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قال: «صَدَقَةٌ فِي رَمَضَانَ»(٥)، وفي الصحيحين عنه ﷺ قال:

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (١١٩٠)، ومسلم برقم (١٣٩٤).

(٢) في رواية لمسلم: عن ابن عمر برقم (١٣٩٥) في مسجدي هذا أفضل.

(٣) أخرجه ابن ماجه برقم (٣١١٧).

وقال سماحة الشيخ ابن باز: في تعليقه على هذا الحديث كما سيأتي في شرحه هذا بعد نهاية المتن قال: أما الصيام فلم يرد فيه حديث ثابت في مضاعفته في مكة، هذه رواية ابن ماجه أنه يضاعف فيه بمائة ألف رمضان، هذا حديث ضعيف، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: موضوع (٢/ ٢٣٢) برقم (٨٣٢).

(٤) سبق تخريجه في صفحة (٣١).

(٥) أخرجه الترمذي برقم (٦٦٣) وقال: «هذا حديث غريب وصدقة بن موسى ليس عندهم بذاك القوى».

«عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً»[١] أو قال: «حَجَّةً مَعِي»[٢]، وروي في حديث: «أَنَّ عَمَلَ الصَّائِمِ مُضَاعَفٌ»[٣].

وذكر ابن أبي مريم عن أشياخه: أنَّهم كانوا يقولون: إذا حضر شهر رمضان فانبسطوا فيه بالنَّفقة، فإن النفقة فيه مضاعفة كالنفقة في سبيل اللَّهِ، وتسبيحةٌ فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره[٤].

قال النخعي: صومُ يوم من رمضانَ أفضلُ من ألفِ يوم، وتسبيحةٌ فيه أفضل من ألف تسبيحة، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة[٥].

فلما كان الصيامُ في نفسه مضاعفًا أجْرُهُ بالنسبة إلى سائر الأعمال، كان صيامُ شهر رمضان مضاعفًا على سائر الصيام، لشرفِ زمانه، وكونه هو الصومُ الَّذِي فرضه اللَّه على عباده، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث والآثار كُلُّها تتعلق ببيان فضل العمل في هذا الشهر الكريم، فهو سيِّد الشهور، وأفضلها، والأعمال فيه مضاعفة

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخرجه البخاري برقم (١٧٨٢) واللفظ له، ومسلم برقم (١٢٥٦).

(٢) هي رواية من الحديث السابق أخرجها البخاري برقم (١٨٦٣)، ومسلم برقم (١٢٥٦).

(٣) لعل هذه الصيغة مستمده من النصوص السابقة كحديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مضاعفة سائر الخصال في شهر رمضان وقد سبق تخريجه في صفحة (٣١).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه فضائل شهر رمضان برقم (٢٥) متطوعاً، وشطره الأخير شاهد عن الزهري أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٢) وابن أبي الدنيا في فضائل رمضان برقم (٢٣) وضعفه في ضعيف الترمذي برقم (٦٨٦).

(٥) أخرجه قوما السنة الأصبهاني في الترغيب والترهيب برقم (١٧٨١).

من تسبيح وتهليل وتكبير، وقراءة قرآن، وصلاة وصدقات، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، ودعوة إلى اللَّهِ والمجاهدة، وغير هذا من وجوه الخير كُلُّها مضاعفة، من ذلك: الصِّيام يقول اللَّه جلَّ وعلا: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَّا الصِّيَام، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»[(١)] [(٢)]. معناه أنَّ الصِّيام لا يعلم كثرة مضاعفته وعدد مضاعفته إلَّا اللَّه ﷻ، وأنه يضاعف كثيرًا ـ دون حصر بعدد، كما قال ـ: «**إِلَّا الصَّيام، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي**»، يعني: المؤمن ترك هذه المُشتهيات، وهذه المفطرات من أجل اللَّهِ يتقرب إليه، ﷻ بترك شهواته، ابتغاء مرضاته ﷻ.

وهذه الشهوات ـ الأكل والشرب والجماع ـ صَعْبٌ على النفوس تركها، مابين طلوع الفجر إلى غروب الشمس؛ ولكن متى تركها العبد لِلَّهِ، يبتغي ثوابه، ويطلب أجره، ويعظم أمره، صار له بذلك الأجر العظيم عند اللَّهِ ﷻ، ولهذا قال جَلَّ وعلا: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَّا الصِّيَام، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»[(٣)] خَصَّ له هنا، لأن العبد أضمر هذا الإخلاص في قلبه، وتقرَّب إليه بمحابه من هذه الدنيا، من طعام وشراب، ونكاح وغير ذلك، يرجو ثوابه، ترك ـ ذلك ـ ابتغاء مرضاته، وقد يتركها في وقت هو أشدُّ ما يكون حاجة فيها، كأيام الصيف، فأيام الصِّيف طويلة

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

(٢) ينظر: شرح ابن بطال على البخاري (٤/ ٩)، والتمهيد لابن عبدالبر (١٩/ ٦٠) والمعلم بفوائد مسلم للمازمري (٢/ ٦١)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ٣١٦).

(٣) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

والحاجة إلى الشرب شديدة، ومع هذا فالمؤمن يتقرَّب إلى اللَّه بترك هذه الشهوات في الشتاء والصيف، يرجو ثوابَ اللَّهِ، ويخشى عقابه ﷻ، فشكر اللَّهُ له هذا العمل، وضاعف له المثوبة ﷻ.

فينبغي للمؤمن أن يحتسب هذه الأشياء، وأن يجتهد في أعمال الخير، يرجو ثواب اللَّهِ ويخشى عقابه، كما يجب أن يحذر السيئات والمعاصي كُلُّها؛ لأنَّ المعصية في هذا الشهر عظيمة، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(١).

ويقول: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**»(٢) صائم عن اللغو، والرفث عمَّا حرَّم اللَّه جلَّ وعلا، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» و«**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» و«**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٣) ويقول ﷺ: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً**»(٤) وفي اللفظ الآخر: «**حَجَّةً مَعِي**» حجة معه عليه الصلاة والسلام، هذا فضل كبير، والأعمال تضاعف بشرف الزمان، وقد تضاعف بشرف المكان، وقد تضاعف بشرف العامل نفسه، فالمضاعف بشرف المكان مثل الحرمين الشريفين فإن العمل بمكة من صلاة وصوم وصدقات تضاعف والطواف وغير ذلك تضاعف ينبغي أن يكثر من الطواف؛ لأنَّ الطواف ما يعمل إلَّا في مكة، وهو عمل يختص بمكة فيكثر من

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).
(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٧).
(٣) سبق تخريجه في صفحة (٢٦، ٢٧).
(٤) سبق تخريجه في صفحة (٤٨).

الطواف أفضل من سائر الأعمال للغرباء، أمَّا أهل مكة المقيمون بها استيطانًا فالصلاة في حقهم أفضل، كثرة الصلاة أفضل من كثرة الطواف؛ لأن الطواف عندهم دائمٌ، وقادرون عليه، وهكذا الصدقات في مكة تغتنم، وكثرة قراءة القرآن فالأجور فيها مضاعفة، ففي الحديث الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَسَاجِدِ إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ**»[(١)] فإنها خيرٌ من مئة ألف صلاة.

أمَّا الصِّيام فلم يرد فيه حديث ثابت في مضاعفته في مكة، عند ابن ماجه أنَّه يضاعف فيه بمئة ألف رمضان، وهذا حديث ضعيف[(٢)]؛ لكن على كل حال الصيام في مكة والتسبيح، وقراءة القرآن وغيرها من الأعمال الصالحات مضاعفة؛ لكن لا يعلم عدد ةولا كميتها إلَّا هو ﷻ.

وهكذا الصوم والصدقات، والصلاة وسائر الأعمال الصالحة مضاعفة أيضًا في المدينة المنورة، يقول ﷺ: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ**»[(٣)] يعني: بمئة

(١) سبق تخريجه في صفحة (٤٧).
(٢) سبق تخريجه في صفحة (٤٧).
(٣) أخرجه الإمام أحمد برقم (١٤٦٩٤)، وابن ماجه برقم (١٤٠٦) من حديث جابر رضي الله عنه، وقال البوصيري في تعليقه على إسناد ابن ماجه هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات ينظر: مصباح الزجاجه في زوائد ابن ماجه له (٢/ ١٣)، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٤/ ٣٤١) في كتاب الحج وفي صحيح سنن ابن ماجه برقم (١١٥٥) (١/ ٢٣٧). وأخرج شطره الأول البخاري برقم (١١٩٠)، ومسلم برقم (١٣٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ألف بالنسبة إلى غير مسجده عليه الصلاة والسلام.

فالمشروع للمؤمن أن يضاعف الأعمال في مكة والمدينة وفي هذا الزمان في رمضان، فإنَّ الصدقة والأعمال الصالحة تُضاعف في الزمان الفاضل وكعشر ذي الحجَّة تضاعف فيها الأعمال الصالحات، والإنسان لا يدري ما قدر حياته، فيشرع له اغتنام الفرص في كثرة الأعمال الصالحات، في الزمن الفاضل: كرمضان وذي الحجة، وفي المكان الفاضل: كمكة والمدينة يرجو ثواب اللَّه، ويخشى عقاب اللَّه، وكلما كان الإنسان أكثر عملًا صالحًا، كانت المضاعفة أكثر، فمضاعفة العمل لأصحاب الرسول ﷺ أكثر من غيرهم، لفضلهم وكمال إيمانهم حتى قال النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(١).

لو أنفق مثل أحدٍ ذهبًا، وأحد جبل عظيم في المدينة لو أنفق الإنسان مثله ذهبًا ما بلغ مدَّ الصحابة، ولا نصيف الصحابة رضوان اللَّهِ عليهم، هذا فضل عظيم لأصحاب النَّبِيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام(٢).

وهكذا من كان مجتهدًا في الأعمال الصَّالحات والتقوى لِلَّه تكون أعماله مضاعفة، وينبغي للمؤمن في هذا الشَّهر الكريم اغتنامه بكثرة الصدقات، والتسبيح والتهليل، وتفطير الصُّوَّام، وكثرة الاستغفار إلى غير هذا من وجوه الخير اغتنامًا؛ لهذه الأيام الفاضلة.

ويروى عنه ﷺ من حديث سلمان رضي الله عنه أنه قال في هذا الشَّهر الكريم: «**مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِن الخَيْرِ، كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا**

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٥٤٠).
(٢) ينظر: شرح مسلم للنووي (١٦/ ٩٣).

سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سَوَاهُ»[(١)].

ويقول الرسول ﷺ: «**شَهْرَ الصَّبْرِ**» سمَّاه شهر الصبر[(٢)]، والصبر ثوابه الجنَّة يقول اللَّهِ جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠] ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النّحل: ١٢٧] فالمقصود أن هذا الشهر فيه صبر على الصِّيام، وصبر على القيام، وصبر على حفظ الجوارح عمَّا حرَّم اللَّه، وصبر على أعمال الخير، فهو شهر الصبر من جميع الوجوه.

فالمشروع للمؤمن والمؤمنة، كثرة الأعمال الصالحة فيه، والصبر في ذلك على كل خير، مع الصبر على كف النفس عمَّا حرَّم اللَّهُ، يجاهدها حتى لا تقدم على ما حرَّم اللَّهُ، وحتى لا تَكْسَلَ عَمَّا شرع اللَّهُ.

تنبيه:

السيئة في رمضان أعظم من سيئة في شعبان، لعظم وزرها لعظم الإثم؛ لكن لا تعدد يقول جلَّ وعلا: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، كما أن السيئة في مكة أعظم منه في غيرها، وكذلك في المدينة أعظم منه في غيرها.

❀ ❀ ❀

(١) سبق تخريجه في صفحة (٣١) وهو ضعيف.

(٢) ينظر: معالم السنن للخطابي (٢/ ١٣٠).

الدرس الثاني
من أسباب مضاعفة الأجر في رمضان شرف العامل

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

في مضاعفة الأجر للأعمال في رمضان:

وقد يضاعف الثواب بأسباب أُخر منها:

شرفُ العامل عند اللَّهِ وقربهُ منه، وكثرةُ تقواهُ، كما ضُوعف أجرُ هذه الأمةِ على أجورِ من قبلَهم من الأمَمِ.

وأمَّا على الرواية الثانية: فاستثناءُ الصِّيام يرجع إلى أن سائرَ الأعمالِ للعبادِ، والصِّيام اختصهُ اللَّهُ لنفسه كما يأتي.

وأمَّا الروايةُ الثالثةُ: فالاستثناء يعود إلى التكفيرِ بالأعمالِ[(١)].

ومن أحسن ما قيلَ في ذلك ما قاله سفيانُ، قال: هَذَا مِن أَجْوَدِ الأَحَادِيثِ وَأَحْكَمِهَا «**إِذَا كَانَ يَومُ الِقيَامَةِ يُحَاسِبُ اللَّهُ عَبْدَهُ، وَيُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَظالِمِ مِنْ سَائِرِ عَمَلِهِ، حتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا الصَّومُ، فَيَتَحمَّل اللَّهُ** ﷻ **ما بقيَ مِنِ الْمَظَالِمِ، وَيُدخلُهُ بِالصَّومِ الْجَنَّةَ**» رواه البيهقي وغيره[(٢)].

---

(١) ينظر: كشف المشكل لابن الجوزي (٣/١٦٦) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٣/٢١١).

(٢) يعني به حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كل عمل ابن آدم أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/٤٥٤) برقم (٨٣٣٥)، وفي شعب الإيمان (٥/٢٠٤) برقم (٣٣٠٩).

وعلى هذا فيكون المعنى: أنَّ الصِّيام لِلَّهِ ﷻ، فلا سبيل لأحدٍ إلى أخذ أجره من الصِّيام؛ بل أجره مدخر لصاحبه عند اللَّهِ، وحينئذٍ فقد يقالُ: إنَّ سائرَ الأعمال قد يُكَفِّرُ بها ذنوب صاحبها، فلا يبقى له أجرٌ، فإنَّه رُويَ: «**إِنَّهُ يُوازَنُ يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْنَ الحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ، وَيَقُصُّ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَإِنْ بَقِيَ حَسَنَةٌ دَخَلَ بِهَا صَاحِبُهَا الْجَنَّةَ**»(١) وفيه حديث مرفوع فيحتمل أن يقال في الصوم: إنه لا يسقط ثوابهُ بمقاصَّةٍ ولا غيرها؛ بل يوفَّر أجرهُ لصاحبه حتى يدخل الجنَّة، فيوفى أجرُه فيها.

وأمَّا قوله: «**فَإِنَّهُ لِي**»(٢) فإنَّ اللَّهَ خصَّ الصِّيام بإضافته إلى نفسهِ دون سائرِ الأعمالِ؛ وَذُكر في معنى ذلك وجوه، من أحسنها وجهان(٣):

أحدهما: أنَّ الصِّيامَ مجرَّدُ ترك حُظوظ النفس وشهواتها الأصلية، التي جُبلتْ على الميل إليها لِلَّه عزَّ وَجَلَّ ولا يُوجَدُ ذلك في عبادةٍ أخرى غيرَ الصِّيام، فإذا اشتد توقان النَّفس إلى ما تشتهيه مع قُدرَتها عليه، ثمَّ تركته لِلَّهِ في موضع لا يطَّلعُ عليه إلَّا اللَّهُ، كان ذلك دليلًا على صحةِ الإيمانِ.

---

(١) ورد هذا الخبر في حديث: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الرُّوحِ الأَمِينِ، قَالَ: «**قَالَ الرَّبُّ ﷻ: يُؤْتَى بِحَسَنَاتِ الْعَبْدِ وَسَيِّئَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْقُصُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، فَإِنْ بَقِيَ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ**»، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (١٢٨٣٢)، والحاكم في المستدرك برقم (٧٦٤١) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٥): رواه الطبراني وإسناده جيد.

(٢) جزء من حديث سبق تخريجه في صفحة (٢٧).

(٣) ينظر: شرح ابن بطال على البخاري (٤/ ٩)، والتهميد لابن عبدالبر (١٦/ ٦٠)، ومالعلم بفوائد مسلم للمازري (٢/ ٦١)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ٣١٦).

فإنَّ الصَّائم يعلمُ أن له ربًا يطلَّعُ عليه في خلوتهِ، وقد حرَّمَ عليه أن يتناول شهواتِهِ المجبول على الميل إليها في الخلوة، فأطاع ربَّهُ وامتثل أمَره، واجتنب نهيه، خوفًا من عقابه ورغبةً في ثوابه، فشكر اللَّهُ له ذلك، واختصَّ لنفسه عمله هذا من بين سائر أعمالهِ؛ ولهذا قال بعد ذلك إنَّهُ «**تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجلِي**»[(١)].

قال بعض السلف: طُوبى لمن ترك شهوةً حاضرةً لموعدٍ غيب لم يره[(٢)].

لما علم المؤمن الصائمُ أن رضا مولَاهُ في ترك شهواته، قَدَّمَ رضا مولاهُ على هواه، فصارت لذتُه في ترك شهواتِه لِلَّهِ، لإيمانِه باطِّلاع اللَّهِ، وأن ثوابَه وعقابَه أعظمُ من لذةٍ يتناولُها في الخلوة، إيثارًا لرضا ربه على هوى نفسه؛ بل المؤمنُ يكرهُ ذلك في خلوته أشدَّ من كراهته لألم الضرب.

ولهذا كثيرٌ من المؤمنين لو ضرب على أن يفطرَ في رمضان لغير عذرٍ لم يفعل، لعلمه بكراهية اللَّهِ تعالى لفطرهِ في هذا الشهر، وهذا من علامات الإيمان: أن يكرهَ المؤمنُ ما يُلَائِمُهُ من شهواته إذا علمَ أن اللَّهَ يكرهُه، فتصيرُ لَذَّته فيما يرضي مولاه، وإن كان مخالفًا لهواه.

وإذا كان هذا فيما حُرِّمَ لعارض الصوم: من الطعام والشراب، ومباشرة النساء، فينبغي أن يتأكد ذلك فيما حُرِّمَ على الإطلاق،

---

(١) جزء من حديث سبق تخريجه في صفحة (٢٧).

(٢) ذكره أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٥)، وذكره البيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٢١٠) برقم (٥٤٨٤) من قول عيسى بن مريم عليه السَّلام، وذكره أبو الفرج ابن الجوزي في صفوة الصفوة (١/ ٢٥٣)، منقول بشر بن الحارث المعروف ببشر الحافي.

كالزنا وشرب الخمر، وأخذ أموال الناس بالباطل، وهتك الأعراض بغير حق، وسفك الدَّماء المحرمة، فإن هذا يسخط اللَّه على كل حال، وفي كل مكان وزمان.

الوجه الثاني: أنَّ الصِّيام سِرٌّ بين العبد وبين ربه لا يَطَّلعُ عليه غيره؛ لأنه مركبٌ من نيةٍ باطنةٍ لا يَطَّلعُ عليها إلَّا اللَّهُ، وتركٍ لتناولِ الشَّهوات التي يستخفى بتناولها في العادة؛ ولذلك قيل: لا تكتبه الحفظة، وقيل: إنه ليس فيه رياء.

وقد يرجع إلى الأول، فإن من ترك ما تدعوه نفسه إليه لله ﷻ، بحيث لا يطلع عليه غير من أمره ونهاه دلَّ على صحة إيمانه، واللَّه تعالى يحبُّ من عباده أن يعاملوه سرًا بينهم وبينهُ بحيثُ لا يَطَّلعُ على معاملتهم إياهُ سواهُ.

وقوله: «**تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجلِي**»[1]، فيه إشارةٌ إلى ما ذكر من أن الصائمين يتقربون إلى اللَّهِ تعالى، بترك ما تشتهيه نفوسهم من الطعام والشراب والنكاح، وهذه أعظمُ شهوات النفس، وفي التقرب إلى اللَّهِ بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد.

منها: كسرُ النفس، فإن الشبع والرِّيَّ ومباشرة النساء، تحملُ النفس على الأشَر والبطرِ والغفلةِ.

ومنها: تخليِّ القلب للفكر والذكر، فإن تناول هذه الشهوات قد يقسِّي القلب ويُعميه، ويحولُ بين القلب والذكر والفكر، ويستدعي الغفلة، وخلوة البطن من الطعام والشراب ينورُ القلب، ويوجبُ رقَّته، ويزيلُ قسوتهُ، ويُخْليهِ للذكر والفكر.

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

ومنها: أن الغني يعرفُ قدر نعمة اللَّه عليه، بإقداره له على ما منعهُ كثيرًا من الفقراء، من فضول الطعام والشراب، والنكاح، فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص، وحصول المشقة له بذلك، يتذكرُ به مَنْ مُنع منْ ذلك على الإطلاق، فيوجب له ذلك شكر نعمة اللَّه عليه بالغنى، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج، ومواساته بما يمكنُ من ذلك.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث والآثار والعِلَل وَالحِكَم، كُلُّها تدل على عظم شأن الصوم، ومنزلته عند اللَّهِ ﷻ؛ ولهذا يقول سبحانه فيما رواه عنه نَبيّه عليه الصَّلاة والسَّلام يقول جلَّ وعلا: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَّا الصَّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يتَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجلِي**»[(١)].

هذا يدل على أنَّ اللَّه جلَّ وعلا اختص هذه العبادة لنفسه؛ لأنَّها سر بين العبد وبين ربِّه، الصَّلَاة يراها النَّاس، والحج يراه النَّاس، والزكاة يراها النَّاس، حتَّى الشَّهادتان يسمعها النَّاس، والجهاد، وسائر المعاملات، أمَّا الصوم فهو سر بين العبد وبين ربِّه، نية بترك الطعام والشراب والجماع، يرجو ثوابَ اللَّهِ ويخشى عقابه، فاللَّه جلَّ وعلا اختصه لنفسه، وقال: «**إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي**» يعني: عبادة خاصة، ليس فيها ما يدعو إلى الرياء؛ لأنها سر بين العبد وبين ربِّه[(٢)]، وإن كان قد يتحدث بها مرائيًا؛ لكن الأصل أنَّها

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).
(٢) ينظر: شرح القسطلاني على البخاري (٨/ ٤٧٣).

لا نصيب للرياء فيها؛ لأنَّها سر بين العبد وربِّه، لأنَّها مجرد ترك أكل وشرب وجماع يبتغي ما عند اللَّهِ أي: يريد ثواب اللَّهِ، والدار الآخرة، فاختص اللَّه عمله بهذا الفضل فقال: «**إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي أَنَا أَجْزِي بِهِ**»، وجعل ثوابه وجزاءه غير محدد جلَّ وعلا يجازيه بما يشاء من مضاعفة الأجور.

وفي الصوم فوائد عظيمة:

منها: تذكر العبد ربه وإخلاصه له، وإقباله عليه بهذه العبادة، فيكسر ذلك نفسه، ويجعله خاضعًا ذليلًا مقبلًا على اللَّهِ، خائفًا منه راجيًا له؛ لكونه تقرَّب إليه بأعمال خاصة، لا يعلمها سواه بهذه النية، فينكسر لِلَّه وَيَذل له، ويعظم حرمات اللَّه، يرجو ثوابه ويخشى عقابه، ومعلوم ما في الانكسار لِلَّه والتذلل لِلَّه، من البعد عن المحارم، والإقبال على الطاعات والفضائل، فإن النفوس في الغالب متى شربت وأكلت وأعطيت حقها وحاجاتها، أصابها الأشر والبطر والتكبر، فالصوم يكسر النفس ويذلها، ويعرفها بحاجتها وأنَّها ضعيفة مفتقرة للطعام والشراب.

فهذا الترك الذي بين الفجر وبين الليل، يعرف العبد به نفسه وضعفه، وأنه في حاجة إلى هذه المادة من الأكل والشرب حتى تعيش هذه النفس، فاللَّهُ يذكره بحاجته ويذكره بضعفه، فيحصل له بذلك الانكسار والذل بين يدي اللَّه وتواضع ورغبة فيما عند اللَّهِ ورهبةً منه ﷻ، ومن ذلك أنه يتذكر في حاجته إلى الطعام والشراب في أيام الصوم، حاجة إخوانه الفقراء الَّذين يحتاجون إلى الطَّعام والشراب دائمًا، ويحتاجون إلى ما يساعدهم في جميع شؤونهم، فيرحمهم ويعطف عليهم ويتصدق، فإنه عرف حاجته لما حيل بينه

وبين الطعام والشراب معرفة أكثر، هذا يوجب له أيضًا أن يتذكر حاجة المحرومين الفقراء، الَّذين ليس عندهم ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب والنكاح، فيدعوه ذلك إلى الرحمة والعطف والإحسان والجود والكرم.

ومن ذلك أيضًا: أنَّ اللَّهَ جلَّ وعلا يُعَرِّفُ العبد حاجاته، التي تدل على أنه ضعيف مسكين، فينكسر لِلَّهِ ويذل ويجتهد في طاعته سبحانه والتقرب إليه، والبعد عن معصيته، فإذا كان هذا الفضل في ترك هذه الأمور المباحة، في وقت مخصوص تقربًا إلى اللَّهِ، دل ذلك على أنه يجب عليه أن يحذر المحرمات الأخرى، التي حرَّم اللَّه عليه في جميع الأزمان من الزنا والسرقة، والظلم للناس، وشرب المسكرات، وتعاطي الربا إلى غير ذلك من المحرمات، إذا عرف أنَّ اللَّه جلَّ وعلا قد أحبَّ منه ترك هذه الأشياء التي حرَّمها عليه في الصوم، فإنه سبحانه يحب منه أن يدع ما حرَّمه عليه دائمًا، وأن يحذره في جميع الأوقات، في جميع الأزمان والأماكن، يرجو ثواب ربِّه ويخشى عقابه، وهذا هو الواجب على العبد أن يكون مع ربِّه منقادًا لأمره، حيث أمره يأتمر، وحيث نهاه ينتهي، ليس مع نفسه؛ بل مع ربِّه، بامتثال الطاعات، والحذر من السيئات، وفي الوقوف عند الحدود، يرجو ثوابه ويخشى عقابه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] فالعبد ملك للَّه، يجب أن يخضع لهذه العبودية، ويؤدي حقها.

❀ ❀ ❀

الدرس الثالث
من فوئد الصيام (تضيِّيق مجاري الدم)

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

في فوائد الصيام:

ومنها : أنَّ الصِّيَام يُضيِّقُ مجاريَ الدَّمِ، التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم، فإن الشيطانَ يجري من ابن آدم مجرى الدم، فَتسكُنُ بالصيام وساوسُ الشيطانِ، وتنكسرُ ثورةُ الشهوة والغضب؛ ولهذا جعل النَّبِيُّ ﷺ الصوم وجاءً[(١)]، لقطعه عن شهوة النكاح.

واعلم أنه لا يتمُّ التقربُ إلى اللَّهِ تعالى بترك هذه الشهواتِ المباحةِ، في غير حالة الصيام، إلَّا بعد التقرب إليه بترك ما حرَّم اللَّهُ عليه في كلِّ حالٍ: من الكذب، والظُّلم، والعُدوانِ، على النَّاس في دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم؛ ولهذا قال ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[(٢)] أخرجه البخاري.

وفي حديث آخر: «**لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا**

---

(١) يشير بذلك لحديث عبداللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «**وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**» متفق على صحته أخرجه البخاري برقم (١٩٠٥)، ومسلم برقم (١٤٠٠).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٧).

الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ[١] **وَالرَّفَثِ**»[٢] قال ابن المديني: على شرط مسلم.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «**الصَّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَفْسُقْ، وَلَا يَجْهَلْ، فَإِنِ سَابَّهُ أَحَدٌ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**»[٣].

«**الجُنة**»[٤]: ما يَسْتُرُ صاحبَه، ويحفظُه من الوقوع في المعاصي، «**والرَّفثُ**»: الفُحْشُ، ورديءُ الكلامِ[٥].

ولأحمد والنسائي عن أبي عُبيدة ﷺ مرفوعًا: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يُخَرِّقْهَا**»[٦].

وروى الطبراني عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «**إِنَّ الصِّيَامَ جُنَّةٌ مَا لَمْ يُخَرِّقْهَا، قِيلَ: بِمَ يُخَرِّقْهَا؟ قَالَ: بِكَذِبٍ أَوْ غِيبَةٍ**»[٧].

وروي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «**الصَّائِمُ فِي عِبَادَةٍ، مَا لَمْ**

---

(١) اللغو: هو التكلم بما لا يعني. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٢).

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ ابن خزيمة برقم (١٩٩٦)، وابن حبان برقم (٣٤٧٩)، والحاكم في المستدرك، برقم (١٥٧٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١/ ٥٩٥).

(٣) سبق تخريجه في صفحة (٢٧).

(٤) ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ١٧٨)، والنهاية لابن الأثير (١/ ٣٠٨).

(٥) ينظر: الصحاح للجوهري (١/ ٢٨٣).

(٦) أخرجه الإمام أحمد برقم (١٦٩٠) مطولاً، والنسائي برقم (٢٢٣٥) مختصراً وحسنه محققو المسند.

(٧) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٤٥٣٦). وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٧١) رواه الطبراني في الأوسط وفيه الربيع بن بدر وهو ضعيف.

يَغْتَبْ[١] مُسْلِمًا أَو يُؤْذِهِ»[٢] وعن أنس رضي الله عنه: «مَا صَامَ مَنْ ظَلَّ يَأْكُلُ لُحوْمَ النَّاسِ»[٣].

قال بعض السلف: أهونُ الصِّيامِ: تركُ الطَّعام والشَّراب.

قال الشارح رحمه الله:

هذه الأحاديث والآثار كُلُّها تدل على أنَّ الصيام يجمع الأمرين: يجمع بين ترك الطعام والشراب والمفطرات، وبين الكف عن محارم اللَّه، التي حرَّمها دائمًا، فإن تحريمها في رمضان يكون أشدّ، فالصائم الكامل الصوم، هو الذي يدع ما حرَّم اللَّه عليه من الطعام والشراب والمفطرات، رجاء رحمة اللَّه وعفوه، وامتثال أمره، ويدع ما حرَّم اللَّه عليه من سائر المعاصي كذلك، هكذا يكون الصِّيام، وهذا الصِّيام الكامل، صيام المؤمنين ـ الامساك عن المفطر ـ، والكف عن محارم اللَّه دائمًا يرجو بذلك ثواب اللَّه ويخشى عقابه، لا عن رياء، ولا سمعة، ولا تقليد، ولا تجلد، ولكن رغبة فيما عند اللَّه عن إخلاص وعن صدق، يرجو ثواب اللَّه، ويخشى

(١) الغيبة: وهو أن يُذكر الإنسان في غيبته بسوء، وإن كان فيه ما ذكرته. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٩٩).

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل برقم (١٤٢١)، وابن الجوزي في العلل المتناهية برقم (٨٨٧) وقال: «ووهم فيه والصحيح عن هشام عن حفصه عن أبي العالية من قوله غير مرفوع»، وقال العلامة الألباني في الضعيف (١٨٢٩) «منكر».

(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده برقم (٢٢٢١) مطولاً، وابن أبي شيبة في المصنف (٨٨٩٠) مختصراً من حديث أنس رضي الله عنه قال الإمام الزيلعي في نصب الراية (٢/ ٤٨٢) «وورد في ذلك احاديث مرفوعه وذكره» وضعفه الألباني في الضعيف (٩/ ٤٣٩).

عقابه: ولهذا يقول ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا**»[(١)] ليس هو مجرد ترك الطعام والشراب؛ بل من صام رمضان إيمانًا بأنَّ اللَّه شرعه، وأوجبه عليه، واحتسابًا: يرجو ثوابه عند اللَّه جلَّ وعلا: «**غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٢)] وهكذا «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٣)].

فالصِّيام نعمة من اللَّهِ، ورحمة من اللَّهِ، وتوجيه من اللَّهِ لعباده إلى الخير؛ ولهذا سمَّاه جُنَّة، قال: الصِّيام جُنَّة، والجنَّة ما يستتروا بها عند القتال، فالسيوف جُنَّة يجتنُّ بها عند القتال عن السيوف وعن الرماح، والصيام جنة أحدنا من النَّار كجنته من القتال، يدفع اللَّه به عنه شر الدُّنيا والآخرة، إذا أخلص وصدق؛ ولهذا قال ﷺ: «**وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ**»[(٤)].

يرفث؛ الرفث: الجماع، ورديء الكلام، والفسوق: جميع المعاصي، فالصائم لا يصخب فلا يفعل ولا يتكلم بما لا ينبغي، فإن سَابَّه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم؛ ولهذا يقول جابر رضي الله عنه: «**إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَلِسَانَكَ عِنِ الْكَذِبِ وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ أَذَى الجَارِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ صَوْمِكَ وَيَوْمَ فِطْرِكَ سَوَاء**»[(٥)].

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

(٣) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

(٤) وفي بعض رواياته «**دَعْ عَنْكَ أَذَى الخَادِمِ**»، وفي بعضها «**دَعْ عَنْكَ أَذَى الخَاصَّة**».

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم (١٣٨)، وابن أبي شيبة في المصنف برقم (٨٨٨٠).

قال أنس رضي الله عنه: «**مَا صَامَ مَنْ ظَلَّ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ**»[(١)].

يعني: من ظل يغتاب الناس، قال ﷺ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا. قِيلَ: وَبِمَ يَخْرِقُهَا؟ قَالَ: بِكَذِبٍ، أَوْ غِيبَةٍ**»[(٢)].

واللغو إن كان كلامًا خفيفًا صادق، لا بأس، وأمَّا إن كان مزحًا كثيرًا فيكره

وهذا الصِّيام يضيِّق اللَّهُ بها مجاري الدم التي يجري منها الشيطان، الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم، وهذا الصِّيام يضيق المجاري ويسدها على عدو اللَّهِ لمن أخلص وصدق، وهذه الأيام فرصة للمؤمن، يجاهد فيها نفسه ويعبد فيها ربَّه، ويجتهد فيها في أنواع العبادة والذكر، يرجو ثواب ربَّه ويخشى عقابه.

وهكذا جميع الفرص، فرصة الحج فرصة العمرة، فرصة عشرة ذي الحجة، وفرصة الاجتماع بالأخيار، فرصة مجالس الذكر، كهذه الفرصة يعتني فيها المؤمن، حتى يزداد إيمانه، وحتى تكثر أعماله الطيبة، ويحذر من الاجتماعات الضارة، والزيارات الضارة، وليحرص على أن تكون زيارته في اللَّه، ولِلَّهِ وفي سبيل اللَّهِ، وأن تكون اجتماعاته مع أهل الخير والإصلاح والاستقامة، لا مع أهل الغفلة والغيبة والنميمة.

وهكذا في جميع أوقاته، يحفظ وقته ويصونه، عمَّا حرم اللَّه، فالمؤمن صوان لوقته، صوان للجوارح، واقف عند الحدود، يرجو ثواب اللَّه، ويخشى عقاب اللَّه، قال تعالى عن الرسل وأتباعهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟

(١) سبق تخريجه في صفحة (٦٣).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٦٢).

لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠] هكذا أولياء اللَّهِ، وقال عنهم جلَّ وعلا أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١] يعملون وهم خائفون وجلون، يعملون الصالحات ويجتهدون في الخيرات، وهم على وَجَل وخوف، يخشون أن ترد عليهم أعمالهم، وألا تقبل لتقصير اقترفوه، أو شرط أخلوا به أو غير هذا من أسباب الرد.

❋ ❋ ❋

الدرس الرابع
وجوب حفظ الجوارح في رمضان وغيره

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال جابرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَلِسَانَكَ عِنِ الْكَذِبِ وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ أَذَىَ الجَارِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ[١] وَسَكِينَةٌ[٢]، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ صَوْمِكَ وَيَوْمَ فِطْرِكَ سَوَاء»[٣].

إذا لم يكنْ في السَّمع مني تصاوُنٌ ... وفي بصري غَضٌّ، وفي منطقي صمتُ
فحظِّي إذًا من صومي الجوعُ والظمأ ... فإن قلتُ: إني صمتُ يومي فما صمتُ

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ»[٤].

وسرُّ هذا: أنَّ التقربَ إلى اللَّهِ بتركِ المباحات، لا يكملُ إلَّا

---

(١) الوقار: الرّزانه والحلم والهيبة، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة: [وقر] حرف الواو مع القاف (ص٩٨٤).

(٢) السكينة: الطمأنينة والمهاربة والوقار ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة: [سكن] باب حرف السين مع الكاف (ص٤٣٠).

(٣) سبق تخريجه في صفحة (٦٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٨٨٥٦)، وابن ماجه برقم (١٦٩٠)، والنسائي في الكبرى برقم (٣٢٤٩)، وابن خزيمة برقم (١٩٩٧) واللفظ له، والحاكم (١/ ٥٩٦)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجه (٢/ ٦٩): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات»، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير «ورجاله موثوقون» (٣/ ٢٦٠) برقم (٥٢٣٢).

بعدَ التقرب إليه بترك المحرمات، فمن ارتكب المحرمات، ثُمَّ تقرَّبَ إلى اللَّهِ بترك المباحات؛ كان بمثابة من يتركُ الفرائض، ويتقربُ بالنوافل.

وفي مسند أحمد: أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا فِي عَهْد رَسُولُ اللَّهّ ﷺ فكَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ. فَذُكرَ ذَلِكَ للنَّبِيَّ ﷺ فَأَعْرَضَ عَنْهُما، ثُمَّ ذُكِرتَا لَهُ، فَدَعَاهُمَا، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَتقِيئا، فَقَاءَتَا قَدْحًا قَيْحًا أَوْ دَمًا وَصَدِيدًا وَلَحْمًا عِبيطًا، فقَالَ ﷺ: «**إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمَا، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا، جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى فَجَعَلَتَا تَأْكُلَانِ لُحُومَ النَّاسِ**»(١).

وقولُه ﷺ: «**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ**»(٢).

أمَّا فرحةُ الصائم عند فطره: فإنَّ النَّفوسَ مجبولةٌ على الميل إلى ما يلائمُها، من مطعم، ومشرب، ومنكح، فإذا مُنعت من ذلك في وقت من الأوقات، ثم أُبِيح لها في وقتٍ آخر، فَرِحَت بإباحة ما مُنعت عنه، خصوصًا عند اشتداد الحاجة إليه.

فإن النفوس تفرح بذلك طبعًا، فإن كان ذلك محبوبًا لِلَّهِ، كان محبوبًا شرعًا، والصائمُ عند فطرِه كذلك، فكما أنَّ اللَّه حرَّم على الصائم تناوُل هذه الشهوات، في نهار الصِّيام، فقد أذنَ له فيها في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٣٦٥٣) عن عبيد مولى رسول اللَّه ﷺ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧١) ورواه كله أحمد وروى أبو يعلى نحوه وفيه «رجل لم يسم» ينظر: الضعيفة (٢/ ١٠) برقم (٥١٩).
وقال سماحة الشيخ ابن باز في صحته نظر، وقال مرة أخرى: هو منكر، والظاهر أنه لا يصح.

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٧).

ليل الصَّيام؛ بل أحبَّ منه المبادرة إلى تناولِها، في أول اللَّيل وآخره؛ بل أحبُّ عبادهِ إليه أعجلُهُم فطرًا، لما في الصحيحين عن سهلٍ ﷺ مرفوعًا: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**»(١).

وللترمذي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «**قَالَ اللَّه ﷻ: أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُم فِطْرًا**»(٢).

وروى أحمد عن أبي ذرّ ﷺ مرفوعًا: «**لَا تَزَالُ أُمَتِي بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوْا الفِطْرَ، وَأَخَرُوا السَّحُوْرَ**»(٣).

وروى الحاكمُ، وابن عساكر عن ابن عمر، وأنسٍ ﷺ مرفوعًا: «**مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ تَعْجِيلُ فِطْرِهِ، وَتَأْخِيرُ سَحُورِهِ، وَتَسَحَرُوا فَإِنَّهُ الغِذَاءُ المُبَارَكُ**»(٤)، «**وَاللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى المُتَسَحِرِينَ**»(٥).

فالصائمُ ترك شهواته لِلَّهِ بالنَّهار، تقرَّبًا إليه وطاعةً له، ويبادرُ إليها في اللَّيل تقرُّبًا إلى اللَّه وطاعةً له، فما تركَها إلَّا بأمرِ ربِّهِ. ولا عادَ إليها إلَّا بأمر ربِّهِ، فهو مطيعٌ له في الحالتين، فإذا بادر الصائمُ إلى الفطر تقرُّبًا إلى مولاه، وأكل وشرب وحمد اللَّهَ، فإنه يُرجى له

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري برقم (١٩٥٧)، ومسلم برقم (١٠٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٧٠٠) وقال: «حديث حسن غريب».

(٣) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢١٣١٢) من حديث أبي ذر ﷺ.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/١٣٨) من حديث أنس ﷺ.

(٥) هذا الجزء من الحديث أخرجه أحمد برقم (١١٠٨٦) عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ فَلَا تَدَعُوهُ وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جَرْعَةً مِنْ مَاءٍ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى المُتَسَحِّرِينَ**»، وحسنه الألباني في صحيح برقم (٣٦٨٣) وأخرجه الروياني في مسند برقم (١٤٣٢)، وابن حبان في صحيحه برقم (٣٤٦٧) من حديث ابن عمر وحسنه العلامة الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان برقم (٣٤٥٨).

المغفرةُ وبُلوغُ الرِّضوان بذلك.

وفي الحديث: «**إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»(١)، وَرُبما استُجيبَ دعاؤه عند ذلك، كما في الحديث المرفوع: «**إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ لَا تُرَدُّ**»(٢).

ولأحمد والترمذي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ...**» الحديث(٣)، وعن ابن عمر ﷺ مرفوعًا: «**لِكُلِّ عَبْدٍ صَائِمٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ إِفْطَارِهِ، أُعْطِيَهَا فِي الْدُّنْيَا، أَوْ ادُّخِرَتْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ**»(٤).

ورُوي عن أنس وابن عباس ﷺ كان النَّبِيُّ ﷺ إذا أفطر قال: «**اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ**» «**فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (١٧٥٣) عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ﷺ، قال البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٢/ ٨١): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

(٣) وتمامه: «**وَالْإِمَامِ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومُ**» أخرجه الإمام أحمد برقم (٨٠٤٣)، والترمذي برقم (٢٥٩٨)، وابن ماجه برقم (١٧٥٢)، وقال محققو المسند «حديث صحيح بطرق وشواهده».

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول "النسخة المسندة" برقم (٣٥٥) ورمز له بالحسن الإمام السيوطي في الجامع الصغير برقم (٤٧٣٣٤).

(٥) رواه أنس أخرجها الشجري في أماليه كما في ترتيبها برقم (١٩٢٩) بتماماه، والطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٧٠) برقم (٧٥٤٥) مقتصراً على شطره الأول. وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٥٦) برقم (٤٨٩٢): « رواه الطبراني في الأوسط وفيه داود بن الزبد مكانه وهو ضعيف». =

ورُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: كان إذا أفطر قال: «**ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَوَجَبَ** [وَثَبَتَ] **الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ** [تعالى]»[(١)]، وروي عنه أنه كان إذا أفطر يقولُ: «**اللَّهُمَّ يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ، اغْفِرْ لِي**»[(٢)] يقوله: حين يفطر مباشرة.

وإن نوى بأكله وشُربه تقويةَ بدنه، على القيام والصيام، كان مُثابًا على ذلك، كما أنه إذا نوى بنومه في الليل والنهار، التقوِّي على العمل كان نومُه عبادةً.

وفي حديثٌ مرفوعٌ: «**نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ، وَصَمْتُهُ تَسْبِيحٌ، وَعَمَلُهُ مُضَاعَفٌ، وَدُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ، وَذَنْبُهُ مَغْفُورٌ**» رواه البيهقي[(٣)].

قال أبو العالية[(٤)]: الصائمُ في عبادةٍ ما لم يغتب أحدًا، وإن

= روايه ابن عباس أخرجها الطبراني في الكبير برقم (١٢٧٢٠) وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٥٦) برقم (٤٨٩٣): «رواه الطبراني في الكبير وفيه عبدالملك بن هارون وهو ضعيف.

(١) أخرجه أبو داود برقم (٢٣٥٧)، والدارقطني في السنن (٣/ ١٥٩) وقال: «تفرد به الحسين بن واقد وإسناده حسن».

(٢) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه برقم (٣٤٩)، واللبيهقي في الشعب (٥/ ٤٠٧) برقم (٣٦٢٠) موقوفاً على ابن عمر، وأخرجه أبو نعيم في الحليه (٣/ ٤٤) عن ابن عمر مرفوعاً.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٤٢٢) برقم (٣٦٥٤) من حديث عبداللَّه بن أبي أوفى وقال معروف بن حسان ضعيف وسليمان بن عمرو والنخعى أضعف منه، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٨٣) عن ابن مسعود مرفوعاً، وأخرجه السهمي في تاريخ جرجان (ص ٣٧٠) من حديث محمد بن علي بن الحسين مرفوعاً.

(٤) هو: رفيع بن مهران الرِيَاحي من كبار التابعين الثقات مجمع على توثيقه. ينظر: ترجمته الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١١٢)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٣/ ٢٨٤).

كان نائِمًا على فراشة رواه عبدُالرَّزاق[١].

فالصائم في ليله ونهاره في عبادةٍ، ويستجابُ دعاؤه في صيامه وعند فطره؛ فهو في نهاره صائمٌ صابرٌ، وفي ليله طاعمٌ شاكرٌ. وفي حديث رواه الترمذي[٢] وغيرهُ: «**الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ**».

ومن فهِم هذا لم يتوقف في معنى: فرح الصائِم عند فطره؛ فإنَّ فِطرهُ على الوجه المشار إليه، من فضل اللَّهِ ورحمته، فيدخل في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يُونس: ٥٨] ومن شرط ذلك: أنَّ يكون فطرُهُ على حلالٍ، فإن كان فطرهُ على حرام كان ممَّن صام عمَّا أحلَّ اللَّهُ، وأفطرَ على ما حرَّم اللَّهُ، ولم يستجب له دعاءٌ.

وأمَّا فرحُهُ عند لقاء ربه: فبما يجدُهُ عند اللَّهِ من ثواب الصَّيام مُدَّخرًا، فيجُده أحوج ما كان إليه، كما قال تعالى ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المُزّمل: ٢٠] ولابن خُزيمة: «**فَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ ﷻ فَرِحَ بِصَوْمِهِ**»[٣]، وفي المسند عن عقبة بن عامر رضي الله عنه،

(١) في مصنفه (٤/ ٣٠٧) برقم (٧٨٩٥)، وابن أبي شيبة في المصنف برقم (٨٨٨٩) والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٤٩) برقم (٣٣٧٩).

(٢) أخرجه برقم (٢٤٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال هذا: «حديث حسن غريب»، وأخرجه ابن ماجه برقم (١٧٦٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥١) برقم (٧١٩٤) وصححه ووافقه الذهبي (٤/ ١٥١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٩٠٤)، ومسلم برقم (١١٥١)، وابن خزيمة برقم (١٨٩٦)، وابن حبان برقم (٣٤٢٣) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يَوْمٍ إِلَّا يُخْتَمُ عَلَيْهِ**»(١).

وعن عيسى عليه السلام قال: «**إِنَّ هَذَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِزَانَتَانِ، فَانظُرُوا مَاذَا تَضَعُونَ فِيهَمِا**»(٢)، فالأيام خزائنُ للنَّاس، ممتلئةٌ بما خزنوه فيها، من خير وشر. وفي يوم القيامة تُفْتَحُ هذه الخزائنُ لأهلها، فالمتقُون يجدون في خزائنهم العزة والكرامة، والمذنبُون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة.

قال الشارح رحمه الله:

الصَّيام الَّذي شرعه اللَّهُ لعبادِهِ، جعلَهُ وسيلةً إلى حفظِ جوارحِهم عن محارم اللَّهِ، واستعمالها في طاعة اللَّهِ، وتذكر نِعم اللَّهِ، التي أنعم بها عليهم، أحدَ عشرَ شهرًا في كلِّ سنَّة، يأكلون في اللَّيل والنَّهار، ويشربون ويأتون النِّساء في اللَّيل والنَّهار من دون مأخذةٍ في ذلك؛ بل أباح لهم ذلك فضلًا منه سبحانه وتعالى، ثم ذكرهم بهذه النعم، في شهر واحد، هو شهر رمضان؛ ليشكروه، ويحمدوه، ويعرفوا ما أحسن به إليهم جلَّ وعلا.

فالواجب على المؤمن، أن يعرف قدر هذه النِّعمة، وأن يصون شهره عن محارم اللَّهِ، وأن يجتهد في عِمَارَتِهِ بطاعة اللَّهِ، وذكرِهِ، وشكرِهِ، واستغفار، والتَّوبة إليه حتى يكون هذا الشهر غنيمة له،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم (٧١٣١٦)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (٧٨٢) (١٧/ ٢٨٤)، وفي الأوسط برقم (٣٢٣٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠٣) برقم (٣٨٠٨) رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه ابن لهيعة وفيه كلام.

(٢) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (٢/ ٢٩٤) برقم(٧٨٠)، وابن أبي الدنيا في الزهد (ص٤٢٥) برقم (٤٢٣).

ونعمة كبرى ساقها اللَّهُ إليه، يتطوع فيها بالأعمال الصَّالحات، ويجتهد فيها بأنواع الخيرات؛ ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[(١)] وقول الزور: الكذب، والعمل به: يدعى الإيمان يفعل المحرمات، وكل المعاصي تُضعف الإيمان، ويقول ﷺ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ ...، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ**»[(٢)].

ويقول جابر رضي الله عنه: «**إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَلِسَانَكَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ أَذَى الجَارِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ صَوْمِكَ وَيَوْمَ فِطْرِكَ سَوَاء**»[(٣)].

ويقول ﷺ لما بشرهم برمضان قال لهم: «**إِنَّهُ شَهْرُ بَرَكَةٍ، يَغْشَاكُمُ اللَّهُ [فِيهِ] فَيَحُطُّ الخَطَايَا، وَتَنْزِلُ الرَّحْمَةُ، وَيُسْتَجَابُ فِيهِ الدُّعَاءُ، فَيَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى تَنَافُسِكُمْ، وَيُبَاهِي بِكُمْ مَلَائِكَتَهُ، فَأَرُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةَ اللَّهِ ﷻ**»[(٤)].

فهذا الشهر، ميدان السباق يتسابق فيه المؤمنون إلى ربِّهم جلَّ وعلا، بأنواع الطاعات، وأنواع الخير، ليلًا ونهارًا، فينبغي للمؤمن أن يكون في نهارِهِ وفي ليلِهِ مجتهدًا في طاعة اللَّهِ، إن نام نام ليستعين بنومه على طاعة اللَّهِ، وإن أكل، أكل ليستعين بأكله على طاعة اللَّهِ، وإن شرب هكذا، فهو يجتهد في أنواع العبادة، ويستعين

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٧).
(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٧).
(٣) سبق تخريجه في صفحة (٦٤).
(٤) سبق تخريجه في صفحة (٢٤).

بِنعمِ اللَّهِ على طاعة اللَّهِ.

والسُّنَّة له أن يبادر بالإفطار؛ لأن اللَّهَ جلَّ وعلا يقول: «**أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْراً**»[(١)] ويقول الرَّسُول ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**»[(٢)] وفي لفظ آخر: «**وَأَخَّرُوا السُّحُورَ**»[(٣)] فمن نعم اللَّهِ أن شرع السحور؛ ليتقوى به على طاعة اللَّهِ بالنَّهار، وشرع الإفطار والمبادرة إليه، ليتقوى به على طاعة اللَّهِ باللَّيل؛ وليعرف قدر نعمة اللَّهِ عليه، حيث منعه ثُمَّ أذن له؛ لتعرف قدر نعمة اللَّهِ عليك، حيث منعت من تناول المفطرات ثم أذن لك، فتعرف فضل اللَّهِ عليك، وإحسانه إليك، وهو سبحانه القادر على أن يجعل الصَّوم شهرين أو ثلاثة، لا معقب لحكمه ﷻ، هو القادر أيضًا أن يمنعك من كذا، ويحرم عليك كذا؛ ولكنه جلَّ وعلا لطف بعباده، ورحم عباده، فجعله شهرًا واحدًا، ومنعهم من الأكل والشرب، والجماع، وما لحق بذلك من المفطرات؛ ليذكرهم نعمه وفضله عليهم في بقيَّة السَّنة.

ثُمَّ أنت أيُّها المؤمن، مأمور بالمسارعة إلى الخيرات في جميع الزمان من التسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، والصَّدقات والصَّلاة، والصَّوم وغير ذلك، فبادر إلى هذه الخيرات وسارع إليها في هذا الميدان، ميدان السباق ميدان العبادة، ميدان مضاعفة الأجور في هذا الشهر الكريم.

❀ ❀ ❀

(١) سبق تخريجه في صفحة (٦٩).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٦٩).

(٣) سبق تخريجه في صفحة (٦٩).

الدرس الخامس
في طبقات الصائمين

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الصَّائمون على طبقتين:

إحدهما: من ترك طعامهُ وشرابهُ وشهوته لِلَّه ﷻ، يرجو عنده عوض ذلك في الجنَّة، فهذا قد تاجر مع اللَّهِ وعامله، واللَّهُ تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملًا، ولا يخيبُ معه من عامله، بل يربحُ عليه أعظم الربح.

وقال ﷺ لرجل: «**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللَّهِ إِلَّا آتَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ**»(١) رواه أحمد.

فهذا الصائمُ يُعطى في الجنَّة ما شاء من طعام وشراب ونساء، قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحَاقَّة: ٢٤] قال مجاهدٌ وغيره: نزلت في الصائمين.

وقال يعقوبُ بن يوُسف: بلغنا أنَّ اللَّهَ تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة: يا أوليائي، طالما نظرت إليكم في الدنيا، وقد قَلَصَتْ شفاهكم عن الأشربة، وغارت أعينكم، وخفقت بطونكم، كونوا

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٠٧٣٩) عن رجل من أهل البادية، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٣٨٥) برقم (١٨١٢٩). رواه أحمد بأسانيد ورجالها رجال الصحيح.

اليوم في نعيمكم، وتعاطوا الكأس فيما بينكم، وكلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية[١].

وقال الحسن: «تقول الحوراء لولي اللَّهِ، وهو متكئٌ معها على نهر العسل، تُعاطيه الكأس: إنَّ اللَّهَ نظرَ إليك في يوم صائفٍ بعيد ما بين الطرفين، وأنت في ظمأ هاجرةٍ من جَهد العطش، فباهى بك الملائكة، وقال: انظروا إلى عبدي، ترك زوجته وشهوته، وطعامه وشرابه من أجلي، رغبة فيما عندي، أُشهدُكم أني قد غفرت له، فغفر لك يومئذ، وزوَّجنيك»[٢].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ غَيْرُهُمْ**»[٣] وفي رواية: «**إِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ**»[٤].

وللطبراني عن سهل مرفوعًا: «**لِكُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ البِرِّ، بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ بَابَ الصِّيَامِ يُدْعَى الرَّيَّانُ**»[٥].

وللطبراني في حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ في منامه الطويل: «**وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْهَثُ عَطَشًا، كُلَّمَا**

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء برقم (٦٦) (ص ٤٨)، وفي كتاب الجوع برقم (٥٢) (ص ٣٨).
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع برقم (٥٤).
(٣) متفق عليه من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (١٨٩٦)، ومسلم برقم (١١٥٢).
(٤) هي جزء من حديث سهل السابق، وليست رواية أخرى.
(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٩٢) برقم (٥٩٧٠). وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٤/ ٦٦) برقم (٤٧١٣).

دَنَا مِنْ حَوْضٍ طُرِدَ، فَجَاءَهُ صِيَامُ رَمَضَانَ فَسَقَاهُ وَأَرْوَاه»[١].

وروى ابن أبي الدنيا[٢] أن النبي ﷺ: «**بَعَثَ أَبَا مُوسَى عَلَى سَرِيَّةٍ فِي الْبَحْرِ، فَهَتَفَ بِهِمْ هَاتِفٌ: يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ، قِفُوا أُخبرُكم بِقَضَاء اللَّهِ عَلَى نَفْسِهِ، أَنَّ مَنْ عَطَّشَ نَفْسَهُ فِي يَوْمٍ حَارٍّ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَن يُرْوِيَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**» وللبزّار: «**فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ العَطَشِ**»[٣].

وللبيهقيِّ عن عليٍّ رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَنَ منَعه الصِّيَامُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، وَسَقَاهُ مِنْ شَرَابِهَا**»[٤].

وذكر ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «**الصَّائِمُونَ يَنْفَحُ مِنْ أَفوَاهِهِم رِيحُ المِسْكِ، وَتُوضَعُ لَهُمَ مَائِدَةٌ تَحْتَ العَرْشِ، يَأكلُون مِنَهَا وَالنَّاسُ فِي الحِسَابِ**»[٥] وعن أنس رضي الله عنه موقوفًا: «**إِنَّ لِلَّهِ مَائِدَةً**

---

(١) أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (ص ٢٧٣)، وابن بشران في أماليه برقم (٢٤٩) والشجري في أماليه كما في ترتيبها برقم (١٣٦٧) وقوام السنه الأصبهاني في الترغيب والترهيب برقم (٥٠٢) وابن الجوزي في العلل المتناهية برقم (١١٦٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٧٩) برقم (١١٧٤٦) : «رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي، وفي الآخر خالد بن عبدالرحمن المخزومي وكلاهما ضعيف» وانظر: السلسلة الضعيفة (١٤/ ١٢٣).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم (١٣٠٩) وعبدالرزاق في مصنفه برقم (٧٨٩٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٨٩٠١)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٦٠)، وابن أبي الدنيا في الهواتف برقم (١٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البزار في مسنده برقم (٤٩٧٤) وقال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه وقد روى عن أبي موسى من قوله وفيه زيادة كلام من قول أبي موسى.

(٤) أخرجه في شعب الإيمان (٣/ ٤١٠) برقم (٣٦٣٤).

(٥) أخرجه في كتاب "الجوع" (ص ٢٢٢) برقم (١٣٩).

لَمْ تَرَ مِثْلَهَا عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، لا يَقْعدُ عَلَيْهَا إِلَّا الصَّائِمُونَ»[(١)].

وعن بعض السلف قال: بلغنا أنه يوضعُ لهم مائدةٌ يأكلون منها والناسُ في الحساب، فيقولون: يا ربَّنا نحن نحاسبُ وهؤلاء يأكلون؟ فيقال: إنهم طالما صامُوا وأفطرتُم، وقاموا ونُمتمْ[(٢)].

ورأى بعض العارفين في منامه، كأنه أدخل الجنَّة، فسمع قائلًا يقول له: هل تذكر أنك صمت لِلَّهِ يومًا قط؟ فقال: نعم؛ قال: فأخذتني صواني النثار من الجنَّة، ومن ترك في الدنيا لِلَّهِ طعامًا وشرابًا مدة يسيرةً، عوضهُ اللَّهُ عنه طعامًا وشرابًا لا ينفدُ، وأزواجًا لا تَمُتْنَ أبدًا.

شهرُ رمضانَ: فيه يُزوجُ الصائمون، في الحديث: «**إِنَّ الْجَنَّةَ لَتُزَخْرَفُ وَتُبَخَّرُ مِنْ الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ لِقُدُوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَتَقُوْلُ الْحُوْرُ: يَا رَبِّ اجْعَلْ لَنَا فِيْ هَذَا الشَّهَرِ مِنْ عِبَادِكَ أَزْوَاجًا، تَقَرُّ أَعْيُنَنَا بِهِمُ، وَتَقَرُّ أَعْيُنُهُمْ بِنَا**»[(٣)].

وفي حديث آخر: «**إِنَّ الحُور تُنَادِي فِي شَهْرَ رَمَضَان: هَلْ مِنْ خَاطِبٍ إِلَى اللَّهِ فَيُزَوِجُهُ؟**»[(٤)] مهورُ الحور العين: طولُ التجهد، وهو حاصل في شهر رمضان أكثر من غيره.

والثانيةُ: من الصائمين من يصوم في الدنيا عمَّا نهى اللَّهُ،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩٤٤٣) مرفوعا إلى النبي ﷺ باب الياء، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد برقم (٥٠٩١) (٣/ ٣٢٠): رواه الطبراني فيه عبدالمجيد بن كثير الحراني لم أجد من ترجمه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع ص (٢٣٦) برقم (١٤٦).

(٣) سبق تخريجه في صفحة (٣٦).

(٤) هذا جزء من حديث طويل سبق تخريجه في صفحة (٣٦).

فيحفظُ الرأس وماوعى، والبطن وماحوى، ويذكر الموت والبلى، ويريدُ الآخرة ويترك زينة الدنيا، فهذا عيدُ فطره يوم لقاء ربه، وفرحه برؤيته. يا معشر الصائمين: صوموا اليوم عن شهوات الهوى؛ لتدركوا عيد الفطر يوم اللقاء، لا يطولنَّ عليكم الأملُ، باستبطاء الأجل، فإن معظم نهار الصيام قد ذهب، وعيد اللقاء قد اقترب.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب الريان هو للصائمين، الذين يصومون فرضهم، بمعنى لو أن إنسان أسلم فمات قبل أن يصوم، لا يدخل من هذا الباب، وإنما يدخل من أبواب أخرى إذا صار من أهل الجنة، والمقربون والأخيار يدعون من الأبواب كلها.

والأدلَّة الشَّرعية، دلَّت على أنَّ الصَّائمين، طبقتان:

الطبقة الأولى: صامت الصَّوم الشَّرعي في رمضانَ، وهكذا في صيامها التطوعات والكف عن محارم اللَّه في رمضان مِن الطَّعام والشَّراب والنِّكاح، وكفوا عن المعاصي فلها أجر عظيم، وفضل كبير، قد وعدها اللَّه خيرًا كثيرًا، كما قال جلَّ وعلا لأهل الجنَّة: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحَاقَّة: ٢٤] يعني: بما مضى من صيامكم وأعمالكم الطيِّبة في الدنيا[(١)]، ويقول جلَّ وعلا: في ما تقدم في الحديث الصحيح «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ. إِلَّا الصِّيَامُ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي**»[(٢)].

(١) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٣٢).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٧).

هذه الطبقة، صامت عن الطعام، والشراب، و النكاح، وعن كل ما حرم اللَّه، ترجوا ثوابه وتخشى عقابه، فلها عنده النعيم العظيم، والفضل الكبير، في دار النعيم، إذا استقامت على طاعة اللَّهِ، وأدت ما أوجب اللَّه وتركت ما حرم اللَّه وماتت على ذلك؛ لكونها قدمت ما يرضيه، وعملت بطاعته فاستحقت كرامته سبحانه وتعالى كما قال جلَّ وعلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧] قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المُرسَلات: ٤١] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدّخان: ٥١-٥٢] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذّاريَات: ١٥] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القَلَم: ٣٤] هؤلاء اتقوه فأدوا حقه، ففازوا بالنعيم المقيم، ولهم في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولهم الزوجات من الحور العين، غير زوجات الدُّنيا.

فالواجبُ على المؤمن أن يخلص في صيامه، وأن يجتهد فيه، وأن يصونه عمَّا يجرحه، وأن يكون في ذلك مخلصًا لِلَّهِ راغبًا بما عنده، لا رياءً ولا سمعةً، ولا لمقاصد أخرى؛ ولكن يصوم ابتغاء مرضاةِ اللَّهِ، وحذَرَ عقابِه يَرجو فضله ويرجو إحسانه، ونعيمه المقيم، فلهذا قال: «**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ**»[(١)] لما يجد من النعيم المقيم والفضل الكبير عند لقاء ربه.

الطبقة الثَّانية: صاموا عن محارم اللَّهِ دائمًا، ليس في رمضان فقط؛ بل في جميع الأوقات، يعني جاهدوا نفوسهم، في جميع الأوقات، واستقاموا على طاعة اللَّهِ، وتركوا محارمه، ووقفوا عند حدوده، فهذه الطبقة أفضل الطبقتين، وأعلاها قدرًا، لأنها جاهدت

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٧).

نفسها لِلَّه في جميع الأوقات، هؤلاء عيد فطرهم يوم لقاء ربهم، فهم صائمون عن محارم اللَّهِ، من قول وعمل، يؤدون ما أوجب اللَّه، واقفون عند حدود اللَّهِ، هؤلاء هم خيرة المؤمنين، وهم السابقون المقربون، وهم الطبقة العليا من طبقات المؤمنين، فلهم عند اللَّهِ المنزلة العالية والفضل الكبير، بسبب إخلاصهم وصدقهم وكفهم عن محارم اللَّهِ، واجتهادهم في طاعته، مع الوقوف عند حدوده، يرجون ثوابه ويخشون عقابه، وقال جلَّ وعلا: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فَاطِر: ٣٢] وقال جلَّ وعلا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقِعَة: ١٠-١٢] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقِعَة: ٨٨-٨٩].

فالجدير بالمؤمن وبالمؤمنة الحرص والجهاد حتى يكون من هذه الطبقة، من طبقة المسارعين إلى الخيرات، السابقين إلى الطاعات، والمجاهدين لأنفسهم في سبيل اللَّهِ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العَنكبوت: ٦٩] والمسلمون طبقات ثلاثة:

الطبقة الأولى: طبقة الظالم لنفسه، وهو العاصي، هو الَّذي يموت على بعض المعاصي.

الطبقة الثَّانية: هو المقتصد، وهو الَّذي أدَّى الفرائض وترك المحارم، وليس له نشاط في النوافل.

الطبقة الثَّالثة: المقرَّبون السَّابقون الَّذين جمعوا بين الخيرين: أدوا الفرائض، وتركوا المحارم، وسارعوا إلى الخيرات

والتطوعات، وأنواع العمل الصالح، هؤلاء هم الطبقة العليا، وهم المذكورون في قوله جلَّ وعلا: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فَاطِر: ٣٢]، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ هذا هو العاصي ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ فهذا هو البر الذي أدى الواجبات وترك المحرمات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وهو المسارع إلى أنواع الخير، مع فعل الواجبات وترك المحارم، هو سابق ومسارع إلى أنواع الطاعات التي شرعها اللَّه، ولم يوجبها، يرجو فضل اللَّه ويخشى عقاب اللَّه، وينافس في طاعته، كما قال تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطفّفين: ٢٦] وفق اللَّه الجميع وجعلنا وإيَّاكم من السابقين إلى كل خير، وأعاذنا وإياكم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّهِ.

❋ ❋ ❋

الدرس السادس
من فوائد الصيام طيب رائحة فم الصائم

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: «**وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ**»(١) خَلُوفُ الفَم: رائحةُ ما يتصاعدُ منه من الأبخرة، لخلوِّ المعدة من الطَّعام بالصِّيام، وهي رائحةٌ مُستكرهةٌ في مشامِّ النَّاس في الدُّنيا، لكنَّها أطيبُ عند اللَّهِ من ريح المسك، حيث كانت ناشئةً عن طاعته وابتغاء مرضاته، وفيه معنيان:

أحدُهما: أنَّ الصِّيام لمَّا كان سِرًّا بين العبد وبين ربِّه في الدُّنيا: أظهره اللَّهُ في الآخرة علانية للخلق، ليشتهر بذلك أهلُ الصِّيام، ويعرفُون بصيامهم بين النَّاس، جزاءً لإخفاء صيامهم في الدُّنيا.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**يَخْرُجُ الصَّائِمُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يُعْرَفُونَ بِرِيحِ أَفْوَاهِهِمْ، رِيحُ أَفْوَاهِهِمْ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ المِسْكِ**»(٢) رواه الأصبهاني، وفي إسناده ضعف، قال مكحول: يُروَّحُ أهل الجَنَّةِ برائحةٍ، فيقولون: ربَّنا ما وجدنا ريحًا مُنْذُ دخلنا الجنَّة، أطيب من هذه الرائحة، فيقالُ: هذه رائحةُ أفواه الصائمين(٣).

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبق تخريجه في صفحة (٣٠).

(٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني كتاب في الثواب، والديلمي كما في الجامع: للسيوطي (١/ ٣٠٠٤١) برقم (٢٧٠٠).

(٣) ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب ذم الهوى الباب الخامس والعشرون (ص١٩١).

وقد تفوح رائحةُ الصِّيام في الدُّنيا، فتستنشق قبل الآخرة، وهي نوعان:

أحدُهما: ما يدركُ بالحواسِّ الظاهرة، كان عبدُ اللَّهِ بنُ غالبٍ من العُبَاد المجتهدين في الصَّلاة والصِّيام، فلما دُفنَ كان يفوحُ من تراب قبره رائحة المسك، فرُؤي في المنام، فسُئل عن تلك الرَّائحة الَّتي توجدُ من قبره؟ فقال: تلك رائحة التلاوة والظَّمأ[١].

والثَّاني: ما تَسْتَنْشِقُهُ الأَرواحُ والقُلُوب، فيوجبُ ذلك للصَّائمينَ المُخلِّصيَن المودَّةَ والمحَّبةَ في قلوب المؤمنينَ؛ وفي حديث الحارث الأشعريِّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ: أَنَّ يحي بن زَكَرِيَا علَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ لِبَنِّي إِسْرَائِيلَ: «**وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ[٢] مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يُعْجِبُهُ رِيحُهُ، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»[٣] رواه الترمذي وغيرُه.

وفي الحديث[٤]: «**مَا أَسَرَّ عَبْدٌ سَرِيرَةً إِلا أَلْبَسَهُ اللَّهُ رِدَاءَهَا عَلَانِيَةً**».

---

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٤٧)،وأبو الفرج ابن الجوزي في صفوة الصفوة (٢/ ١٩٨).

(٢) العصابة: هم الجماعة من النَّاس من العشرة إلى الأربعين ولا واحد لها من لفظها كما في النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة: [عصب] ص (٦١٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد برقم (١٧١٧٠)، والترمذي برقم (٢٨٦٣) وقال: حسن صحيح غريب، وابن خزيمة برقم (١٨٩٥)، وابن حبان برقم (٦٢٣٣) والحاكم (١/ ٥٨٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) أخرجه الطبراني عن جندب بن سفيان البجلي رضي الله عنه في المعجم الكبير (٢/ ١٧١) برقم (١٧٠٢)، وفي الأوسط (٨/ ٤٤٠) برقم (٧٩٠٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٥) برقم (١٧٦٧٦): فيه حامد بن آدم وهو كذَّاب.

المعنى الثَّاني: أنَّ مَنْ عَبدَ اللَّه وأطاعَهُ، وطلب رضاه في الدُّنيا بعملٍ، فنشأ من عمله آثارٌ مَكروهةٌ للنُّفُوسِ في الدُّنيا، فإنَّ تلك الآثار غيرُ مكروهةٍ عند اللَّهِ، بل هي مستحبةٌ محبوبةٌ له، وطيِّبةٌ عنده؛ لكونها نشأت عن طاعته واتِّباع مرضاته، فإخبارُه بذلك للعاملين في الدُّنيا، فيه تَطْيِيْبٌ لقلوبهم؛ لئلا يُكره منهم ما وجد في الدُّنيا، وورد حديثٌ مرسل: «**كُلُّ شَيْءٍ نَاقِصٍ فِي عُرْفِ النَّاس فِي الدُّنْيَا، إِذَا انتَسَبَ إِلَى طَاعَتِهِ وَرَضَاهُ، فَهْوَ الكَامِلُ فِي الحَقِيقَةِ**».

خلوفُ فَمِ الصَّائم أطيبُ من ريح المسك، نَوحُ المُذنِبينَ على أنفسهم من خشيتِهِ أفضلُ مِن التَّسبيح، انكسارُ المُخبتينَ لعظمته هو الجبرُ، ذلُّ الخَائِفينَ من سطوته هو العزُّ، جوُع الصَّائمين لأجله هو الشَّبعُ، عطشُهم في طلب مرضاته هو الرِّيُّ، نصبُ المُجتهدينَ في خدمته هو الرَّاحةُ. لمَّا سُلسِلَتِ الشَّياطينُ في شهر رمضانَ وخمدت نيرانُ الشَّهواتِ بالصِّيام انعزل سلطانُ الهوى، وصارت الدَّولةُ لحاكم العقل، فلم يبقَ للعاصي عذرٌ.

يَا غُيومُ الغفلة تَقَشَّعِي، يا شُموسُ التَّقوى والإيمانِ اطلعي، يا صحائف أعمال الصَّالحين ارتفعي، يا قُلوبُ الصَّالحين اخشعي، يا أقدامُ المجتهدينَ اسجدي لربِّك واركعي، يا عيونُ المُتهجدينَ لا تهجعي، يا ذُنوبُ التَّائبين لا ترجعي.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الآثار والأحاديث الوارده، فيما يتعلق برائحة فم الصائم، كُلُّها فيها تشجيع للصَّائمين، والترغيب لهم في الصِّيام، وأنَّ ما قد يظهر من نقص في عرف النَّاس، أو في مشام النَّاس، من آثار الطَّاعَةِ، فهو محبوبٌ إلى اللَّهِ ومرضي له ﷻ، فهو سُبحانه يحبُّ مِن

عبادِهِ أن يجتهدوا في عبادتِهِ، وأن يُخلصوا له العملَ، وأن يعاملوه بينهم وبينه سِرًّا، يرجون رحمته ويخافون عقابه جلَّ وعلا، فإذا حصل من رائحة الصوام، ما قد يستنكره الناس أو ينفروا منه الناس، فهو محبب عند الله لأنه نشأ عن طاعته، ولهذا في الحديث الصحيح: «**خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»(١).

والخلوف ما صعد من الجوف عند قِلَة الطَّعَام، أو عدم الطَّعام قد يكون مذمومًا في مَشَّامِّ النَّاس ولكنَّه عند اللَّهِ رفيع وعظيم؛ لأنَّه نشأ عن طاعته، كما أنَّهُ سُبحانه يحبُّ من عِبادِهِ أن يخافوه وأن يذلوا لعظمته، وأن ينكسروا لجبروته، وأن يخافوه ويرجوه، كل ذلك محبوبٌ له ﷻ، فالمؤمن يجبُّ أن يكون هكذا ذليلًا بين يديّ اللَّه، متواضعًا راغبًا فيما عند اللَّهِ، خائفًا وجلًا مشفقًا، يخشى شرَّ ذنوبه ويخشى ربَّهُ ويخاف عَاقبة معاصيه، لا يَمَنّ على ربَّهِ بعمله، ولا يأمن، ولا يتكبر؛ ولكن يكون بين يديَّ ربِّه ذليلاً منكسرًا يرجو رحمته ويخشى عقابه ﷻ، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٨-٦١].

هكذا أولياءُ اللَّهِ، عندهم الإيمان والخوف والحذر، والخشية لِلَّه والمسابقة قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] يعني: الأنبياء والصالحين، وقال جلَّ وعلا في حقِّ خلفاء الرُّسل ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) سبق تخريجه في صفحة (٣٠).

﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [المُلك: ١٢] وقال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: ٤٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢٨] والعلماء هم الرُّسل وأتباعهم(١)؛ لأنَّهم أعلم باللَّهِ وأعلم بصفاته، ثُمَّ أكملهم خشية لِلَّهِ وأكملهم خوفًا من اللَّهِ، الرُّسلُ والأنبياءُ وخلفائهم من علماء الحقِّ، هم أخشى النَّاس لِلَّهِ، كُلَّ مسلم وكُلُّ مسلمةٍ يَخشى اللَّه،لذلك كُلَّمَا زاد العلم كلما زادت الخشية لِلَّه فالرُّسل أعلم النَّاس باللَّهِ،وهم أكمل خشيةً، كما قال ﷺ: «**أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»(٢).

وهكذا العلماء، علماء الحقِّ، علماء الهُدى هم أخشى النَّاس لِلَّهِ بعد الأنبياء، وهكذا أصحابُ النَّبِيِّ ﷺ رضي اللَّه عنهم، أخشى النَّاس لِلَّهِ وأرفعهم منزلة بعد الأنبياء عليهم الصَّلاة السَّلام.

فينبغي للمؤمن أن يجتهد في الحقِّ، والعملِ الصَّالح، وأن يكون له نشاطه فيما يرضي اللَّهَ ويقرَبُه لديه بالعمل الَّذي أحبَّه وشرعه، رضي النَّاس أو كرهوا، وفق اللَّهُ الجميع.

❀ ❀ ❀

(١) ينظر: نفسير ابن جرير (١٩/ ٣٦٤) وتفسير ابن أبي زمنين (٤/ ٣٠) وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥١٠).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه برقم (٥٠٦٣).

المجلس الثالث:
في فضل الجود في رمضان وتلاوة القرآن

وفيه ثلاثة دروس

الدرس الأول: في الحث على الصدقات والجود

الدرس الثاني: من فوائد مضاعفة جود النبي ﷺ

الدرس الثالث: مدارسة القرآن في ليالي رمضان

الدرس الأول
في الحث على الإنفاق والصدقات والجود

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِائِيلُ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، وَكَانَ جِبْرِائِيلُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِائِيلُ: أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ**»[(١)] ورواه أحمد وزاد «**وَلَا يُسأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ**»[(٢)].

وللبيهقي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ أَطْلَقَ كُلَّ أَسِيرٍ وَأَعْطَى كُلَّ سَائِلٍ**»[(٣)].

«**الجُودُ**»: هو سعة العطاء وكثرتُه. وَاللَّهُ تعالى يُوصفُ بالجود، فروى التِّرمذيُّ عن سعد بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٢٠)، ومسلم برقم (٢٣٠٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد برقم (٣٠١٠) وصححه محققو المسند.

(٣) أخرجه ابن حبان في المجروحين (ص ٤٥٧) هذا الحديث من مسند ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخرجه البيهقي في الشعب برقم (٣٤٧٥) وفي فضائل الأوقات برقم (٦٩) وابن الجوزي في العلل المتناهية برقم (٨٧٥) وفيه أبو بكر الهذلي قال ابن حبان ويروى عن الإثبات الأشياء الموضوعات.

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٢٧٩٩) وقال: «حديث غريب وخالد بن إلياس يضعف».

وعن الفضيل: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ كُلَّ لَيْلَةٍ: أَنَا الجَوَادُ ومِنِّي الْجُودُ، وَأَنَا الْكَرِيمُ وَمِنِّي الْكَرَمُ(١).

فاللَّهُ ﷻ أجود الأجودين، وجُودُه يتضاعف في أوقات خاصة، كشهر رمضان، وفيه أنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

ولمَّا كَانَ اللَّهُ تعالى جبل نبيَّه ﷺ على أكمل الهيئات وأشرفها، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**»(٢).

كان رسُولُ اللَّهِ ﷺ أجود النَّاس على الإطلاق، كما أنَّهُ أفضلهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة، وكان جودُه يجمع أنواع الجود، وكان جودُه ﷺ يتضاعف في رمضان على غيره من الشهور، كما أن جود ربَّه يتضاعف فيه أيضًا.

وكان ﷺ يلتقي هو وجبريلُ في شهر رمضان، وهو أفضل الملائكة وأكرمهم، ويدراسه القرآن الذي جاء به إليه، وهو أشرف الكتب وأفضلها، وهو يحث على الإحسان ومكارم الأخلاق، وقد كان هذا الكتاب الكريم له ﷺ خلق، بحيث يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه، ويسارع إلى ما حث عليه، ويمتنع عمَّا زجر عنه.

---

(١) ذكره أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٨/ ٩٢).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٨٩٥٢) والبزار في مسنده برقم (٨٩٤٩) القضاعي في مسند الشهاب برقم (١١٦٥) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٠) برقم (٤٢٢١) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٢٣) برقم (١٠٧٨٢) قال الحاكم: «حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

فلهذا كان يتضاعف جوده، وإفضاله في هذا الشهر، لقرب عهده بمخالطة جبرائيل، وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم، الذي يحث على المكارم والجود. ولا شك أن المخالطة تؤثر وتورث أخلاقًا من المخالط، وفي تضاعف جوده ﷺ في رمضان بخصوصه فوائدُ كثيرةٌ.

منها: شرف الزمان ومضاعفةُ أجر العمل فيه؛ وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «**أفضلُ الصدقةِ صَدَقَةُ رمضانَ**»(١).

ومنها: إعانةُ الصائمين والذاكرين على طاعتهم، فيستوجبُ المعينُ لهم مثل أجورهم، كما أن «**مَنَ جَهَّزَ غَازِيًا [فِي سَبِيلِ اللَّهِ] فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَه فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا**»(٢) وفي حديث زيد بن خالدٍ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ**»(٣)، رواه أحمد والترمذي، ورواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها، وزاد: «**وَمَا عَمِلَ الصَّائِمُ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ**»(٤)

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٦٦٣) بلفظ: «... فإن الصدقة أفضل؟ قال: «اصدقة في رمضان»» وقال: هذا حديث غريب وصدقة ابن موسى ليس عندهم بذاك القوى.
قال الشيخ ابن باز: ما أعرف سنده، لكن يوسع فيه للترغيب حتى لو ضعف سنده.

(٢) متفق عليه من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (٢٨٤٣)، ومسلم برقم (١٨٩٥).

(٣) الإمام أحمد برقم (١٧٠٣٣)، والترمذي برقم (٨٠٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه برقم (١٧٤٦) وقال محققو المسند «صحيح لغيره».

(٤) البر: اسم جامع لكل معاني الخير والإحسان والصدق والطاعة وحسن الصلة والمعاملة ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة: [بر] (ص٦٩، ٧٠).

إِلَّا كَانَ لِصَاحِبِ الطَّعَامِ، مَا دَامَتْ قُوَّةُ الطَّعَامِ فِيهِ»[١].

وفي حديث سلمان المتقدِّم في فضل شهر رمضان: «وهوشَهْرُ المُوَاسَاةُ، وَشَهْر يُزْدَادُ فِيهِ الرِّزْقُ، وَمَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ وَعِتْقًا لِرَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَن يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ كُلُّنَا يَجِدُ مَا يُفَطِّرُ بِهِ الصَّائِم، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُعْطِي اللَّهُ هَذَا الثَّوَابَ لِمَنْ فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى مُذْقَةِ لَبَنٍ، أَوْ تَمْرَةٍ، أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ، وَمَنْ سَقَى فِيهِ صَائِمًا سَقَاهُ اللَّهُ ﷻ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا حَتَى يَدْخُلَ الجَنَّةَ**»[٢].

ومنها: أنَّ شهرَ رمضان، شهرٌ يجودُ اللَّهُ فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النَّار، لا سيما في ليلة القدر، واللَّه تعالى يرحمُ من عباده الرحماءُ، كما قال النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءُ**»[٣] فمن جاد على عباد الله، جاد اللهُ عليه بالعطاء والفضل، والجزاءُ من جنس العمل.

ومنها: أنَّ الجمعَ بين الصِّيام والصَّدقة من موجبات الجنَّة، كما في حديث علي رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**». فَقَالوا: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**هِيَ لِمَنْ طَيَّبَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ**

---

(١) أخرجه في الأوسط برقم (٧١٣٦) بلفظ: «**وَمَا عَمِلَ الصَّائِمُ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ إِلَّا كَانَ لِصَاحِبِ الطَّعَامِ، مَا دَامَتْ قُوَّةُ الطَّعَامِ فِيهِ**» قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٥٧) برقم (٤٨٩٥): «فيه الحكم بن عبدالله الأيلي وهو متروك».

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٣١).

(٣) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أخرجه البخاري برقم(١٢٨٤)، ومسلم برقم(٩٢٣).

الصِّيَامَ وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»[١].

وهذه الخصالُ كُلُّها تكونُ في رمضان، فيجتمع فيه للمؤمن الصِّيام والقيام والصَّدقة، وطيب الكلام، فإنَّه ينهى فيه الصَّائم عن اللغو والرفث.

والصَّلاة والصِّيام والصَّدقة توصلُ صاحبها إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ قال بعض السلف: الصِّلاة تُوصل صاحبها إلى نصف الطَّريق، والصِّيام يُوصله إلى باب الملك، والصَّدقةُ تأخذُ بيده، فتدخلهُ على الملك.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صَائِمًا**». قَالَ: أَبُو بَكْرٍ أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ اليَوْمَ جَنَازَةً**». قَالَ: أَبُو بَكْرٍ أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مِسْكِينًا**». قَالَ: أَبُو بَكْرٍ أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مَرِيضًا**». قَالَ: أَبُو بَكْرٍ أَنَا. فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[٢].

قال الشارح رحمه الله:

هذه الأحاديثُ والآثارُ عن السَّلفِ كُلُّها تتعلق بفضل الجود في رمضان، هذا الشَّهر العظيم، تضاعف فيه الحسنات وتعظم فيه السيئات، وتكثر فيه حاجة المسلمين إلى العون والمساعدة، لصيامهم وقيامهم وتعطل كثير من مهن العمل، فالمشروع للمؤمن الجود

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم (١٣٣٨)، والترمذي برقم (١٩٨٤) وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن إسحاق وقد تكلم بعض أهل الحديث في عبدالرحمن بن إسحاق هذا من قبل حفظه...».

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٠٢٨).

والكرم في هذا الشَّهر الكريم حسب طاقته، واللَّهُ ﷻ يقول: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥] ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعرَاف: ٥٦] وكتابُ اللَّهِ الكريم، يدعو إلى الإحسان والجود والكرم، وَيُرَغِّبُ النَّاس في الخير، فالجدير بالمؤمن آن يتخلَّق بالأخلاق الَّتي مدحها القرآن وأثنى على أهلها، ودعا إليها.

ومنها: الإحسان والجود والمواساة ورحمة الفقراء، قالت عائشة رضي الله عنها: «لَمَّا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ**»[(١)].

وذلك في قوله جلَّ وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤] فكان خلقه الدعوة إلى اللَّهِ، وتوجيه النَّاس إلى الخير، والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورحمة الفقراء والمساكين، والجود عليهم والإصلاح بين الناس، إلى غير هذا من وجوه الخير، كل هذا من خلقه ﷺ وكل ممَّا جاء به القرآن.

فينبغي للمؤمن أن يتخلَّق بهذه الأخلاق الَّتي جاء بها هذا الكتاب العظيم، وهو أشرف كتاب وأصدق كتاب، وجاء بذلك أشرف نبيٍّ وأصدق نبيٍّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وفي ذلك منافع كثيرة:

منها: تُضاعف له الحسنات، وتُعظَّم له الأجور، ويحصل له بذلك الخير العظيم، ومنها: أنه يتأسى به غيره.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٤٦٠١) وأصله في صحيح مسلم برقم (٧٤٦) ولفظه: «فإنه خلق نبي اللَّه ﷺ كان القرآن».

ومنها: إنَّ الفقرَاءَ ينتفعون بذلك، ويعينهم على طاعة اللَّهِ ورسوله.

فينبغي للمؤمن أن يكون ذا خلق كريم، ويجاهد نفسه في توجيه النَّاس إلى الخير وإرشادهم ونصيحتهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ويجود عليهم بالمال، فإنَّ المالَ يعين على قبول الحقِّ، ويعين من وفقه اللَّه وطاعته وطاعة رسوله.

وهذا الباب فيه الآيات الكريمات، وفيه الأحاديث، وفيه آثار السلف، وهذا باب الترغيب والترهيب الذي يتساهل السلف فيما يروى فيه من بعض الأحاديث الضعيفة، والآثار عن السلف للحث والتحريض والترغيب في الخير، ومن أصح ما جاء في ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِائِيلُ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، وَكَانَ يَلْقَاهُ جِبْرِائِيلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ يُدَارِسُهُ القُرْآنَ**»[(١)] «**وفي السَّنة الأخيرة دارسه القرآن مرتين**»[(٢)] يعني: دارسه ختمتين، هذا يدل على فضل مدارسة القرآن والعناية بالقرآن في هذا الشهر الكريم، وإذا تيسرت المدارسة من الإنسان مع أخيه، ليتعاونوا على الفهم والحفظ، فهذا خير كبير، وفيه تأسي بالنَّبِيِّ ﷺ حين دارسه جبرائيل عليه الصَّلاة والسَّلام.

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يعتني بإخوانه الفقراء في كلِّ وقت، في رمضانَ وفي غيره؛ لكن يخصُّ رمضانَ بمزيد عناية، في كثرة الصَّلاة، وكثرة الصَّدقة وكثرة الدعوة إلى اللَّهِ، وكثرة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وعيادة المريض، واتِّباع الجنائز، إلى

(١) سبق تخريجه في صفحة (٩١).

(٢) سيأتي تخريجه بنصه من حديث عائشة في قصة فاطمة رضي الله عنها في صفحة (١٠٧).

غير هذا من وجوه الخير، يرجو ثوابَ اللَّه ويخشى عقابه، اغتناماً لهذا الزمان الفاضل، الَّذي تُضَعَّف فيه الأعمال.

وفي حديث الصِّديق أن رسول اللَّه ﷺ لَمَّا قال: «**من تصدق اليوم بصدقة؟**» قال الصديق: أنا، «**من عاد مريضًا؟**» قال: أنا، «**من تبع جنازة؟**» قال: أنا، قال: «**مَن أَصبَحَ صائمًا؟**» قال: أنا، قال: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(١)، فيه الحث على التطوع بالصِّيام، كصوم الإثنين والخميس، أو ثلاثة أيام من كل شهر، أو صيام يوم وفطر يوم، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، والصدقة والإنسان يجتهد فيما يستطيع من الخير ولو قلَّ، فإنَّ الخيرَ مطلوب ولو قلَّ.

ومن أعان مُسلمًا على طاعة اللَّهِ ورسوله فهو على خير عظيم، لأنَّ اللَّهَ يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المَائدة: ٢] ويقول النبي ﷺ: «**مَنَ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهِ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا**»(٢) أخرجه في الصحيح، وكذلك يقول جلَّ وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المَائدة: ٢] ويقول: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣] ويقول ﷺ في الحديث الصحيح: «**مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِه**»(٣) ويقول الرَّسولُ عليه الصَّلاة والسَّلام: «**واللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»(٤).

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٩٥).
(٢) سبق تخريجه في صفحة (٩٣).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢)، ومسلم برقم (٢٥٨٠).
(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فهذه أوقات عظيمة كريمة، ينبغي للمؤمن فيها أن ينافس وأن يساعد، إخوانه المسلمين على طاعة اللَّهِ ورسوله، ووجوه البر الكثيرة فالصدقة من أبواب البر، والدعوة إلى اللَّهِ من أبواب البر، الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر من أبواب البر، والتَّسبيح والتحميد والتهليل والتكبير من أبواب البر، وكثرة الصلاة من أبواب البر، وكثرة الاستغفار والدعاء، كل هذه من وجوه البر وأعمال الخير.

❋ ❋ ❋

الدرس الثاني
في فوائد تضاعف جود النَّبِيِّ ﷺ في رمضان

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومنها: أنَّ الجمعَ بين الصّيام والصَّدقة أبلغُ في تكفير الخطايا، واتقاء جهنم، والمباعدة عنها، خصوصًا إن ضُمَّ إلى ذلك قيام الليل، فقد ثبت عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ أَحَدِكُمْ مِنَ النَّارِ كَجُنَّتِهِ مِنَ القِتَالِ»(١).

ولأحمد أيضًا: عن أبي هريرة مرفوعًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ**»(٢).

وفي حديث معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ وَقِيَامُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ**»(٣) يعني: أنه يطفئ الخطيئة أيضًا، صرح به أحمد.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٦٢٧٣-١٦٢٧٨)، وابن ماجه برقم (١٦٣٩)، والنسائي (٤/ ١٦٧) برقم (٢٢٣٠) وصححه محققو المسند.

(٢) أخرجه الإمام أحمد برقم (٩٢٢٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٠) برقم (٥٠٧٣): «إسناد حسن».

(٣) أخرجه الإمام احمد برقم (٢٢٠١٦)، والترمذي برقم (٢٦١٦) وقال: «حسن صحيح»، وقال الهيثمي في مجمع الزاوئد (٣/ ١٨١): «رواه أحمد وشهر ابن حوشب لم يسمع من معاذ».

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشَقِّ تَمَرَةٍ**»(١).

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: صلُّو في ظلمة اللَّيل ركعتين لظلمة القبور، صوموا يومًا شديدًا حرَّهُ لحرِّ يوم النشور، تصدقوا بصدقة السِّر لهول يوم عسير(٢).

ومنها: أنَّ الصِّيام لا بدَّ أن يقع فيه خللٌ ونقصٌ، وتكفيرُ الصِّيام للذنوب، مشروطٌ بالتحفظ مما ينبغي أن يُتحفَّظَ منه، كما في حديث أخرجه ابنُ حبان، وعامةُ صيام الناس: لا يجتمع في صومه التحفظ كما ينبغي؛ ولهذا نهى أن يقول الرجلُ: «صُمْتُ رَمَضَانَ كُلَّهُ، أَوْ قُمْتُهُ كُلَّهُ»(٣).

فالصَّدقةُ تجبر ما كان فيه من النَّقص والخلل؛ ولهذا وجب في آخر رمضان زكاةُ الفطر، طهرة للصَّائم من اللَّغو والرَّفث.

ومنها: أنَّ الصَّائم يدع طعامه وشرابه، فإذا أعان الصَّائمين على التَّقوِّي على طعامهم وشرابهم، كان بمنزلة من ترك شهوته لِلَّهِ، وآثر بها وواسى منها؛ ولهذا يشرع له تفطير الصُّوَّام معه إذا أفطر؛ لأنَّ الطَّعام يكون محبوبًا له حينئذٍ، فيواسي منه حتى يكون ممن أطعم الطَّعام على حُبّه، فيكون في ذلك شاكرًا لِلَّهِ، على نعمة إباحة الطَّعام والشَّراب له، وردِّه له بعد منعه إيَّاه، فإنَّ هذه النِّعمة إنَّما

---

(١) متفق عليه من عدي بن حاتم رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (١٤١٧)، ومسلم برقم (١٠١٦).

(٢) لم أقف عليه من قول أبي الدرداء رضي الله عنه. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٥) والبيهقي في الشعب (٥/ ٤١٦) برقم (٣٦٣٩) موقوفاً على أبي ذر رضي الله عنه وإسناده منقطع.

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي بكرة رضي الله عنه برقم (٢٠٤١٦)، وأبو داود برقم (٢٤١٥).

يُعرف قدرُها عند المنع منها.

وسئل بعضُ العارفين: لم شُرع الصِّيَامُ؟ قال: ليذوق الغنيُّ طعم الجوع فلا ينسى الجائع، وهذا من بعض حِكَم الصَّوم وفوائده، وتقدَّم في حديث سلمان: «**وَهُوَ شَهْرُ المُواسَاةِ**»[١] فمن لم يقدر على درجة الإيثار على نفسه، فلا يعجز عن درجة أهل المواساة.

كان كثير من السلف: يُواسون من إفطارهم، ويؤثرون ويطوون، فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما: يصوم ولا يفطر إلَّا مع المساكين، فإذا منعه أهله عنهم، لم يتعشَّ تلك الليلة، وكان إذا جاءهُ سائل وهو على الطعام، أخذ نصيبهُ من الطعام، وقام فأعطاه السائل، فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة[٢]، فيصبح صائمًا ولم يأكل شيئًا.

واشتهى بعض الصالحين طعامًا، وكان صائمًا فوضع بين يديه وهو صائمٌ، فسمع قائلاً يقول: من يقرضُ المليء الوفيَّ؟ فقال: عبده المعدمُ من الحسنات، وأخذ الصحفة فخرج بها إليه وبات طاويًا.

وجاء سائلٌ إلى الإمام أحمد رحمه الله: فدفع إليه رغيفين كان يعدُّهما لفطره، ثُمَّ طوى وأصبح صائمًا.

وكان الحسن يُطعمُ إخوانه وهو صائمٌ، ويجلسُ يروِّحُهمُ، وهمُ يأكلون، وله فوائدُ أخرُ.

قال الشافعيُّ رحمه الله: أحبُّ للرَّجل الزِّيادة بالجود في رمضان، اقتداءً برسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثيرٍ، منهم، بالصوم والصَّلاة عن مكاسبهم.

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٣١).

(٢) الجفنة: القصعة كما في القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة: [جفن] (ص١٠٩٣).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث والآثار تدل على فضل الصدقة والإحسان مع الصَّوم، هذا شهر الصِّيام وشهر الصَّدقة، وشهر الجود والكرم، وشهر التهليل والتسبيح والتحميد، وشهر قراءة القرآن، وغيرها من أنواع الخير، فينبغي للمؤمن أن يتأسى بالسلف الصالح، في الاستكثار من الخيرات، واغتنام الأعمال الصالحات بأنواعها في هذا الشهر الكريم، وبالأخص الصدقة على الفقراء والمحاويج، والعناية بقراءة القرآن بالتدبر والتعقل، والإكثار من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، والإكثار من الصلوات في الليل والنهار، اغتنامًا للزمان، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ**» يعني: سترة من النَّار مثل جُنَّة القتال «**وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي [امْرُؤٌ] صَائِمٌ**»[(١)] هو جُنَّة من النَّار لمن صانه وحفظه من سائر المعاصي وتقدَّم قوله ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ وَالجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[(٢)].

وهكذا جاء في حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).
(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٧).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٩)، ومسلم برقم (١٠١٦) واللفظ له.

ويقول الرسول ﷺ في حديث معاذ: «**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ**»[(١)]، والصَّلاة في جوف اللَّيل، والصَّدقة على الفقراء كُلُّها من أسباب دخول الجنَّة، والنَّجاة من النَّار، ومحو الخطايا والسَّيئات، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجدَة: ١٦-١٧].

هكذا أولياءُ اللَّهِ ينفقون ويحسنون ويجتهدون، يرجون ما عند اللَّهِ من المثوبة، وينبغي للعبد ألَّا يستكثر ما يفعل؛ بل ما يقدمه في سبيل اللَّهِ، كُلُّه ينفعه قليله وكثيره، كما أنه لا ينبغي أن يستقل، بل ينفق ما تيسر، من قليل وكثير حسب الطَّاقة، وكان كثيرٌ من السلف يؤثر على نفسه في بعض الأحيان، بالطَّعام، وبالسَّحور، وبالعشاء وغير ذلك؛ لكن هذا لا يجب، إنَّما الواجب الصَّدقة من الفضل، كما قال النبي ﷺ: «**خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى**»[(٢)] و«**خَيْرُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ**[(٣)] **مُقِلٍّ**»[(٤)] وليبدأ بنفسه يبدأ بنفسه وعائلته هذا هو

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (١٤٢٦) وتمامه: «**وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولَ**». **وأخرجه مسلم من حديث حكيم بن حزام برقم (١٠٣٤).**

(٣) جُهْدُ: بضم الجيم الوسع والطاقة، وبالفتح المشقة والبالغة والغاية، فجهد المُقِلِّ، أي: قدر ما يتحمله، حال قليل المال، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة: [جهد] ص (١٧٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد برقم (٨٧٠٢)، وأبو داود برقم (١٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الإمام أحمد برقم (١٥٤٠١)، وأبو داود برقم (١٤٤٩)، والنسائي (٥/٥٨) عن عبدالله بن حُبشي الخشعمي رضي الله عنه بلفظ: «فإن الصدقة أفضل، قال: جهد المقل».

المشروع، وما كان من فضل يجود منه بعد ذلك، فإذا جاد على الناس، وطوى وآثر على نفسه، فهذا فضل كبير؛ ولكنه لا يجب عليه، وقد مدح اللَّهُ الأنصار بذلك، في قوله جلَّ وعلا: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] هذا من صفتهم العظيمة، قد يعطي ما عنده من الطعام للضيف أو للفقير، ويبيت طاويًا إيثارًا لما عند اللَّهِ من الفضل العظيم، والأجر الكبير؛ ولكن هذا ليس بواجب ولا متأكد؛ بل إذا دعت الحاجة إليه، هذا الإيثار، والواجب أن يبدأ بنفسهِ وبمن يعول من أولاده وزوجاته وما فضل يصدق به.

وفي الصحيحين يقول ﷺ: «**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**» اليد العليا المعطية المنفقة واليد السفلى الآخذة السائلة، ثم قال: «**وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ ما كان عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ**»(١).

فأنت يا عبد اللَّهِ تلتمس الخير بالصدقة ولو بقليلٍ مِمَّا تيسر لك، وهناك صدقات ليست ماليَّة، كالعناية بالقرآن، والتسبيح والتهليل والتكبير والأذكار والاستغفار، صدقات ليست مالية، لكن لك فيها الخير العظيم والفضل الكبير كما في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**» يعني: كل مفصل صدقة، «**فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَالنَهْيُ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ [ويكفي] وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى**»(٢)؛

(١) متفق عليه من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (١٤٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣٣).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه برقم (٧٢٠).

ولأنَّ الصَّلاة تستعمل فيها الأعضاء كلها، هذا من فضل اللَّهِ ومن تيسيره جلَّ وعلا.

فائدة:

ما جاء من نهي الرجل أن يقول: صمت رمضان كله أو قمت كله من باب التزكية، يقول إن شاء اللَّه، قد يكون نقص شيء بسبب المعاصي، أو شيء من الخلل، لكن يقول: إن شاء اللَّه صمته كله.

الدرس الثالث
مدارسة القرآن في ليالي رمضان والاجتماع له

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ودلَّ الحديث أيضًا: على دراسة القرآن في رمضان، والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له منه. وفيه دليلٌ على استحباب الإكثار، من تلاوة القرآن، في شهر رمضان.

وفي حديث فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه أخبرها: «**أَنَّ جَبْرَائِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ القُرْآن كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وَأَنَّهُ عَارَضَهُ فِي عَامٍ وَفَاتِهِ مرتين**»(١)، وفي حديث ابن عباس: «**أَنَّ المُدَارَسَةَ بِيْنَهُ وَبَيْنَ جِبْرَائِيلِ: كَانَتْ لَيْلًا**»(٢).

فدلَّ على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلًا، فإنَّ اللَّيل تنقطعُ فيه الشواغلُ، وتجتمعُ فيه الهممُ، ويتواطأ فيه القلبُ واللسانُ على التَّدبر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ [المُزّمل: ٦].

وشهرُ رمضان: له خصوصيةٌ بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخرجه البخاري برقم (٦٢٨٥)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٢) سبق تخريج الحديث الذي يشير إلى ذلك في صفحة (٩١).

وقال ابنُ عباسٍ ﷺ: إنه أُنزلَ جُملةً واحدةً من اللوح المحفوظ، إلى بيت العزة في ليلة القدر(١).

ويشهدُ لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وقولهُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] والنَّبِيُّ ﷺ بُديءَ بالوحي، ونزل عليه القرآن في شهر رمضان؛ وقد كان النَّبِيُّ ﷺ يُطيلُ القراءة في قيام رمضان باللَّيل، أكثر من غيره.

وقد صلَّى معه حذيفة ﷺ ليلةً في رمضان «**فَقَرَأَ بِالبَقَرةِ، ثُمَّ النِّسَاءَ، ثُمَّ آلَ عِمْرَانَ، لَا يَمُرُّ بِآيَةِ تَخْوِيفٍ إِلَّا وَقَفَ وَتَعَوَّذَ، [وَلَا بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَأَلَ]، فَمَا صَلَّى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى جَاءَ بِلَالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ**»(٢) رواه أحمد والنسائي. وعنه: أنه «**مَا صَلَّى إِلَّا أَرْبَعَ رَكَعْاتٍ**»(٣).

وكان عُمر ﷺ: أمر أبيَّ بن كعب ﷺ، وتميمًا الدَّاريَّ ﷺ، أن يقوما بالنَّاسِ في شهر رمضان، فكان القارئ يقرأ بالمئين في الركعة، حتى كانوا يعتمدون على العصيِّ من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلّا عند الفجر(٤).

وفي رواية: أنَّهم كانوا يربطون الحبال بين السواري، ثُمَّ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٠١٩٠)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٦٢٥)، والطبراني في الكبير برقم (١٢٣٨٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤٢) برقم (٢٨٨١) وقال: «صحيح على شرطها ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد في برقم (٢٣٣٩٩)، والنسائي (٢/ ٢٢٤) برقم (١١٣٣)، وأصله عند مسلم برقم (٧٧٢).

(٣) لفظ رواية النسائي برقم (١٦٦٥) وضعفه النسائي.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ برقم (٣٧٩)، والبيهقي في السنن (٢/ ٦٩٨) برقم (٤٢٨٧).

يتعلقون بها.

وروي أن عمر جمع ثلاثة قراء، فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ بالناس بثلاثين، وأوسطهم بخمس وعشرين، وأبطأهم بعشرين.

ثمَّ كان في زمن التَّابعين يقرؤون بالبقرة في قيام رمضان، في ثمان ركعات. فإن قرأها في اثنتي عشرة، رأوا أنَّهُ قد خفف.

وسئل أحمدُ: عما روي عن عمر رضي الله عنه، في السريع في القراءة، والبطئ؟ فقال: في هذا مشقَّةٌ على الناس، ولا سيما في هذه اللَّيالي القصار، وإنَّما الأمرُ على ما يحتملهُ الناسُ.

وقال أحمدُ رحمه الله لبعض أصحابه، وكان يصلي بهم في رمضان: هؤلاءِ قوم ضعفاءُ، اقرأ خمساً، ستًا، سبعًا، قال: فقرأتُ، فختمت ليلة سبع وعشرين.

روي عن الحسن: أن الَّذي أمره عمر أن يصلي بالناس، كان يقرأ خمس آيات، ست آياتٍ.

فكلامُ أحمد يدل على أنه في القراءة يراعي حال المأمومين، فلا يشق عليهم، وقاله غيره من الفقهاء.

وروى أهل السنن عن أبي ذر رضي الله عنه أنَّ رسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لما قام بهم إلى ثُلُثِ اللَّيل، ومرةً إلى نصفِ اللَّيل قالوا: لو نفَّلتنا بقية ليلتنا؟ فقال: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ: كُتِبَ لَهُ بَقِيَّةُ لَيْلَتِهِ**»(١).

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٣٧٥)، والترمذي برقم (٨٠٦) وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (١٣٦٤)، وابن ماجه برقم (١٣٢٧)، وأحمد برقم (٢١٤٤٧)، وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم (٤٤٧).

فدل: على أن قيام ثُلُثِ الليل أو نصفه يُكتبُ به قيامُ ليلةٍ، لكن مع الإمام. وكان أحمد يأخذ بهذا الحديث، ولا ينصرفُ حتى ينصرف الإمام.

وقال بعضُ السلف: من قام نصف اللَّيل فقد قام اللَّيل.

وعن ابن عمر ﷺ مرفوعًا: «**مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنْ القانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنطرين**[(١)]»[(٢)] رواه أبو داود.

ويروى من حديث تميم وأنس ﷺ مرفوعًا: «**مَنْ قَرُأَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**»[(٣)] وفيهما ضعف.

ومن أراد أن يزيد في القراءة ويُطيل، وكان يصلِّي لنفسه، فليطول ما شاء، وكذلك من صلَّى بجماعة يرضون بصلاته. وكان بعض السلف: يختمُ في قيام رمضان، في كل ثلاث ليالٍ، وبعضهم في كل سبعٍ، وبعضُهم في كلِّ عشرٍ.

---

(١) المقنطرين: أي: أعطى قنطارًا من الأجر وجاء في الحديث أن القنطار ألف ومئتا أوقية، والأوقية خير ممَّا بين السماء والأرض، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة: [قنطر] باب القاف مع النون ص (٧٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (١٣٩٨) وابن خزيمة (١١٤٢) وابن حبان (٢٥٧٢) من حديث عبداللَّه بن عمرو بن العاص ﷺ. وينظر: السلسه الصحيحة (٢/ ٢٤١).

(٣) أخرجه الإمام احمد برقم (١٦٩٥٨)، والدارمي برقم (٣٤٩٣)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٤٨٥)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (١٢٥٢) والأوسط برقم (٣١٤٣) وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٦٧): «رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه سليمان بن موسى الشامي وثقه ابن معين وأبو حاتم وقال البخاري عنده مناكير، وهذا لا يقدح».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث والآثار كُلُّها تتعلَّق بفضل القراءة في رمضان، والتهجد باللَّيل، رمضان هو شهر القرآن، شهر الصَّلاة، شهر الصِّيام والصَّدقات، شهر المنافسة في كلِّ خير، فالسُّنَّة للمؤمن أن ينافس في كل خير، فليكن كثير الصلاة، كثير القراءة، كثير التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، كثير الصدقة كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك من وجوه الخير.

وممَّا يدلُّ على فضل المدارسةِ للقرآن والعناية به، ما ثبت عن رسول اللَّهِ ﷺ أنه كان يدارس جبرائيل القرآن في رمضان كل ليلة[(١)]، وأنه في السَّنة الأخيرة عارضه القرآن مرتين، يعني: ختمتين.

فهذا يدلُّ على فضل المدارسة للقرآن، وأن ذلك من السَّنَّة الَّتي فعلها النَّبِيُّ ﷺ مع جبرائيل، ليزداد علمًا بكتاب اللَّهِ؛ لأنَّ جبرائيل: وهو مُبلِّغ عن اللَّهِ، وفي هذا فضل بدراسة القرآن عليه عليه السلام.

وفيها فضل كونه أنه انتهز الليل، ففي اللَّيل تنقطع الشواغل، ويجتمع القلب واللسان، ويحصل من الفكر والتأمل أكثر ممَّا يحصل في النَّهار غالبًا، كما قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ [المُزّمل: ٦] [يعني: يتدارسه في اللَّيل، وقال بعض أهل العلم: إنها بعد هجدة وبعد نومه يكون أكمل وأنفع][(٢)].

فالمقصود: أنَّ المدارسة سنَّة الرَّسُول ﷺ مع جبرائيل، والمدارسة مع أخيك تشجعك على القراءة، قد يكون أعلم منك

(١) سبق تخريجه في صفحة (١٠٧).

(٢) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٥٤).

فتستفيد منه، وقد يكون أحفظ منك فتستفيد منه، فالمدارسة للإخوان فيما بينهم فيها خير كبير وفضل كبير، وتعاون على البر والتقوى.

وأمَّا الصَّلاة فالسُّنَّة فيها مراعاة عدم التَّطويل على النَّاس، فالنَّبِيُّ ﷺ قال: «**أَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُخَفِفْ**»[(١)] وقال: «**إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ**»[(٢)] فالسُّنَّة مراعاة ما يتحمله النَّاس ويرغبون فيه، في تهجد اللَّيل، وكان النَّاس في عهد النَّبِيِّ ﷺ يُصلون أوزاعًا في المسجد، هذا يصلي مع اثنين، وهذا يصلِّي مع أربعةٍ، هذا يصلِّي مع ثلاثةٍ، هذا يصلِّي وحده، ثمَّ صلَّى بهم بعض الليالي جميعًا، ثمَّ خاف أن تفرض عليهم[(٣)]، فترك ذلك عليه الصَّلاة والسَّلام، فجمعهم عمر على تميم الدَّاريّ، وفي رواية على أبي بن كعب يصلِّي بهم، وربما صلَّى بهم ثلاثًا وعشرين ركعة، وربما صلَّى بهم أحدى عشرة ركعة، فالسُّنَّة في هذا مراعاة ما لا يشق على المأمومين، من القراءة والطول، فليقرأ ويركع ويسجد على وجه لا يكون فيه مشقة، يراعي التخفيف والتسهيل، حتَّى يرغب النَّاس في العبادة، حتى ينشطوا في العبادة، والأصل في هذا قوله ﷺ: «**إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمُ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ**»[(٤)] «**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ**»[(٥)] ولما شكا بعض النَّاس معاذًا، دعاه النَّبِيّ ﷺ فقال له: «**أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ**

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (٧٠٣)، ومسلم برقم (٤٦٧).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٠٢) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.
(٣) القصة أخرجها البخاري برقم (٩٢٤)، ومسلم برقم (٧٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٤) سبق تخريجه في صفحة (١١٢).
(٥) سبق تخريجه في صفحة (١١٢).

أَنْتَ يَا مُعَاذُ»[(١)] اقرأ بكذا وكذا، فأمره أن يخفف بالناس، وأن يقرأ في الصلوات، بالشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، واقرأ باسم ربك من أوساط المفصل، فالحاصل أن المؤمن يراعي في هذا إخوانه، فإذا كانوا يحبون التطويل وكانوا محصورين معروفين، فطول عليهم بإذنهم فلا بأس، وإذا كانوا جماعة لا ينحصرون، فليراع فيه التخفيف، وعدم التطويل، حتى ينشطوا في العبادة ويرغبوا فيها.

والسُّنَّة في المتهجد باللَّيل أن يتدبر، وأن يقف عند آية الرَّحمة يسأل، وعند آية الوعيد يتعوَّذ[(٢)]، وإذا مر بالأسماء الحسنى كا ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٢٩] ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفَاتِحَة: ١] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] إلى غير ذلك سبح اللَّه بها ﷻ فيقول: (سُبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه، سبحان اللَّه، سبحانه وبحمده) يسبِّح اللَّه، فإذا مرَّ بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفِطار: ١٣] سألَ اللَّه أن يكون منهم، وإذا مرَّ بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدّخان: ٥١] و﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحِجر: ٤٥] سألَ اللَّه أن يكون منهم، وإذا مرَّ بقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعرَاف: ٥٦] سألَ اللَّه أن يكون منهم، وهكذا، وإذا مرَّ بأيات الوعيد كا ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [الزّخرُف: ٧٤] و﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفِطار: ١٤] تعوذَ، ويكون عنده تدبر وتعقل في تهجده باللَّيل، حتى يستفيد من هذه القراءة الفوائد العظيمة، كما فعله النَّبِيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ وفق اللَّه الجميع.

---

(١) متفق عليه من حديث جابر بن عبداللَّه ﷺ أخرجه البخاري برقم (٧٠٥)، ومسلم برقم (٤٦٥).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (١٠٨).

المجلس الرابع:
في صلاة التراويح وقيام ليالِ الشهر

وفيه خمسة دروس:

الدرس الأول: فصل في سنة صلاة التراويح في رمضان
الدرس الثاني: اجتماع أنواع الجهاد في رمضان
الدرس الثالث: فصل في فضل قيام ليال رمضان
الدرس الرابع: كلمة سماحة الشيخ بمناسبة انتصاف الشهر
الدرس الخامس: فضل العشر الأوسط من الشهر

الدرس الأوَّل
فصل في سنَّة صلاة التَّراويح[١]

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فصل

والتَّراويحُ سنَّةٌ، وَفِعلها جماعةٌ أفضلُ. وفعلُ الصَّحابة لها مشهورٌ. وتلقته الأمَّةُ عنهم خلفًا بعد سلفٍ.

روى أبو بكر عبد العزيز عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُصَلِّي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عِشْرِينَ رَكْعَةً**»[٢].

قال الشَّيخ تقي الدِّين[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ: له أن يُصلِّي عشرين، كما هو المشهورُ في مذهب أحمد، والشافعي؛ وله أن يصلِّي ستًّا وثلاثين، كما هو مذهب مالك؛ وله أن يصلِّي إحدى عشرة، وثلاث عشرة، وكلٌّ حسنٌ، فيكون تكثيرُ الركعات، أو تقليلُها، بحسب طول القيام

---

(١) التراويح جمع: مفردها ترويحة، وهي الاستراحة في قيام شهر رمضان، وسميت بالتراويح، لأنه يعقب كل أربع ركعات ترويحه وجلسة استراحة ينظر: معجم لغة الفقهاء (ص١٢٧)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة: [روح] ص(٣٨١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (٧٦٩٢) وعبدالرحمن في المنتخب (٦٥٣)، والطبراني في الكبير برقم (١٢١٠٢) وفي الأوسط برقم (٧٩٨) قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٤٠٢) برقم (٥٠١٨): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه أبو شيبة إبراهيم وهو ضعيف».

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٣/ ١١٢-١١٣) والفتاوى الكبرى (٢/ ٢٥٠).

وقصره.

وعمرُ ﷺ لمَّا جمع النَّاس على أُبيٍّ صلَّى بهم عشرين ركعة[١].

والصَّحابةُ ﷺ: منهم من يُقلُّ، ومنهم من يكثرُ، والحدُّ المحدود: لا نصَّ صحيح عليه من الشارع.

وكثيرٌ من الأئمة في التراويح يصلُّون صلاةً لا يعقلونها، ولا يطمئنون في الركوع ولا في السجود، والطمأنينة ركن، والمطلوب في الصلاة: حضور القلب بين يدي اللَّه تعالى، واتعاظه بكلام اللَّهِ إذا يُتلى عليه، وهذا لا يحصل في العجلة، فتقصير القراءة مع الخشوع في الركوع والسجود، أولى من طول القراءة مع العجلة المكروهة.

وصلاة عشر ركعات مع طول القراءة والطمأنينة، أولى من عشرين ركعة مع العجلة المكروهة؛ لأن لُبَّ الصَّلاة وروحها: هو إقبالُ القلب على اللَّهِ ﷻ، وربَّ قليلٍ خير من كثير، وكذلك ترتيل القراءة أفضل من السرعة، والسرعة المباحة، هي التي لا يحصل معها إسقاط شيء من الحروف، فإن أسقط بعض الحروف؛ لأجل السرعة لم يجز ذلك له، وينهى عنه، وأمَّا إذا قرأ قراءة بيِّنة، ينتفع بها المصلون خلفه فحسنٌ.

وقد ذم اللَّهُ الَّذين يقرؤون القرآن بلا فهم معناه، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البَقَرَة: ٧٨] أي: تلاوة بلا فهم، والمراد من إنزال القرآن فَهْمُ معانيه، والعمل به، لا مجردُ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب صلاة التطوع والإمامة، باب كم يصلى في رمضان من ركعة برقم (٣) و(٥).

التلاوة.

ويستحب تحسينُ صوته بالقراءة، لما روى أبو داود وغيرهُ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ**»(١).

كان الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول إذا دخل رمضان: إنَّما هو تلاوة القرآن وإطعام الطَّعام.

قال ابن عبد الحَكم: كان مالكٌ إذا دخل رمضانُ، يفرُّ من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، ويقبل على تلاوة القرآن، من المصحف. وقال عبد الرزاق: كان الثوريُّ إذا دخل رمضان ترك جميع العبادات وأقبل على تلاوة القرآن، وقال سفيانُ: كان الزبيد الياميُّ إذا حضر رمضان، أحضر المصاحف، وجمع إليه أصحابه.

كان السلف: يقبلون على تلاوة القرآن في رمضان، فمنهم من يختم في كل سبع، ومنهم في ثلاثٍ، ومنهم في ليلتين، ومنهم في العشر الأواخر من كلِّ ليلة، وما ورد من النهي في أقل من ثلاثٍ فهو محمول على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات الفاضلة، كشهر رمضان خصوصًا الليالي التي تطلب فيها ليلةُ القدر، وفي الأماكن الفاضلة: فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن، اغتنامًا للزمان والمكان؛ وهو قول أحمد وغيره، وعليه يدل عمل غيرهم وقال ﷺ: «**اقْرَءُوا القُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢).

وروى الترمذي عن ابن مسعود مرفوعًا: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ؛**

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٤٦٩، ١٤٧٠) عن سعيد بن أبي سعيد، وعن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري برقم (٧٥٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٨٠٤).

وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[١] فكيف هذا مع المضاعفة في شهر رمضان؟

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ، كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»[٢] رواه الترمذيُّ.

ولأحمد نحوه عن أبي سعيد رضي الله عنه: «**وَيَصْعُدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً، حَتَّى يَقْرَأُ آخِرَ آيَةٍ مِنْه**»[٣].

قال الشارح رحمه الله:

هذه الأحاديث والآثار كُلُّها تتعلق بكثرة قراءة القرءان في هذا الشهر الكريم، مع قيام رمضان، والعناية بالصلاة في هذا الشهر الكريم، والله جل وعلا شرع لعباده أن يصوموه، وأن يقوموه، والصيام فريضة والقيام سنة، كما في الحديث الصحيح: «**كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ وَسَنَنْتُ لَكُمْ قِيَامَهُ**»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٩١٠)، وقال: «حديث حسن صحيح غريب»، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٤١) برقم (٢٠٤٠) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بصالح بن عمر».

(٢) أخرجه الإمام أحمد برقم (٦٧٩٩)، وأبو داود برقم (١٤٦٤)، والترمذي برقم (٢٩١٤) وقال: «حديث حسن صحيح، والحديث من مسند عبداللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما».

(٣) أخرجه الإمام أحمد برقم (١١٣٦٠)، وابن ماجه برقم (٣٧٨٠) بلفظ: «**يقال لصحب القرآن يوم القيامة إذا دخل الجنة أقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ أخر شئ معه**» بنظر: السلسلة الصحيحة (٥/ ٢٨١-٢٨٢).

(٤) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سلمة بن عبدالرحمن برقم (١٣٢٨)، والنسائي (٤/ ١٥٨) برقم (٢٢١٠).

ويقول ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، و«**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(١)] و«**مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ**»[(٢)].

وكان الرَّسُول ﷺ يُصلِّي من اللَّيل ما تيسر في العشرين الأول، وفي العشرة الأخيرة يُحيي الليل بالعبادة والصَّلاة عليه الصَّلاة والسلام، وقد قام بهم ثلاثِ ليال فلما رآهم كثروا خاف أن تفرض عليهم، وقال: صلوا في بيوتكم «**فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ، إِلَّا الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ**»[(٣)]، فلما استخلف عمر رضي الله عنه، ورأى الناس يصلون في المسجد أوزاعًا، هذا يصلي مع ثلاثة، وهذا يصلي مع أربعة، وهذا يصلي مع اثنين، فجمعهم على إمام واحد، وأمر أُبي رضي الله عنه يصلي بهم[(٤)]، فربما صلوا ثلاثًا وعشرين، وربما صلوا إحدى عشرة، وربما صلوا ثلاث عشرة والأفضل في هذا كله ما فعله ﷺ إحدى عشرة، أو ثلاث عشرة، ومن صلَّى ثلاثًا وعشرين، أو ستًا وثلاثين أو أكثر من ذلك لاحرج لقوله ﷺ: «**صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى**» ولم يحدد حدًا لصلاة اللَّيل «**صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً، تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى**»[(٥)].

قال جلَّ وعلا في صفات عباد الرَّحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾ [الفُرقان: ٦٤] وقال في أهل الإيمان: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).
(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).
(٣) أخرجه البخاري من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه برقم (٧٣١ و٧٢٩٠).
(٤) سبق تخريجه في صفحة (١١٧)
(٥) أخرجه البخاري برقم (٤٧٢)، ومسلم برقم (٧٤٩) من حديث عبداللَّه بن عمر رضي الله عنهما.

مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الـذّاريـات: ١٧-١٨] وقـال جـلَّ وعـــــلا: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسرَاء: ٧٩] فالتهجد مشروع، وليس له حد محدود، وأفضله إحدى عشرة، أو ثلاث عشرة، ومن أوتر بثلاث، أو بسبع أو بخمس أو تسع أو أكثر من ذلك، فكل ذلك واسع والحمد لِلَّهِ؛ لأنَّ الرَّسُول لم يحدد حدًا عليه الصَّلاة والسَّلام، بل أطلق للنَّاس في قيام اللَّيل، والأمر في هذا واسع إلَّا أنَّه يختم بالوتر، يجعل الوتر هو الآخر، ويصلِّي صلاة راكدة، لا يعجل فيها، يطمئن ويخشع لِلَّه، لأنَّ المقصود من الصَّلاة ولبها هو حضور القلب وخشوعه فيها لـلَّـه، قـال جـلَّ وعـلا: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

فالواجبُ الطمأنينة وعدم العجلة، وأن يجمع قلبه ولسانه وجوارحه على هذه العبادة، فيصلي صلاة مطمئنًا فيها خاشعًا فيها، يرجو ثواب ربه ويخشى عقابه، ولا يجوز أن ينقرها، كما يفعل بعض الناس؛ بل يجب أن يطمئن، فالطمأنينة ركن في الصلاة لا بدَّ منها، وعلى حسب إطالته في ركوعه وسجوده يكون عدد الركعات.

والسُّنَّة أن يقرأ، قراءة واضحة، ويرتل فيها حتى يخشع النَّاس ويستفيدوا، ويطمئن في ركوعه وسجوده، يسبح ما تيسر، ثلاثة مرات خمس مرات سبع مرات، سبحان ربي العظيم في الركوع، سبحان ربي الأعلى في السجود، يقول: سبحانك اللَّهم ربنا وبحمدك، اللَّهم اغفر لي، سبوح قدوس ربُّ الملائكة والروح، يدعو ما تيسر في السجود، ويكون خاشعًا مطمئنًا ليس بِعَجِل، إذْ المقصود حضور القلب بين يدي اللَّهِ، والعناية بتسبيحه وتعظيمه ودعائه والاستغاثة به

جلَّ وعلا؛ ولهذا يقول ﷺ «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ**»[(١)] يعني: يحسن صوته بالقرآن، هذا يدل على أن هذا متعين؛ لأنَّ تحسين الصَّوت يسبب خشوع القلب، واستفادة الحاضرين والمستمعين، ولمَّا سمع أبا موسى يقرأ في بعض اللَّيالي، جعل يستمع له فلمَّا حضر أبو موسى، قال: يا أباموسى إني سمعت قراءتك البارحة، وقال: «**لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»[(٢)]، قال يا رسول اللَّه: «**لَوْ عُلِّمْتُ** [أَنَّكَ تَسْمَعُ] **لحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا**»[(٣)].

المقصود: أنَّ السُّنَّة في القراءة الطمأنينة، وعدم العجلة والتخشع، وتدبر القرآن؛ لأنَّه المقصود من التلاوة، وليس المقصود مجرد التلاوة، يقول النبي ﷺ: «**اقْرَءُوا القُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي شَفِيعًا يَوْمَ القِيَامَةِ لِصَاحِبِهِ**»[(٤)].

ويقول ﷺ: «**يُؤْتَى بِالقُرْآنِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ**». وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ**[(٥)] **أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ**

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (١١٩).

(٢) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (٥٠٤٨)، ومسلم برقم (٧٩٣).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (٣١٦٠)، وابن حبان برقم (٧١٩٧) والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٢٩) برقم (٥٩٦٦) وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٤) سبق تخريجه في صفحة (١١٩).

(٥) الغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير مادة: [غيا] ص (٦٨٦).

صَاحِبِهِمَا»[(١)]، ويقول ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا...**»[(٢)] ويقول ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] ويقول ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

فالمشروع للمؤمن والمؤمنة العناية بالتدبر والتعقل، والإكثار من التلاوة، لقصد الفائدة، وقصد العلم، وخشوع القلب، والاستفادة من كلام اللَّه ﷻ، لا مجرد أنه ختم، المقصود أن يستفيد من كلام اللَّهِ، وأن يخشع قلبه، فيرق قلبه ويعمل، ويعلم ما يتلوا، وإذا رتل القرآن، وختم في كل ثلاث أو في خمس أو في سبع فلا بأس، والأفضل ألا يختم في أقل من ثلاث، أقل شيء ثلاثة، كل يوم عشرة أجزاء حتى يتدبر ويتعقل ولا يعجل.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم عن النواس بن سمعان ﷺ برقم (٨٠٥).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (١٢٠).

الدرس الثاني
اجتماع أنواع الجهاد في رمضان

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

واعلم أنَّ المؤمنَ، يجتمعُ له في شهر رمضانَ جهادانِ: جهادٌ لنفسه بالنَّهار على الصِّيام، وجهادٌ باللَّيل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين ووفَّى بحقوقهما، وصبر عليهما وفِّي أجرُه بغير حساب.

قال كعبٌ: ينادي يوم القيامة منادٍ: إن كلَّ حارث يُعطى بحرثه ويزادُ، غير أهل القرآن والصيام، فيعطون أجورهم بغير حساب[(١)] ويشفعان له عند اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، كما في المسند عن عبداللَّهِ بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصِّيَامُ وَالقِيَامُ: يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، وَيَقُوْلُ القُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِيْ فِيْهِ فَيُشَفَّعَانِ**»[(٢)].

فالصِّيام يشفع لمن منعه المحرمات كلَّها، فإنَّه يشفع له عند اللَّهِ

---

(١) أخرجه ابن وهب في جامعه برقم (٣١٨) والبيهقي في الشعب (٤/ ٢٣٢) برقم (٢٤٤٥).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٦٦٢٦) من حديث عبداللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ولفظه: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ**» بدل لفظ: «**الصِّيَام والقِيَام**» والحاكم في المستدرك (١/ ٧٤٠) برقم (٢٠٣٦) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٠٨١): «رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال الطبراني رجال الصحيح».

يوم القيامة، يقول: يا ربِّ منعتُه شهواته فشفعني فيه، وأمَّا من ضيَّع صيامهُ، ولم يمنعه ممَّا حرَّمه اللَّه عليه، فإنه جدير أن يُضرب به وجهُ صاحبه، ويقولُ له: ضيعك اللَّه كما ضيعتني.

قال بعض السلف: إذا احتُضر المؤمن، يقال للملك: شُمَّ رأسه. قال: أجد في رأسه القرآن، فيقال شُمَّ قلبه، فيقول: أجد في قلبه الصِّيام، فيقال: شُمَّ قدميه، فيقول: أجد في قدميه القيام، فيقال: حفظ نفسه وحفظه اللَّهُ.

وكذلك القرآن: إنَّما يشفع لمن منعه النَّوم باللَّيل، فإنَّ من قرأ القرآن، وقام به، فقد قام بحقِّه، فيشفع له. وقد ذكر النَّبِيُّ ﷺ رجلًا فقال: «**ذَلِكَ لَا يَتَوَسَّدُ القُرْآنَ**»[١] أي: لا ينامُ عليه، فيصير له كالوسادة.

وروى أحمد من حديث بُريدة رضي الله عنه مرفوعًا: «**إِنَّ القُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ، كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ ـ يعني المتغير اللون ـ فَيَقُوْلُ: هَلْ تَعْرِفُنِيْ؟ فَيَقُوْلُ: أَنَا صَاحِبُكَ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الهَوَاجِرِ**[٢]**، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَكُلُّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ فَيُعْطَى المُلْكَ بِيَمِيْنِهِ، وَالخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوْضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، ثُمَّ يَقَالُ لَهُ: اقْرَأَ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُوْدٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذا كَانَ أَوْ تَرْتِيْلًا**»[٣].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه برقم (١٥٧٢٤)، والنسائي (٣/ ٢٥٦) برقم (١٧٨٣).

(٢) الهواجر: جمع هاجرة، وهو السير في النهار حتى تدحض الشمس ويراد بصلاة الهجيرة الظهر، انظر: لسان العرب (٥/ ٢٥٠) مادة: [هجر].

(٣) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٢٩٥٠) قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٥٩) برقم (١١٦٣٣): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

وفي حديث عُبادة الطويل: «**إِنَّ القُرْآنَ يَأْتِيْ صَاحِبَهُ فِي القَبْرِ، فَيَقُوْلُ لَهُ: أَنَا الَّذِي كُنْتُ أُسْهِرُ لَيْلَكَ، وَأُظْمِيءُ نَهَارَكَ، وَأَمْنَعُكَ شَهْوَاتِكَ، وَسَمْعَكَ وَبَصَرَكَ، فَسَتَجِدُنِي مِنْ الأَخِلَّاءِ خَلِيْلَ صِدْقٍ، ثُمَّ يَصْعَدُ، فَيَسْأَلُ لَهُ فِرَاشًا وَدِثَارًا، فَيُؤْمَرُ لَهُ بِفِرَاشٍ مِنْ الجَنَّةِ، وَيَاسَمِيْنَ مِنْ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَدْفَعُ القُرْآنُ فِي قِبْلَةِ اللَّحْدِ فَيُوَسِعُ عَلَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ**»[(١)].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لقارئ القرآن: أن يُعرف بليله إذا النَّاس ينامون، وبنهاره إذا النَّاسُ [صائمون] يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبحزنه إذا الناس يفرحون[(٢)]، وقال وُهيبٌ: قيل لرجل: ألا تنام؟ فقال: إنَّ عجائب القرآن أطرن نومي[(٣)]، وصحب رجلٌ رجلًا شهرين فلم يره نائمًا، فقال: ما لي لا أراك نائمًا؟ قال: إنَّ عجائب القرآن أطرْن نومي، ما أخرج من أعجوبةٍ إلَّا وقعتُ في أخرى[(٤)].

قال أحمد بن أبي الحواري: إني لأقرأ القرآن وأنظرُ فيه آيةً آيةً، فيتحيرُ عقلي وأعجبُ من حفاظ القرآن، كيف يهنيهم النوم،أو يسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا، وهم يتلون كتاب اللَّه؟ أما إنهم لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقَّه، وتلذذوا به، واسْتَحْلُوا المناجاة به، لذهب عنهم النوم، فرحًا بما رزقوا[(٥)].

فأمَّا من كان معه القرآنُ، فنام عنه باللَّيل، ولم يعمل به بالنَّهار،

---

(١) أخرجه الحارث ابن أبي أسامة كما في بغية الباحث برقم (٧٣٠) والعقيلي في الضعفاء برقم (١٧٨٠) وقال: «وهذا حديث باطل».
(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٣/ ٢٨٧) ينبغي لحامل القرآن... برقم (١٦٦٨).
(٣) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٣٤).
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد ص(١٦٩) برقم (٦٦).
(٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٢٢).

فإنَّه ينتصب له خصمًا يوم القيامة، يطالبه بحقوقه التي ضيَّعها.

روى أحمد من حديث سمرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «**رَأَى فِي مَنَامِهِ رَجُلاً مُسْتَلْقِيًا عَلَى قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ فِهْرٌ، أَوْ صَخْرَةٌ، فَيَشْدَخُ بِهَا رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ، فَإِذَا ذَهَبَ لِيَأْخُذَهُ عَادَ رَأْسَهُ كَمَا كَانَ، فَيَصْنَعُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ. فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيْلَ لَهُ: هَذَا رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ بِالنَّهَارِ، فَهُوَ يَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»[(١)].

وفي حديث عمرو بن شعيب مرفوعًا: «**يَمْثُل القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلًا، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ أَمْرَهُ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ خَصْمًا، فَيَقُوْلُ: يَا رَبِّ حمَّلتَهُ إِيَّايْ، فَبِئْسَ حَامِلُ، تَعْدَّى حُدُوْدِي وَضَيَّعَ فَرَائِضِي، وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي، وَتَرَكَ طَاعَتِي فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ عَلَيْهِ بِالحُجَجِ حَتَّى يُقَالُ: شَأْنُكَ بِهِ، فَيَأْخُذُهُ بِيَدِهِ، فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يَكُبَّهُ عَلَى مَنْخَرِهِ فِي النَّارِ، وِيُؤْتَى بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ: كَانَ قَد حَمَلَهُ، وَحَفِظَ أَمْرَهُ، فَيَتَمَثَلُ لَهُ خَصْمًا دُوْنَهُ، فَيَقُوْلُ: يَا رَبِّ: حَمَّلْتَهُ إِيَّايَ فَخَيْرُ حَامِلٍ، حَفِظَ حُدُوْدِي، وَعَمِلَ بِفَرَائِضِي، وَاجْتَنَبَ مَعْصِيَتِي، وَاتَّبَعَ طَاعَتَي، فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ لَهُ بِالحُجَجِ، حَتَّى يُقَالُ لَهُ: شَأْنُكَ بِهِ، فَيَأْخُذُهُ بِيَدِه، فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يُلْبِسَهُ حُلَّةَ الإِسْتَبْرَقِ، وَيَعْقِدُ عَلَيْهِ تَاجَ المُلْكِ، وَيَسْقِيْهِ كَأْسَ الخَمْرِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٨٦)، ومسلم مختصراً برقم (٢٢٧٥)، وأحمد برقم (٢٠١٦٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٢٩) برقم (٣٠٠٤٤) والبخاري في خلف أفعال العباد مختصراً (ص ٧٤)، والجورقافي في الأباطيل والمناكير برقم (٦٨٥).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث والآثار كلها تتعلق بالصيام والقيام والقرآن، فالمؤمن مأمور بالعناية بصومه وصيانته عمَّا حرَّم اللَّه، وصيانة قيامه عمَّا حرَّم اللَّه، كما أنه مأمور بالعناية بالقرآن، واتِّباعه وتعظيمه، لأنَّ اللَّهَ أنزله ليعمل به، لا لمجرد التلاوة والحفظ.

والمؤمن في هذا الشهر الكريم في جهاد، جهاد في حفظ صيامه، وجهاد في حفظ قيامه، وجهاد فيما يتعلق بالقرآن والعناية بتدبره والعمل به، جهاد فيما يتعلق بوالديه وأقاربه بجيرانه، وجهاد فيما يتعلق بالمسلمين، فهو في جهاد دائم، ليصون صيامه عمَّا حرَّم اللَّهُ، من الفواحش والمنكرات حتَّى يكون صيامًا كاملًا سليمًا، وهكذا يصون قيامه من الرياء والكسل والضعف، ويصون جوارحه كُلُّها دائمًا، عمَّا حرَّم اللَّهُ، ويعتني بالقرآن حتَّى يكون حُجَّة له لا حُجَّة عليه، فمتى استقام على القرآن واتَّبع أوامره واجتنب نواهيه، ووقف عند حدوده صار حُجَّةً له، كما في الحديث الصحيح يقول الرَّسُول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»[(١)] حُجَّة لك إن عملت به، وعليك إن ضيَّعت رواه مسلم في الصحيح.

وجميع ما جاء في القرآن والآثار والأحاديث كُلُّها تدلُّ على أنَّه إمَّا حُجَّة لك أو عليك، فهو حُجَّة لمن عمل به، واستقام على ما فيه من الهدى، وحُجَّةٌ على القوم الآخرين الَّذين ضيَّعوه ولم يقفوا عند حدوده، ولم ينقادوا لأوامره، يقول جلَّ وعلا: ﴿اتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]،

---

(١) جزء من حديث أبي مالك الأشعري الذي أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

ويقول سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] تخرجهم باتِّباع أوامره، وترك نواهيه، أمَّا من أعرض عنه فإنه لا يخرج من الظلمات إلى النور؛ بل سيظل في الظلمات، كما جرى لكُفَّار العرب وغيرهم، ممَّن لم يُسلم. والإنسان يعتبر بغيره، لنا في غيرنا عِبر، فمن ضيَّع القرآن ضاع وهلك، فالواجب على كل مؤمن أن يتبع ما جاء به نَبِيّ اللَّهِ، من القرآن والسُّنَّة، وينقاد للحقِّ وإن لم يكن قارئًا له، عليه العمل بالأوامر، وإن كان عاميًّا لا يقرأ، وعليه أن يستمع قراءته من القراء في المساجد وفي إذاعة القرآن، وفي المجالس التي بينه وبين إخوانه، يسمع القرآن ويستفيد، وعليه أن يؤدي ما أوجب اللَّهُ، وأن ينتهي عمَّا حرَّم اللَّهُ، وأن يقف عند حدود اللَّهِ، حتَّى تكون حياته معمورة بالخير، وبعيدة عن الشر.

ومن المُهِمِّ الحرص على الجلساء الطيِّبين، والأصحاب الطيِّبين، فإنَّ صحبة الأخيار، منها الفائدة العظيمة، وصحبة الأشرار منها الخيبة والندامة، والعاقبة السَّيئة، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»(١)، ويقول ﷺ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ كَحَامِلِ المِسْكِ إِمَّا أَن يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَن تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَن تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَمَثَلُ الجَلِيسُ السُّوءِ كَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ [مِنْهُ] رِيحًا خَبِيثَةً**»(٢).

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الإمام أحمد برقم (٨٠٢٨) واللفظ له، وأبو داود برقم (٤٨٣٣)، والترمذي برقم (٢٣٧٨) وقال: هذا حسن غريب، ينظر: السلسلة الصحيحة برقم (٩٢٧).

(٢) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (٢١٠١و٥٥٣٤)، ومسلم برقم (٢٦٢٨).

وهذه الدار الدُّنيا دار العمل، ودار الامتحان والابتلاء، ودار الرغبة والرهبة، ودار الخوف والرَّجاء، فالواجب على المكلَّف أن يتخذها دار ابتلاء وامتحان ودار عمل ودار رغبة ورهبة، لا دار سرور ودار نعيم فيتلذذ بالملذات، ويعتني بالشهوات ويضيع ما أوجب اللَّهُ عليه، هذا هو الهلاك، ولكن يعتبرها دار عمل، ودار جدٍ واجتهاد ومجاهدة.

هكذا في جميع أوقاته ينظر ما ينفعه فيفعله، وينظر ما يضره فيجتنبه، حتَّى يلقى ربَّه، كما يقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨]، وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٣] هكذا يستشعر أنه ملاق ربَّه، وأنَّه على خطر، صباحًا ومساءً من حضور أجله، وكم من خارج من بيته ما رجع؟، كم من ممسي لم يصبح؟، وكم من مصبح لم يمسي؟، خرج وله آمال طويلة ورجع ميتًا، إمَّا بحادث سيارة، وإمَّا بسكتة قلبية، وإمَّا بغير ذلك، كل هذا مشاهد، والعاقل يحرص على عمارة أوقاته بأسباب السعادة، ولا يغره طول الأمل، فالأمل غرّ الآخرين حتى هلكوا، وعليه أن يعتني ويستعد فيخشى أن يهجم عليه الأجل صباحًا أو مساءً، ويكون على استعداد وعلى حذر، وعلى أُهبة صالحة، على زاد طيِّب ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧].

❋ ❋ ❋

الدرس الثالث
فصلٌ في فضل قيام رمضان

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول اللَّهِ ﷺ قال: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١) متفق عليه.

وعن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ ذكر شهر رمضان فقال: «**إِنَّ رَمَضَانَ شَهْرٌ افْتَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صِيَامَهُ، وَإِنِّي سَنَنْتُ لِلْمُسْلِمِينَ قِيَامَهُ، فَمَنْ صَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا خَرَجَ مِنَ الذُّنُوبِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(٢) أخرجه النسائي، وقال: الصواب عن أبي هريرة(٣).

ولنذكر ههنا طرفًا في فضل قيام اللَّيل، قال اللَّهُ تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السَّجدَة: ١٦] ومدح قومًا فقال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذّاريَات: ١٧-١٨] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفُرقان: ٦٤].

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

(٢) أخرجه أحمد في برقم (١٦٨٨)، والنسائي (٤/١٥٨-١٥٩) برقم (٢٢٠٨-٢٢١٠)، وابن ماجه برقم (١٣٢٨)، قال النسائي: «هذا خطا والصواب أبو سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع برقم (٣٤١٢).

(٣) هذه الإشارة أوردها النسائي بعد ذكر إحدى روايات الحديث السابق برقم (٢٢٠٨).

وروى الترمذي عن عبدالله بن سلام ﷺ، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»(١).

وروي من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ**»(٢).

وللترمذي عن بلالٍ ﷺ مرفوعًا: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ مَقْرَبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، مَكْفَرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الجَسَدِ**»(٣).

وفي حديث الكفارات، والدَّرجات قال: «**وَمِنْ الدَّرَجَاتِ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَطِيْبُ الكَلَامِ، وَأَنْ تَقُوْمَ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»(٤) صححه البخاري، والترمذي.

وروى الطبراني عن أبي الدرداء ﷺ مرفوعًا: «**ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ، وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ ـ فذكر منهم ـ الَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسْنَاءُ وَفِرَاشٌ حَسَنٌ، فَيَقُومُ مِن اللَّيْلِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَذَرُ**

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٨٥) وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه برقم (١٣٣٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٨٦٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١١٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٤٩) وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث بلال إلا من هذا الوجه ولا يصح من قبل إسناده وأورده عقبه من حديث أبي امامة وقال: وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال».

(٤) أخرجه الترمذي من حديث معاذ بن جبل ﷺ برقم (٣٢٣٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال هذا حديث حسن صحيح».

شَهْوَتَهُ، فَيَذْكُرُنِي، وَلَوْ شَاءَ لَرَقَدَ»[(١)].

وفي المسند عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ رَجُلٍ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنَ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي»[(٢)].

وفي حديث أبان عن ربيعة[(٣)] عن أنس عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ مَوَاطِنٌ لَا تُرَدُّ فِيهَا الدَّعْوَةُ: رَجُلٌ يَكُونُ فِي بَرِّيَّةٍ حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ، فَيَقُومُ فَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: عَلِمَ عَبْدِيْ، هَذَا أَنَّ لَهُ رَبًا يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ، فَانْظُرُوا مَاذَا يَطْلُبُ؟ فَتَقُولُ المَلَائِكَةُ: أَيْ رَبِّ رِضَاكَ وَمَغْفِرَتِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَرَضِيْتُ عَنْهُ.

وَرَجُلٌ يَقُومُ مِن اللَّيْلِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلَيْسَ قَدْ جَعَلْتُ اللَّيْلَ سَكَنًا، وَالنَّوْمَ سُبَاتًا؟ فَقَامَ عَبْدِي هَذَا يُصَلِّي، يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا مَاذَا يَطْلُبُ عَبْدِي؟ فَتَقُولُ المَلَائِكَةُ: أَيْ رَبِّ رِضَاكَ وَمَغْفِرَتِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وْرَضِيْتُ عَنْهُ»[(٤)].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك مختصراً (١/ ٧٧) برقم (٦٨) وصححه، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٨٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٥٥) برقم (٣٥٣٦) رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات»، ينظر: السلسلة الصحيحة برقم (٣٤٧٨).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٣٩٤٩)، قال الشيخ الألباني: في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره برقم (٦٣٠).

(٣) **قال سماحة الشَّيخ ابن باز:** استفسار القارئ عن هذا السند هو ربيعة بن أبي عبدالرحمن. شيخ مالك رحمهما اللَّه.

(٤) أخرجه ابن منده في معرفة الصحابة ترجمة رقم (٣٨٨) وقال: «حديث غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه»، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٨/ ٢٤) وقال العلامة الألباني في الضعيفة رقم (٣٤٤٦): «ضعيف جداً».

وروى أحمد عن عقبة ﷺ مرفوعًا، قال: «**رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِيْ يَقُومُ أَحَدُهُمَا مِنَ اللَّيْلِ يُعَالِجُ نَفْسَهُ إِلَى الطَّهُورِ وَعَلَيْهِ عُقَدٌ فَيَتَوَضَّأُ، فَإِذَا وَضَّأَ يَدَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَّأَ وَجْهَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَّأَ رِجْلَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِلَّذِينَ وَرَاءَ الحِجَابِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُعَالِجُ نَفْسَهُ يَسْأَلُنِي، مَا سَأَلَنِي عَبْدِي هَذَا فَهُوَ لَهُ**»(١).

وفي الأثر المشهور: «كذب من ادعى محبتي، فإذا جنَّه اللَّيل نام عنِّي، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه؟ فها أنا مطَّلع على أحبابي، إذا جنَّهم اللَّيل، جعلت أبصارهم في قلوبهم، فخاطبوني على المشاهدة. وكلَّموني على حضوري، غدًا أقرُّ أعين أحبابي في جنَّاتي»(٢).

يَنْزل اللَّهُ تعالى كلَّ ليلة إلى سماء الدُّنيا، فيقول: هَلْ مِن تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيهِ؟ هَلْ مِن مُستَغفِرٍ فَأَغفِرُ لَهُ؟ هَلْ مَن دَاعٍ فَأُجِيبُ دَعْوَتَهُ؟ إِلَى أَن يَنْفَجِرَ الفَجْرُ(٣).

كان بعض السلف يقوم اللَّيل، فنام ليلة، فأتاه آتٍ في منامه، فقال له: قُمْ؛ أما علمت أن مفاتيح الجنَّة مع أصحاب اللَّيل خزانها؟(٤)

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٧٤٥٨) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٦٤) برقم (٣٥٨٧): «رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه كلام». وقال محققو المسند: «حديث صحيح وابن لهيعة قد توبع».

(٢) ذكره أبو نعيم في الحلية عن الفضيل بن عياض رحمه الله (٨/ ٩٩).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ برقم (٧٥٨) بلفظ: «**إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ! هَلْ مِنْ تَائِبٍ! هَلْ مِنْ سَائِلٍ! هَلْ مِنْ دَاعٍ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الفَجْرُ**».

(٤) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات برقم (٣١٣١).

قيل لابن مسعود: ما نستطيع قيام اللَّيل؛ قال: أقعدتكم ذنوبكم[١].

وقيل: لبعض المحبِّين: قد أعجزنا قيام اللَّيل، قال: قيَّدتكم خطاياكم.

وقال الفضيل: إذا لم تقدر على قيام اللَّيل وصيام النَّهار، فاعلم أنك محروم قد قيَّدتك خطيئتك[٢].

يا من ضيَّع عمره في غير طاعة، يا من فرط في شهره؛ بل دهره وأضاعه، يا من بضاعتُه التسويفُ والتفريطُ، وبئس البضاعة، يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمَك الشَّفاعة كلُّ قيام لا ينهى صاحبه عن الفحشاء والمنكر، لا يزيد صاحبه إلَّا بُعدًا، وكُلُّ صيام لا ينهي عن قول الزُّور والعمل به، لا يورثُ صاحبه إلَّا مقتًا وردًّا. يا قوم: أين آثار الصِّيام؟ أين أنوارُ القيام؟

عبادَ اللَّهِ، هذا شهرُ رمضان، وفي بقيته للعابدين مُسْتَمْتَعْ، وهذا كتابُ اللَّهِ فيه يُتلى ويُسْمَعُ، وهذا القرآنُ لو أنزل على جبل لرأيته خاشعًا يتصدع، ومع هذا فلا قلبٌ يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيام يُصان فينفع، ولا قيامٌ استقام فيرجى أن يشفع.

قُلوبٌ خلت من التَّقوى فهي خراب بلقع، وتراكمت عليها الذُّنوب فهي لا تبصر ولا تسمع، كم يُتلى علينا القرآن وقلوبُنَا كالحجارة أو أشدُّ قسوة؟ كم يتوالى علينا شهرُ رمضانَ، وحالنا فيه كحال أهل الشِّقْوَة؟ أين نحن من قوم إذا سمعوا داعيَ اللَّهِ أجابوا، وإذا تليت عليهم آياتُه وَجِلَت قلوبهم وأنابوا؟.

---

(١) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد وقيام الليل برقم (٣٦١) وسنده منقطع.

(٢) ذكره أبو نعيم في الحلية (٨/ ٩٦).

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الأحاديث والآثار كُلُّها تدلُّ على فضل قيام اللَّيل، في جميع السَّنَة، وفي رمضانَ بوجه أخصُّ لما له من مزَّية عظيمة، واللَّهُ جلَّ وعلا قد مدح عباده المؤمنين، عباد الرَّحمن، بقيام اللَّيل والتَّهجد، فقال جلَّ وعلا: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفُرقان: ٦٣-٦٤] وقال في وصف المتقين ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذّاريَات: ١٧-١٨] وقال في وصفهم أيضًا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجدَة: ١٦-١٧].

هذا في جميع السَّنَة، مشروع للمؤمن والمؤمنة التَّهجد باللَّيل، وأن لا ينام اللَّيل كُلَّه؛ بل يكون له قسط من اللَّيل، يُصلِّي فيه ما تيسر ويختم بركعة، يصلِّي في أوله بعد صلاة العشاء، أو في جوف اللَّيل في وسطه، أو في آخره هو أفضل، في آخر اللَّيل عند نزول الرَّبِّ جلَّ وعلا، يقول النَّبِيُّ ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ**»[(١)] هذا فضله جلَّ وعلا، يدعوا عباده إلى أن يسألوه، ويستغيثوا به، ويستعينوا به جلَّ وعلا: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرجه البخاري برقم (١١٤٥)، ومسلم برقم (٧٥٨).

دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١) و«**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٢).

فقيام رمضان له مزيَّه، أنه سنَّة الرَّسُول ﷺ وفعله بأصحابه، وفعله الصَّحابة واجتهدوا في ذلك ففيه فضل عظيم من قام رمضان مع الإيمان، والتَّصديق بإخلاص واحتساب غفر اللَّهُ له ما تقدَّم من ذنبه، وهكذا ليلة القدر، في العشر الأخير: من قام العشر الأخيرة أدرك ليلة القدر، فهذه أيام عظيمة وليالٍ عظيمة، يشرع للمؤمن أن يغتنمها بأنواع الخير، من قراءة القرآن بالتَّدبر والتَّعقل، وبالتَّسبيح وبالتَّهليل وبالتَّكبير والاستغفار، والصَّدقة، وعيادة المريض، واتِّباع الجنازة، إلى غير هذا من وجوه الخير، يرجو ثوابَ اللَّهِ ويخشى عقابه، وينافس ويسارع في كل خير، لا يكون كالمعرضين والغافلين، تمر بهم أوقات فضائل وهم في غفلة؛ بل يجاهد نفسه في اغتنام أسباب الخير، وأوقات الخير.

ولهذا كان السلف رضي اللَّه عنهم وأرضاهم، يحرصون على اغتنام هذه الفضائل، بالقراءة والتعبد والصلاة والذكر والصدقات، وغير هذا من وجوه الخير، كالاعتكاف وغير ذلك، فهي أوقات تمر بما فيها، خزائن هذا يخزن فيها الخير والعمل الصالح، وهذا يخزن فيها الشَّر والعمل السيئ ولا حول إلَّا باللَّهِ، فالعاقل والحازم والكيِّس، هو الَّذي يحرص على أن يخزن فيها الخير، من كثرة القراءة، وكثرة التَّسبيح والتَّهليل والتَّحميد والتَّكبير، وكثرة الدُّعاء،

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

وكثرة الصَّلاة، وكثرة الاستغفار، وكثرة الصَّدقة، إلى غير هذا من وجوه الخير، يَعني: يعتني بهذه الأيام واللَّيالي؛ لأنَّها أيام معدودة ومحدودة، تفوت بما فيها، فالحازم يعتني بها، ويخصها بمزيد من العناية، يرجو ثوابَ اللَّهِ ويخشى عقاب اللَّهِ. نسألُ اللَّهَ للجميع التَّوفيق، والقبول والمغفرة.

واللَّهُ المستعان.

الدرس الرابع
كلمة سماحة الشيخ بمناسبة انتصاف الشهر

الحمد لِلَّهِ وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على رسول اللَّهِ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه. أمَّا بعد:

فإنَّ هذا الشَّهر الكريم شهر رمضان، قد ذهب أكثره، فنسألُ اللَّهَ أن يوفقنا وإيَّاكم، لمضاعفة الجهود في كلِّ ما يرضيه، وأنَّ يعيننا وإيَّاكم على المسابقة إلى كل خير، فهذه الأيام الفاضلة الباقيَّة يشرع للمؤمن فيها، أن يضاعف الجهود، وأن يغتنم ما فاته في البقية، من طاعة اللَّهِ جلَّ وعلا، بكثرة الصَّلاة، وكثرة التَّسبيح والتهليل والتكبير والتحميد، وكثرة القراءة للقرآن الكريم بالتَّدبر والتعقل، وكثرة الصدقة، وكثرة النصيحة، والتوجيه إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، إلى غير هذا من وجوه الخير، كلما تقدم الشهر، فينبغي للمؤمن أن يزيد في العمل، ويستدرك البقية؛ لأنَّه شهر كريم عظيم، تضاعف فيه الحسنات، فينبغي للمؤمن، أن يجتهد في الإكثار من الخير في هذا الشهر العظيم، واغتنام أيامه ولياليه، مع سؤال اللَّهِ التَّوفيق والإعانة والقبول والمغفرة.

فالمؤمن يجتهد مع الإخلاص والصدق والرغبة فيما عند اللَّه، وخشيته ﷻ، فإن البقية لا يعادلها شيء أيام فضائل تنتهي، فالمؤمن يجتهد في حفظ أيامه ولياليه، وفي حفظ بقيَّة عمره، وفيما يستقبله

من الزَّمان بالجدِّ والاجتهاد، في طاعة اللَّهِ، والتَّوبة ممَّا سلف من التَّقصير والذُّنوب، فالإنسان محل للخطأ، كما قال ﷺ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»(١).

فالحازم والكيس هو الذي دائمًا في ملاحقة؛ لأخطائه بالتوبة والندم والإقلاع، وفي مسابقة إلى الأعمال الصالحات، في أيام الفضائل واللَّيالي الفضائلة، وفي غيرها من الأوقات، هكذا الكيس والحازم، يكون دائمًا في نشاط وهِمَّة ورغبة في الخير والزيادة والمسابقة، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠-١٢] يقول سبحانه: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨] ويقول: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣-١٣٥].

فهم مراقبون لما قد يقع منهم، مسارعون للتوبة ممَّا قد يقع من السَّيئات، وممَّا يقع من ظلمهم؛ لأنفسهم من المعاصي الخفيَّة، الَّتي بينه وبين اللَّه، وبتوبة من المعاصي الظَّاهرة، وهي الفواحش، والإنسان محل للذُّنوب، فلا ينبغي له أن يعجب بنفسه أو يَمَنَّ بعمله؛ بل ينبغي أن يكون دائم الخوف والحذر، دائم الضَّراعة إلى اللَّهِ، أن يهديه وأن يعيذه من شرِّ نفسه، ومن شرِّ الشيطان، وأن

(١) أخرجه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه برقم (٢٤٩٩) وقال: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة»، وابن ماجه برقم (٤٢٥١)، وحسنه الشَّيخ الألباني في تخريج المشكاة برقم (٢٣٤١).

يمنحه التَّوفيق والتَّسديد، في قوله وعمله.

واللَّهُ يقولُ جلَّ وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المَائدة: ٢] ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العَصر: ١-٣] فهذا ميدان السِّباق وميدان المسارعة، وميدان السِّباق للطَّاعات، من سائر الأنواع: من صلاة وصدقة، وقراءة قرآن، وتسبيح وتهليل وتكبير وتحميد، وبر الوالدين وصلة الرَّحم، دعوة إلى اللَّهِ، أمر بمعروف ونهي عن منكر، إلى غير هذا من وجوه الخير، ترجو بها ثواب اللَّهِ وتخشى بها عقابه، نسألُ اللَّهَ وإيَّاكم أن يمنحنا التَّوفيق، وأن يرزقنا وإيَّاكم المسارعة إلى كل خير، والحذر من كل شرٍّ، والتَّوبة الصَّادقة إلى اللَّهِ من سائر الذُّنوب، إنَّه سميع قريب.

وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

❋ ❋ ❋

الدرس الخامس
فضل العشر الأوسط من شهر رمضان

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فصلٌ في العشْرِ الوُسَط

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**كَانَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ يَعْتكِفُ فِي العَشْرِ الوُسَطِ مِنْ شَهْرِ رِمضَانَ**»(١) وقد دلَّ الحديثُ: على أنَّهُ كان يعتكف العشر الوُسط لابتغاء ليلة القدر.

وفي رواية: أَنَّهُ اعْتَكَفَ العَشَرَ الأُوَلَ، ثُمَّ اعْتَكَفَ العَشْرَ الوُسَطِ، ثُمَّ قَالَ: **إِنِّي أُتِيْتُ فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخَرَ، فَمَنْ أَحَبَّ [مِنْكُمْ] أَن يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ، فَاعْتَكَفَ النَّاسُ مَعَهُ**»(٢).

وقد ورد الأمرُ: بطلب ليلة القدر في النِّصف الآخر من رمضان، وفي أفراد ما بقي من العشر الوسط، وهما: ليلة سبع عشرة، وتسع عشرة.

أمَّا الأول: فروى الطبراني عن عبداللَّه بن أنيس أَنَّهُ ﷺ سُئل عن ليلة القدر؟ فقال: «**رَأَيْتُهَا وَأُنْسِيْتُهَا، فَتَحَرَّوْهَا فِي النِّصْفِ الآخِرَ**»(٣)

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١١٦٧)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٣٣٧٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١١٦٧).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٤١٣) برقم (١١٢، ١١٣) في القطعة التي وجدت من المفقود.

الحديث، وكلُّ زمانٍ فاضلٍ من ليلٍ أو نهار، فإنَّ آخره أفضلُ من أوله.

وأمَّا الثَّاني: فروى أبو داود عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: «**اطْلُبُوهَا لَيْلَةَ سَبْعَ عَشَرَةَ**»(١)، وقالوا: إنَّ صبيحتها كان يوم بدر.

والمشهور عند أهل السِّير والمغازي: أن ليلة بدرٍ ليلةُ سبع عشرة، وكانت ليلة جمعةٍ، وكان زيدُ بن ثابت ﷺ، لا يحيي ليلةً من رمضان، كما يحيى ليلة سبع عشرة، ويقول، إنَّ اللَّهَ تعالى فرق في صبيحتها بين الحقِّ والباطل، وأذلَّ في صبيحتها أئمة الكفر.

وحكى أحمدُ عن أهل المدينة: أنَّ ليلة القدر تطلبُ ليلة سبع عشرة، وأصحُّ ما روي من الحوادث في هذه اللَّيلة: أنَّها ليلةُ بدر، وصبيحتها هو يوم الفرقان، وسمي يوم الفرقان؛ لأن اللَّه تعالى فرق فيه بين الحقِّ والباطل، وأظهر الحقُّ وأهله على الباطل وأهله، وعلت كلمةُ اللَّهِ وتوحيدُه، وذُلَّ أعداؤه من المشركين، وأهل الكتاب.

وفي الموطأ عن طلحة بن عبيد اللَّهِ ﷺ مرفوعًا: «**مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ أَحْقَرَ وَلَا أَدْحَرَ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ، إِلَّا مَا رُؤِيَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقِيلَ: مَا رُوِيَ يَوْمَ بَدْرٍ؟ قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ عليه السلام يَزَعُ المَلَائِكَةَ**»(٢).

وفي ليلة القدر تنتشرُ الملائكةُ في الأرض، فيبطل سلطان الشَّياطين، كما قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ٤-٥].

---

(١) أخرجها برقم (١٣٨٤)، وقال الشيخ الألباني في ضعيف من أبي داود: برقم (٢٤٤): «هذا إسناد ضعيف».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٤٢٢) برقم (٢٤٥).

وفي المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**الْمَلَائِكَةُ فِيْ الأَرْضِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ الحَصَى**»(١).

وفي صحيح ابن حبان عن جابر رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ في ليلة القدر: «**لَا يَخْرُجُ شَيْطَانُهَا حَتَّى يَخْرُجُ فَجْرُهَا**»(٢).

وفي المسند عن عبادة مرفوعًا: «**لَا يَحِلُّ لِكَوْكَبٍ أَن يُرْمَى بِهِ فِيْهَا حَتَّى يَصْبِحُ، وَإِنْ أَمَارَتِهَا: أَنَّ الشَّمْسَ تَخْرُجُ فِي صَبِيْحَتِهَا مُسْتَوِيةً لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ، مِثْلُ القَمِرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَلَا يَحِلُّ لِشَيْطَانٍ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا يَوْمَئِذٍ**»(٣).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَطْلَعُ مَعَ الْشَّمِسِ كُلَّ يَوْمٍ، إِلَّا لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَطْلُعُ لَا شُعَاعَ لَهَا**»(٤).

وقال مجاهد: (سلامٌ هي) قال: «لا يحدث فيها داءٌ، ولا يستطيع الشَّيطان العمل فيها» وعنه قال: «ليلةُ القدر ليلةٌ سالمةٌ، لا يحدثُ فيها حدثٌ، ولا يرسل فيها الشَّيطان» وعنه قال: «سالمةٌ، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سُوءً، ولا يُحدثُ فيها أذىً».

وعن ابن عباس قال: في تلك اللَّيلة تُصفَّدُ مردةُ الجنِّ، وتُغَلُّ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم (١٠٧٣٤)، والبزار في مسنده برقم (٩٤٤٧)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٦) برقم (٥٠٤٢): «رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات» وحسنه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (٢٢٠٥).

(٢) أخرجه ابن حبان برقم (٣٦٨٨) وقال محققه صحيح بشواهده.

(٣) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٢٧٦٥)، قال في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٥) برقم (٥٠٤١): «رواه أحمد ورجاله ثقات».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٢٧) برقم (٩٥٠٩)، وذكره البيهقي في فضائل الأوقات برقم (١٠٤).

عفاريت الجنِّ، وتُفتحُ فيها أبوابُ السَّماءِ كُلُّها، وتُقبلُ فيها التَّوبةُ من كُلِّ تائبٍ، فلذلك قال: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥][(١)].

أبشروا يا معشر المسلمين، فهذه أبوابُ الجنَّة الثمانية في هذا الشهر لأجلكم قد فُتِّحت، ونسماتُها على قلوب المؤمنين قد نفَحت، وأبوابُ الجحيم كلُّها لأجلكم مغلقة، وأقدامُ أبليس وذريته من أجلكم موثقة.

قَصِّمُوا ظهره بكلمة التَّوحيد، فهو يشكو ألم الانكسار في كلِّ موسم من مواسمِ الفضل، ففي هذا الشَّهر يدعو بالويل، لما يرى من تنزُّل الرَّحمة ومغفرة الأوزار، غلب حزبُ الرَّحمن. وهرب حزبُ الشَّيطان.

عباد اللَّهِ: هذا شهر رمضان قد انتصف، فمن منكم حاسب نفسه فيه لِلَّهِ وانتصف؟ من منكم قام في هذا الشَّهر بحقِّهِ الَّذي عرف؟ ألا إن شهركم قد أخذ في النَّقص فزيدوا في العمل، فكأنكم به وقد انصرف، فكلُّ شهر فعسى أن يكون منه خلف، أما شهر رمضان، فمن أين لكم منه خلف؟

تنصف الشهرُ وا لهفاهُ وانصرَما ... واختصَّ بالفوزِ بالجناتِ مَنْ خَدَما
وأصبح الغافلُ المسكينُ منكسِرا ... مثلي، فيا ويحَهُ، يا عُظمَ ما حُرما
من فاتُه الزرعُ في وقت البذارِ فما ... ترَاهُ يحصُدُ إِلَّا الهمَّ والنَّدَما
طُوبَى لمن كانت التَّقوى بِضاعتَه ... في شهرِه وبحبلِ اللهِ مُعْتَصِما

(١) أخرجه محمد بن نصر في قيام الليل كما في مختصره للمقزيزى (ص ٢٥٠).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الآثار والأحاديث فيما يتعلَّق بالعشر الوسط من رمضان، وليلة القدر، العشر الوسط روي عن النَّبِيِّ ﷺ في حديث سلمان، وفي سنده ضعف أنَّه يقال لها عشر المغفرة؛ لأنَّ «**أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ**»[(١)] رواه ابن خزيمة.

المقصود: أنَّ هذا الشَّهر العظيم كله مغفرة، وكلُّه رحمة، وكلُّه عتق من النَّار، وكلُّه خير، والجدير بالمؤمن أن يجتهد في أيامه ولياليه، في أسباب المغفرة، من الصَّلوات، والصَّدقات، وكثرة الذِّكر، وقراءة القرآن، إلى غير هذا من وجوه الخير، الَّذي جعلها اللَّهُ من أسباب المغفرة، وقد كان النَّبِيُّ ﷺ يعتكف في العشر الأول، ثمَّ اعتكف في العشر الوسط، ثمَّ أخبر أنَّ ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، فاستقر اعتكافه في العشر الأواخر من رمضان، وتوفي عليه الصَّلاة والسَّلام وهو يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فالسُّنَّة اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

معنى قوله ﷺ عن ليلة القدر «**رَأَيْتُهَا وَأُنْسِيتُهَا**»[(٢)] يعني: أُنسيَها ذهبت عن باله، هذا أحسن من نَسيتها أُنسيت أحسن من نَسيت؛ لأنَّ أنساه هي من الشَّيطان لحكمة بالغة؛ لأنَّ النَّاس لو عرفوها لربَّما اجتهدوا فيها وحدها، لكن إذا عرفوا أنَّها في العشر، وأنَّه لا يعلم متَّى تكون في العشر، اجتهدوا في العشر كُلِّها فصار أعظم لأجورهم، وأكثرا لحسناتهم[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٣١).
(٢) سبق تخريجه في صفحة (١٤٤).
(٣) ينظر: فتح الباري (٤/٢٦٦).

والاعتكاف: هو لزوم مسجدٍ بطاعة اللَّهِ والتَّقرب إليه، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فالاعتكاف لبث في المسجد للتَّعبد، وقراءة القرآن، والصَّلاة، وغير ذلك، وهو مشروع في كلِّ وقت، لكن أفضله اعتكاف في العشر الأخيرة، تأسيًا به عليه الصلاة والسلام.

وهذا الشَّهرُ الكريم، قد ذهب أكثره، وبقي أقلُّه، فالمشروع للمؤمن الجدَّ في البقيَّة، واستدراك ما بقي منه بأنواع الأعمال الصَّالحه، والاستكثار من الخير، كلمَّا زاد تقدَّم الشَّهر، فالمشروع لك يا عبدَاللَّهِ: أن تكون في ازدياد من العمل، تستدرك الباقي بمزيد من العمل الصَّالح، من صلاة، وصدقات، واستغفار، وتسبيح وتهليل وتحميد وتكبير، وقراءة القرآن، والدَّعوة إلى اللَّهِ، ونصيحة لعباد اللَّه، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، إلى غير هذا من وجوه الخير كلما تقدَّم الشَّهر، فأنت تزيد في العمل، حتى تختم شهرك بأحسن أعمالك، وبخير أعمالك، وأنت تشاهد بين حين وآخر، هذا أصابه حادث يمنعه من العمل، هذا توفي فاستدرك واغتنم ما بقي بأنواع الخير، وأنواع الاجتهاد، مع الإخلاص لِلَّهِ والصِّدق في طاعته.

وأمَّا العشر الأخيرة، فكان الرَّسول يحييها عليه الصِّلاة والسَّلام، يحييها، ويعمرها بطاعة اللَّهِ؛ لأنَّ فيها ليلة القدر، ولهذا كان يحيِّها، ويجتهد فيها أكثر مما يجتهد في العشرين[1]، اغتنامًا لبقيَّة الشَّهر، وحرصًا على العمل الصَّالح في ليلة القدر، فمن قام

(١) في صحيح مسلم برقم (١١٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر».

ليال العشر فقد قام ليلة القدر؛ لأنَّها لا تخلوا منها، فهي في ليل العشر الأواخر ولا بدَّ، وأحراها وأقربُها ليلة سبع وعشرين، وهي تتحرى في كلِّ الأوتار: ليلة إحدى وعشرين، وثلاثٍ وعشرين، وخمسٍ وعشرين، وسبعٍ وعشرين، وتسع وعشرين، وفي جميع اللَّيالي العشر، وقد قال اللَّهُ جلَّ وعلا فيها: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] وسمَّاها ليلة مباركة﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدّخان: ٣-٤].

فجدير بك أن تعمل فيها ما يَسَّر اللَّه لك؛ لأن هذه اللَّيلة مضاعفة عظيمة، الصَّلاة فيها أفضل من ألف شهر، وهكذا الصَّدقة، وهكذا أنواع العبادة كُلِّها، هذا فضل كبير وخير عظيم، نسألُ اللَّهَ أن يوفقنا وإيَّاكم لما يرضيه، وأن يجعلنا وإيَّاكم من المسارعين إلى كل خير في هذه البقيَّة، وأن يتقبلَ من الجميع، ويجعلنا وإيَّاكم من العتقاء من النَّار، ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّهِ.

وصلَّى اللَّه وسلَّم على نبيِّنا محمَّد ﷺ.

المجلس الخامس:
في فضل العشر الأواخر

وفيه ثلاثة دروس:

الدرس الأول: في فضل إحياء اللَّيالي العشر الأواخر بالصلاة والاعتكاف

الدرس الثاني: في التهيؤ لليلة القدر بالغسل والتنظيف والتطيب

الدرس الثَّالث: فضل تحري ليلة القدر في السبع الأواخر

الدرس الأول
في فضل إحياء اللَّيالي العشر الأواخر بالصَّلاة والاعتكاف

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فصلٌ في فَضْلِ العشرِ الأواخرِ من رمضانَ

في الصَّحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ**»(١).

وفي رواية لمسلم عنها، قالت: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ**»(٢).

كان النَّبِيُّ ﷺ يخصُّ العشر الأواخر من رمضان، ما لا يخصُّ غيره، بأعمالٍ يعملُها في بقيَّة الشَّهر.

فمنها إحياء اللَّيل؛ فيحتمل أنَّ المراد إحياء اللَّيل كُلَّه، وروي من وجه فيه ضعفٌ بلفظ: «**وَأَحْيَا اللَّيْلَ كُلَّهُ**»(٣)، وفي المسند من وجهٍ آخرَ عنها قالت: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْلِطُ العِشْرِينَ بِصَلَاةٍ وَنَوْمٍ، فَإِذَا كَانَ العَشْرُ** ـ تعني الأَخِيْرَ ـ **شَمَّرَ وَشَدَّ المِئْزَرَ**»(٤).

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري برقم (٢٠٢٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (١١٧٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١١٧٥).

(٣) أخرجه أبو الحسن برقم (٥٩٤) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أمر أهله بالاحتشاد وأحيا الليل كله».

(٤) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٥١٣٥).

وخرَّج أبو نعيم بإسناد فيه ضعف، عن أنس ﷺ: «**كَانَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ قَامَ وَنَامَ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ لَمْ يَذُقْ غَمْضًا**»(١).

ويحتمل أنَّ يرادَ بإحياء اللَّيل إحياء غالبه؛ وروي عن بعضهم من أحيا نصف اللَّيل فقد أحيا اللَّيل؛ وفي صحيح مسلم عن عائشة ﷺ قالت: «**مَا عَلِمْتُهُ ﷺ قَامَ لَيْلَةً حَتَى الصَّبَاحِ**»(٢).

ونقل عن ابن عباس ﷺ: أنَّ إحياءَها يحصلُ بأن يُصلِّيَ العشاء في جماعة، وَيَعزِمَ على أن يصلِّيَ الصُّبح في جماعة، وقال الشَّافعيُّ: من شهد العشاء والصُّبح ليلة القدر، فقد أخذ بحظه منها، ونقل مثله مالكٌ عن ابن المسيب، وروي مرفوعًا: من حديث أبي هريرة ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِيْ جَمَاعَةٍ فِيْ رَمَضَانَ، فَقَدْ أَدْرَكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ**»(٣) أخرجه الأصبهاني.

ويروى من حديث أبي جعفر، محمد بن علي مرفوعًا: «**مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ صَحِيحًا مُسْلِمًا، فَصَامَ نَهَارَهُ، وَصَلَّى وَرْدًا مِنْ لَيْلِهِ، وَغَضَّ بَصَرَهُ، وَحَفِظَ فَرْجَهُ وَلِسَانَهُ وَيَدَهُ، وَحَافَظَ عَلَى صَلَاتِهِ فِي الجَمَاعَةِ، وَبَكَّرَ إِلَى جُمَعَهِ، فَقَدْ صَامَ الشَّهْرَ وَاسْتَكْمَلَ، الأَجْرَ، وَأَدْرَكَ لَيْلَةَ القَدْرِ، وَفَازَ بِجَائِزَةِ الرَّبِّ**» **قال أبو جعفر: جَائِزَةٌ لَا تُشْبِهُ جَوَائِزَ الأُمَرَاءِ**(٤) رواه ابن أبي الدنيا.

ومنها: أنه ﷺ كان يُوقظُ أهله للصَّلاة في ليالي العشر دون غيرها.

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٠٦)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٤٧٩) برقم (٤٦٢٠).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٤٦)، ولفظه: «**مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ**».
(٣) أخرجه ابن خزيمة برقم (٢١٩٥)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٣٤٣٢).
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في فضائل رمضان برقم (٢٠-٢١).

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه ﷺ: «**قَامَ بِهِمْ لَيْلَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، وَخَمْسٍ وَعِشْرِينَ، وَسَبْعٍ وَعِشْرِينَ؛ وَذَكَرَ أَنَّهُ دَعَا أَهْلَهُ وَنَسَاءَهُ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ خَاصَّةً**»(١). وهذا يدل على أنَّه يتأكد إيقاظُهم في آكد الأوتار، الَّتي ترجى فيها ليلةُ القدر.

وروى الطبراني عن علي رضي الله عنه أنه ﷺ: «**كَانَ يُوْقِظُ أَهْلَهُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُطِيْقُ الصَّلَاةَ**»(٢).

قال سفيان الثوري: أحبُّ إليَّ إذا دخل العشر الأواخر: أن يتهجد باللَّيل ويجتهد فيه، وينهض أهله وولده إلى الصَّلاة إن أطاقوا ذلك.

وصحَّ أنَّه ﷺ: كان يطرق فاطمة، وعليًّا ليلًا، فيقول: «**أَلَا تُقُوْمَانِ فَتُصَلِّيَانِ؟**»(٣) وكان يوقظ عائشة باللَّيل، إذا قضى تهجُّدَهُ وأراد أن يوتر(٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢١٤٤٧)، ولفظه: عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ نَحْوٌ مِنْ ثُلُثِ اللَّيْلِ ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا اللَّيْلَةَ الرَّابِعَةَ وَقَامَ بِنَا اللَّيْلَةَ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى ذَهَبَ نَحْوٌ مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ قَالَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَفَّلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ. قَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ بَقِيَّةُ لَيْلَتِهِ**». ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا السَّادِسَةَ وَقَامَ بِنَا السَّابِعَةَ ـ وَقَالَ ـ وَبَعَثَ إِلَى أَهْلِهِ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الفَلَاحُ. قَالَ: قُلْتُ وَمَا الفَلَاحُ قَالَ: «**السُّحُورُ**».

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط في (٨/ ٢٠٦) برقم (٧٤٢٥)، قال الهيثمي (٣/ ١٧٤): «رواه الطبراني وفي إسناده عبد الغفار بن قاسم وهو ضعيف، وإسناد أبي يعلى حسن».

(٣) أخرجه البخاري من حديث علي رضي الله عنه برقم (١١٢٧) بلفظ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥١٢)، ومسلم برقم (٥١٢) ولفظه للبخاري: **عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَأَنَا رَاقِدَةٌ مُعْتَرِضَةٌ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُوتِرَ أَيْقَظَنِي فَأَوْتَرْتُ.**

وورد التَّرغيب في إيقاظ أحد الزوجين صاحبه للصَّلاة، ونضح الماء على وجهه(١).

وفي الموطأ: أنَّ عمر ﷺ، كان يصلِّي من اللَّيل ما شاء اللَّه، حتَّى إذا كان نصف اللَّيل أيقظ أهله للصَّلاة، يقول لهم: الصَّلاة الصَّلاة، ويتلو هذه الآية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] الآية(٢).

ومنها: أنَّه ﷺ: كان يَشُدُّ المئزر، والمرادُ اعتزالهُ النِّساء. وورد أنَّه لم يأو إلى فراشه، حتى ينسلخ رمضان. وفي حديث أنس: «**وَطَوَى فِرَاشَهُ، وَاعْتَزَلَ النِّسَاءَ**»(٣).

وقد كان ﷺ يعتكفُ العشر الأواخر، والمعتكفُ ممنوعٌ من قربان النِّساء بالنَّصِ والإجماع، وقد قال طائفةٌ من السَّلف في قوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٨٧] إنَّه طلبُ ليلةِ القدر.

والمعنى في ذلك: أنَّ اللَّهَ تعالى لما أباحَ مباشرةَ النِّساء في ليالي الصِّيام، إلى تَبَيُّن الخيطُ الأبيض من الخيط الأسودِ، أمر مع

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه أبو داود برقم(١٣٠٨)، وابن ماجه برقم (١٣٣٦) وغيرهما بلفظ: «**رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ**».

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (١/ ٣٣٧) في كتاب الصَّلاة، باب ما جاء في صلاة اللَّيل برقم (٢٥٩).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ١٣) برقم (٥٦٥٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حفص بن واقد البصري، قال ابن عدي: له أحاديث منكرة (٥٠٢٩) (٣/ ١٧٤).

ذلك بطلب ليلة القدر، لئلا يشتغل المسلمون في طول ليالي الشَّهر، بالاستمتاع المباح، فيفوتُهم طلبُ ليلةِ القدر، فأمر مع ذلك بطلب ليلة القدر بالتَّهجد من اللَّيل، خصوصًا في اللَّيالي المرجوَّة فيها.

فمن ههنا كان ﷺ يُصيبُ من أهله في العشرين من رمضان، ثُمَّ يعتزلُ نساءهُ، ويتفرغُ لطلب ليلة القدر في العشر الأواخر.

ومنها: تأخيره الفطور إلى السحور. روي عن عائشة رضي الله عنها وأنس رضي الله عنهم أنه ﷺ كَانَ فِي لَيَالِي العَشْرَةِ يَجْعَلُ عِشَاءَهُ سَحُورًا(١).

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا قال: «**لَا تُوَاصِلُوا، فَأَيُّكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ حَتَّى السَّحَرِ**». قَالُوا فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ **قَالَ**: «**إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ لِي مُطْعِمٌ يُطْعِمُنِي وَسَاقٍ يَسْقِينِ**»(٢).

وهذا إشارة إلى ما كان اللَّهُ يفتحه عليه، في صيامه وخَلْوته بربِّه، لمناجاته وذكره، من موادِّ أُنسه ونفحات قُدسه، فكان يردُ بذلك على قلبه من المعارف الإلهية، والمنح الربانية ما يغذيه، ويغنيه عن الطَّعام والشَّراب.

الذِّكرُ: قوتُ العارفين، يُغنيهم عن الطَّعام والشَّراب؛ لما جاع المجتهدُون شبعوا من طعام المناجاة، فأُفٍّ لمن باع لذة المناجاة، بفضل لقمةٍ أو لقيمات.

---

(١) من حديث عائشة رضي الله عنها عند الضياء في السنن والأحكام (٣/ ٥٢٨)، ومن حديث أنس رضي الله عنه عند ابن عدي في الكامل (٣/ ٢٩٣)، ومن حديث علي رضي الله عنه عند الطبراني (٥/ ١١٢)..

(٢) أخرجه برقم (١٩٦٣) وبرقم (١٩٦٧).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث والآثار فيما يتعلق بالعشر الأخيرة من رمضان، هذا الشَّهر الكريم كله خير، وكله رحمة، وكله مضاعفة، وكله توجيه إلى خير، وكله من نعم اللَّهِ العظيمة؛ ولكن عشره الأخيرة هي أفضله وهي خاتمته، ولهذا كان يخصُّها ﷺ بالعناية، كان يخصها بالاعتكاف، وتحري ليلة القدر، ويخصها بالعناية بإحياء لياليها، وعدم النَّوم فيها؛ بل يجتهد بإحيائها بالعبادة، من قراءة وصلاة، وهذا كله ممَّا يدلُّ على أنَّ هذه العشر، لها مزيَّة خاصة، ولهذا إذا دخلت شدَّ المئزر، وأحيا ليله، وأيقظ أهله عليه الصَّلاة والسَّلام.

فالمشروع للمؤمنين التأسي بنبيِّهم، عليه الصَّلاة والسَّلام، وأن يختموا هذا الشَّهر الكريم بالعناية بهذه العشر، والحرص على مضاعفة الجهود فيها، ومن تيسر له الاعتكاف، فالاعتكاف سنَّة، مع العناية بكثرة القراءة، والصَّلاة والاستغفار والتَّسبيح والتهليل والتكبير والتحميد، والصدقات، وغير هذا من وجوه الخير،ولهذا قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ**»(١).

ومن المُهِمِّ أيضًا العناية بالأشياء التي يُرجى فيها المغفرة، والعتق من النَّار في هذه الأيام والليالي، من تفطير الصوَّام والصدقات على الفقراء والمساكين، ومساعدة الغرماء على قضاء ديونهم، إلى غير هذا من وجوه الخير، يقول اللَّهُ جلَّ وعلا: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] فالمؤمن يحسن، فَيُحسن

(١) سبق تخريجه في صفحة (١٥٣).

اللَّهُ إليه، يحسن بما يستطيع، فالصدقات وقضاء دين المدينين، من أفضل القربات، ومن أفضل الطَّاعات.

وهكذا العبادات الخاصَّة، تسبيح وتهليل، وقراءة قرآن، وصلاة، كلُّ هذا ممَّا يرفع اللَّهُ به الدَّرجات ويُعظم به الأجور، في كلِّ وقت، وفي وقت العشر الأخير تُضَاعف الحسنات، ويعظم الأجر، فينبغي للمؤمن، بل ويشرع له المضاعفة في جهوده في كلِّ سُبل الخير في خاتمة الشَّهر، ومن ذلك أيضًا العناية ببرِّ الوالدين، وصلة الرَّحم، والعناية بالأهل، وتوجيههم إلى الخير وإرشادهم، وتعليمهم وتشجيعهم، رجاءً أن يختم اللَّهُ له بالمغفرة والعتق من النَّار.

ولا بأس من المواصلة إذا أحب أن يُواصل إلى العشاء أو السَّحور فلا بأس؛ ولكن أفضل له المبادرة بالفطر، يقول اللَّهُ: «**أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا**»[(١)]، كما قال ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**»[(٢)] ويفطر مع النَّاس إن غابت الشَّمس، ويستعين بما يتناول في اللَّيل، من طعام وشراب على العبادة، بالتَّهجد والقراءة وغير هذا من وجوه الخير، ولكن السنة المبادرة بالفطر يقول ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**» متفق على صحته، وحتى إن كان في العشر الأواخر، التي يُرجي فيها ليلة القدر لحديث: «**أَحَبُّ عِبَادِي اللَّهِ إِلَيه أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا**».

مسألة:

العشر الأواخر عظيمة وإدراكها نعمة عظيمة، وإذا كانت التهنئة تكون بالزواج والولد والبيت فإدراك العشر أكبر وأعظم وأنفع.

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٦٩).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٦٩).

الدرس الثاني
التَّهيؤ لليلة القدر بالغُسل والتَّنظُّيف والتَّطيُّب

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومنها: اغتسالُه بين العشاءين، روى ابن أبي عاصم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كان رسول اللَّهِ ﷺ إذا كان في رمضان نام وقام، فإذا دخل العشرُ شدَّ المئزر، واجتنب النِّساء، واغتسل بين العشاءين**»[(١)] يعني: المغرب والعشاء.

وروي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه ﷺ كان يغتسلُ بين العشاءين كل ليلةٍ، يعني: من العشر الأواخر، وفي إسناده ضعف.

وروي عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه: قام مع النبي ﷺ ليلةً في رمضان، فاغتسل، وبقي فضلةٌ، فاغتسل بها حذيفةُ، رواه ابن أبي عاصم.

قال ابنُ جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كلَّ ليلةٍ من ليالي العشر الأواخر، ومنهم من كان يغتسل ويتطيبُ في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر. وروي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه إذا كان ليلةُ أربع وعشرين اغتسل وتطيَّب، ولبس حُلَّةً إزارًا ورداءً، فإذا أصبح طواهما فلم يلبسهما إلى مثلها من قابل.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٠٧) برقم (٧٥٧٧) دون لفظ: «واغتسل بين العشاءين» وقال لم يرو هذا الحديث عن الضحاك عن مسروق الانهشل تفرد به عامر ابن إبراهيم، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٨١) وزاد فيه وجعل عشاءه سحوزاً.

وقال حمَّادُ بن سلمةَ: كان ثابتٌ وحميدٌ: يلبسان أحسن ثيابهما، ويتطيبان، ويطيبان المسجد بالنضوح والدُّخنة، في اللَّيلة التي تُرجى فيها ليلة القدر.

فيستحبُّ في اللَّيالي الَّتي تُرجى فيها ليلةُ القدر التنظُّفُ، والتطيُّبُ، والتزيُّن بالغسل والطيب، واللِّباس الحسن، كما شُرع ذلك في الجُمَعِ والأعياد، وكذلك يشرعُ أخذُ الزِّينة في الثِّياب، في سائر الصَّلوات، كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعرَاف: ٣١] وقال ابن عمر رضي الله عنه: «**اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُتَزَيَّنَ لَهُ**»(١) وروي عنه مرفوعًا.

ولا يكمل التَّزين الظَّاهر إلَّا بتزيين الباطن، بالإنابة والتَّوبة وتطهيره من أدناس الذُّنوب وأوضارها، فإنَّ زينةَ الظَّاهر مع خراب الباطن لا تغني شيئًا.

إذا المرءُ لم يلبس ثيابًا من التقى تقلَّب عُريانا، وإن كانَ كاسيا

واللَّهُ سبحانه وتعالى لا ينظرُ إلى صوركم وأموالكم، وإنَّما ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالكم، فمن وقف بين يديه، فليزين ظاهره باللباس، وباطنه بلباس التقوى، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعرَاف: ٢٦].

ومنها: الاعتكافُ، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِن رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ**»(٢).

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه برقم (١٣٩١)، والبزار في مسنده برقم (٥٩٠٣) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣٧٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٣٣) برقم (٣٢٧١) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (١٣٦٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٠٢٦) ومسلم برقم (١١٧٢).

وإنَّما كان ﷺ يعتكفُ في هذه العشر، الَّتي تطلب فيها ليلةُ القدر. قطعًا لأشغاله، وتفريغًا لباله، وتخلّيًا لمناجاةِ ربِّه، وذكره ودعائه[١].

وذهب أحمدُ: أنَّ المعتكف لا يستحبُ له مخالطةُ الناس، حتى ولا تعليمَ عِلم وإقراء قرآن؛ بل الأفضلُ له: الانفرادُ بنفسه، والتخلي بمناجاة ربه، وذكره ودعائه.

وهذا الاعتكاف هو الخلوةُ الشرعية، وإنَّما يكون في المساجد، لئلا يُترك به الجُمعُ والجماعات، فإنَّ الخلوة القاطعة عن الجَمع والجماعات منهيٌّ عنها؛ وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَنْ رَجُلٍ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ لَا يَشْهَدُ جُمُعَةً وَلَا جَمَاعَةً، قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**»[٢].

فالخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكافُ في المساجد، خصوصًا في شهر رمضان، وخصوصًا في العشر الأواخر منه، كما كان النَّبِيُّ ﷺ يفعله، فالمتعكفُ قد حبس نفسه على طاعة اللَّهِ وذكره، وقطع عن نفسه كُلَّ شاغلٍ يشغلهُ عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربِّه وما يقربه منه، فما بقي له همٌّ سوى اللَّه وما يرضيه عنه.

ومعنى الاعتكاف وحقيقتُه: قطعُ العلائق عن كُلِّ الخلائق، للاتصال بخدمة الخالق. وكلَّما قويت المعرفة والمحبّةُ له، والأنسُ به: أورثت صاحبها الانقطاع إليه بالكلية على كُلِّ حال. كان بعضهم لايزالُ منفردًا في بيته خاليًا بربه، فقيل له: أما تستوحش؟ فقال: كيف

(١) ينظر: المغنى لابن قدامة (٣/ ٢٠٠).
(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢١٨) وضعف إسناده الشيخ الألباني في ضعيف سنن الترمذي برقم (١٦٢).

أستوحش وهو يقول: «**أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي؟**»(١).

يا من أضاعَ عمرهُ في لا شيء: استدرك ما فاتك في ليلة القدر. فإنَّها تحسب من العمر؛ قال اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القَدر: ١-٣].

قال مالكٌ: بلغني أنَّ النَّبيَّ ﷺ أُريَ أَعمارَ النَّاس قَبلَه، أو مَا شَاء اللَّهُ مِن ذَلكَ، فَكَأنَّه تقاصر أعمار أُمَّته أن لا يبلغوا مِنَ العَملِ الَّذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه اللَّهُ ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر(٢).

وروي عن مجاهد: أنَّ النَّبيَّ ﷺ: «**ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَبِسَ السِّلَاحَ أَلْفَ شَهْرٍ**» فتعجَّب المسلمون من ذلك، فأنزل اللَّهُ هذه السُّورة: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القَدر: ٣] الَّتي لبس فيها ذلك الرَّجل السِّلاح في سبيل اللَّهِ ألف شهر(٣)، وقال النخعي: العملُ فيها خير من العمل في ألف شهر سواها.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٤)، وفي المسند عن عبادة رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَنْ قَامَهَا ابْتِغَاءَهَا إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، ثُمَّ وُفِّقَتْ [وَقَعَتْ] لَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**»(٥).

وفي المسند والنَّسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢١٧) عن محمد بن النضر الحارثي..
(٢) جاء في الموطأ بلفظ: عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ سَمِعَ مَنْ يَثِقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أرى ... أخرجه برقم (١٥).
(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٥٠٤) برقم (٨٥٢٢).
(٤) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).
(٥) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٢٧١٣) وحسنه محققو المسند.

قال: في شهر رمضان: «**فِيهِ لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»(١).

قال جويبرٌ، قلتُ للضَّحَّاكِ: أرأيتَ النُّفساء والحائض، والمسافر والنَّائم، لهم في ليلة القدر نصيبٌ؟ قال: نعم، كُلُّ من تقبل اللَّهُ عمله، سيعطيه نصيبه من ليلة القدر.

المعوَّلُ على القبول لا على الاجتهاد، والاعتبارُ ببر القلوب وطهارتها، لا بعمل الأبدان، رُبَّ قائمٍ حظَّهُ من قيامه التعبُ والسهرُ، كم من قائم محروم، ونائم مرحوم، هذا نائم وقلبه ذاكر، وهذا قائم وقلبه فاجرٌ؛لكن العبدُ مأمورٌ بالسعي في اكتساب الخيرات، والاجتهاد في الأعمال الصالحات، والانزجار عن المكروهات، وأعمال السيئات، وكُلٌّ ميسرٌ لما خلق له، أمَّا أهلُ السعادة فيُيَسرون لعمل أهل السعادة، وأمَّا أهلُ الشقاوة فيُيَسَّرُون لعمل أهل الشقاوة، فالمبادرة المبادرة، إلى اغتنام العمل فيما بقي من الشهر، فعسى أن تُدرك ما فات من ضياع العمر.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث والآثار كلها تتعلق بليالي العشر الأخيرة من رمضان وبليلة القدر، اللَّهُ جلَّ وعلا، جعل هذا الشَّهر ميدانًا، لعباده المؤمنين يتسابقون فيه بالطاعات، ويسارعون فيه إلى الخيرات، ويتقربون إليه ـ سبحانه ـ بما يحب من سائر أنواع الخير، وجعل عشره الأخيرة هي أفضله، والأعمال بالخواتيم، وفيه ليلة خير من ألف شهر وهي ليلة القدر، وكان ﷺ يخصُّها بمزيد عناية، كما قالت

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٣).

عائشة رضي الله عنها: «**كانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ**»(١)، وقال ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٢) و«**مَنْ قَامَهَا ابْتِغَاءَهَا ثُمَّ [وَقَعَتْ] لَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**»(٣).

فجدير بأهل الإيمان من الرجال والنِّساء أن يُعنوا بهذه البقيَّة، وأن يجتهدوا في أنواع الطاعات، وأن يستكملوا هذا الشَّهر بأنواع الخير، من الصَّلاة والقراءة والتَّسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصَّدقة وغير هذا من وجوه الخير، يرجون ثواب اللَّهِ ويخشون عقابه، والمؤمن مشروع له المبادرة إلى كل خير، واغتنام الفرص، والتَّذلل بين يديِّ اللَّهِ والخشوع بين يديه، وأن تكون أعماله على وجه الإخلاص والصِّدق، والرَّغبة فيما عند اللَّهِ، فالاعتبار في الأعمال بالإخلاص فيها والصِّدق والاستكمال لها، فكم من ركعة خير من مئات الركعات، وكم من درهم خير من عدة دراهم، فالمؤمن يعنىٰ بالإخلاص والصدق وتحري الخير، بإخلاص وصدق وخشوع وذل وانكسار، قد يقوم الرجلان معًا بالعبادة وبينهما أعظم ما بين المشرق والمغرب، في الفضل، بخشوع هذا، وإقبال هذا، وذهول هذا وإعراض هذا.

فأنت يا عبدَ اللَّهِ: عليك أن تحاسب نفسك، وأن تجاهدها في جميع أعمالك، وأن تؤدي الأعمال بصدق وإخلاص، وإقبال ورغبةٍ ورهبةٍ، ترجو ثواب اللَّهِ وتخشى عقابه ﷻ.

(١) سبق تخريجه في صفحة (١٥٣).
(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).
(٣) سبق تخريجه في صفحة (١٦٣).

ومن ذلك الاعتكاف: فهو من العبادات الَّتي شرعها اللَّهُ، ليخلو العبد بربِّه ويحاسب نفسه، وينظر في أعماله وأقواله، ولهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، والخلوة هي الإنفراد بالرَّب جلَّ وعلا، وتكون في محل خاص في مسجد ينفرد بربه في خيمة او حجرة، في خشوعه وصلاته وقراءته ودعائه وضراعته إلى اللَّه جلَّ وعلا يرجو ثوابه ويخشى عقابه، كما فعله النَّبِيُّ ﷺ ولا مانع أن يزوره أحبابه وأهله، في بعض الأحيان، كما كان النَّبِيُّ ﷺ يزور أهله، ولكن مع العناية بالإخلاص والصِّدق، والخشوع واغتنام الفرص، في أنواع الطَّاعات وأنواع الخير، وإذا دعت الحاجة إلى أن يحضر حلقات العلم، في المسجد أو يعلم غيره، أو يفيد غيره كان هذا أعظم وأفضل،كونه يخلو بربِّه ويخلو بالعبادة لا ينافيه كونه يحضر حلقات العلم إذا تيسرت، تستفيد علمًا، أو يعلم النَّاس وينصحهم ويوجههم إلى الخير، يجمع بين الحسنيين، هذه دار العمل ودار المسابقة، وهذه أيامها.

❋ ❋ ❋

الدرس الثالث
في فضل تحري ليلة القدر

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فصل في السَّبع الآواخر

في الصحيحين: عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رِجَالًا من أصحاب النَّبِيِّ ﷺ أُرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ فِى المَنَامِ فِى السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِى السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ**»(١).

وروى مسلم عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**التَمِسُوْهَا فِيْ العَشْرِ الأَوَاخَرَ، فَإِنِ ضَعُفَ أَحَدُكُمْ أَوْ عَجَزَ، فَلَا يُغْلَبْ عَلَى السَّبْعِ البَوَاقِيْ**»(٢)، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ: يأمُر بالتماسها في أوتار العشر الأواخر من رمضان.

ففي صحيح البخاري عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**التَمِسُوهَا فِى العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فِى تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِى سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِى خَامِسَةٍ تَبْقَى**»(٣)، وفي رواية: «**هَيَ فِي العَشْرِ، سَبْعٍ يَمْضَيْنَ، أَوْ سَبْعٍ يَبْقَيْنَ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٠١٥)، ومسلم برقم (١١٦٥).
(٢) أخرجه مسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا برقم (١١٦٥).
(٣) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا برقم (٢٠٢١).
(٤) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٥٤٣).

قال أبو بكرة: ما أنا بملتمسها لشيء سمعته من رسول اللَّهِ ﷺ إلَّا في العشر الأواخر، فإنِّي سمعته يقول: «**التَمِسُوْهَا فِي تِسْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ سَبْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ خَمْسٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ آخِرِ لَيْلَةٍ**»(١).

وروى أحمد والنسائي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَسْأَلُ النَّاسِ عَنْهَا ـ يعني ليلة القدر ـ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنْ لَيْلَةِ القَدْرِ أَفِي رَمَضَانَ هِيَ أَم فِي غَيْرِهِ؟ قَالَ: «**بَلْ هِيَ فِي رَمَضَانَ**». قُلْتُ تَكُونُ مَعَ الأَنْبِيَاءِ مَا كَانُوا، فَإِذَا قُبِضُوا رُفِعَتْ، أَمْ هِيَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**بَلْ هِيَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**». قُلْتُ: فِي أَيِّ رَمَضَانَ قَالَ: «**التَمِسُوهَا فِيْ العَشْرِ الأُوَلِ أَوِ العَشْرِ الأَوَاخِرِ**» قُلْتُ: فِي أَيِّ الْعِشْرِينَ قَالَ: «**فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ لَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا**». ثُمَّ حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ اهْتَبَلْتُ غَفَلْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّي لَمَا أَخْبَرْتَنِي فِي أَيِّ العَشْرِ هِيَ؟ فَغَضِبَ عَلَيَّ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ مُنْذُ صَحِبْتُهُ، قَالَ: «**التَمِسُوهَا فِيْ السَّبْعِ الأَوَاخِرِ لَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا**»(٢) ورواه ابن حبان والحاكم.

وفي رواية لهما أنه قال له: «**أَلَمْ أَنْهَكَ أَنْ تَسْأَلْنِي عَنْهَا؟ إِنَّ اللَّهَ لَوْ أَذِنَ لِي أَن أُخْبِرَكُمْ بِهَا لَأَخْبَرْتُكُمْ، لَا آمَنُ أَن تَكُوْنَ فِي الْسَّبْعِ الْأَوَاخِرَ**».

ولمسلم وأبي داود عن عبداللَّهِ بن أُنيس، أَنَّهُ قال يا رسول اللَّهِ، إنِّي أكون ببادية، وإنِّي أصلِّي بهم، فمرني بليلة في هذا الشَّهر

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٠٤٠٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢١٤٩٩)، وابن خزيمة برقم (٢١٧٠)، وابن حبان برقم (٣٦٨٣) والحاكم (١/ ٦٠٣) برقم (١٥٩٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

أنزلها إلى المسجد فأصلِّي فيه، قال: «**أُنْزِلْ فِي لَيْلَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ**»[١] لفظ أبي داود.

كانت طائفة تجتهد ليلة أربع وعشرين، روي عن أنس والحسن، وروي عنه قال: راقبتُ الشَّمس عشرين سنة ليلة أربع وعشرين، فكانت تطلع لا شعاع لها.

وروي عن ابن عباس، ذكره البخاري عنه. وقيل: إنَّ المحفوظ عنه: أنها ليلة ثلاثٍ وعشرين[٢].

وكان أيوب السختياني يغتسل ليلة ثلاث وعشرين، ويمس طيبًا ليلة أربع وعشرين، ويقول: ليلةُ ثلاث وعشرين ليلةُ أهل المدينة، وليلةُ أربع وعشرين، ليلتنا أهل البصرة.

وقد اختلف النَّاس في ليلة القدر، والجمهور: أنها في العشر الأواخر، كما دلَّت عليه الأحاديث الصحيحة. واختلفوا في أيِّ ليالي العشر أرجى؟ وحكي عن الحسن ومالك: أنَّها تُطْلَبُ في جميع ليالي العشر، ورجّحَهُ بعضُ أصحابنا.

وقال الأكثرون: بل بعض لياليه أرجى من بعض، ثمَّ قالوا: أوتاره أرجى في الجملة. ولم يرد نصٌّ صريحٌ عن النَّبِيِّ ﷺ: أنها في ليلة معينة.

والحكمة في ذلك ـ واللَّهُ أعلم ـ ليجتهد المؤمن في هذه اللَّيالي الشَّريفة، كلَّ ليلة يقول: هذه ليلة القدر، واجتهاده في هذه اللَّيالي العشر، واعتكافه فيها لأجل هذه اللَّيلة يدلُّ على ذلك، واللَّهُ أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١١٦٨)، أخرجه أبو داود برقم (١٣٨٠).
(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٢٢).

فَصْلٌ فِي أَرْجَى لَيْلَةٍ لَهَا[١]

وأرجاها ليلةُ سبعٍ وعشرين، لما روى مسلم عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه، قال: «**وَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُ أَيَّ لَيْلَةٍ هِيَ، هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ بِقِيَامِهَا؛ وَهِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ**» وفي لفظ: «**كَانَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَقُولُ: بِالآيَةِ وَالعَلَامَةِ التِيْ أَخْبَرَنَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ صَبِيحَتِهَا لَا شُعَاعَ لهَا**»[٢].

وخرَّجه أيضًا بلفظ آخر عن أبيٍّ قال: «وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَيَّ لَيْلَةٍ هِيَ؟ هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِيَامِهَا، هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ»[٣].

وروى أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَارَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي شَيخٌ كَبيرٌ عَليلٌ يشقُّ عليَّ القيامُ، فَمرني بليلة يُوفِّقُني اللَّهُ فيها لِليلة القَدرِ، فقال: «**عَلَيْكَ بِالسَّابِعَةِ**»[٤] وإسنادُه على شرط البخاري.

وروي أيضًا عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ مُتَحَرِّيًا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ**» أو قال: «**تَحَرَّوْهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ**»[٥].

وعن معاوية مرفوعًا: «**لَيْلَةُ القَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ**»[٦]

---

(١) لا يوجد هذا العنون في النسخة التي تقرأ بين يدي الشَّيخ، وهو موجود في نسخة دار القاسم الطبعة السَّابعة عام١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٦٢).

(٣) رواية أخرى لحديث أبي بن كعب أخرجه مسلم برقم (٧٦٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد برقم (١١٤٩) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٦) برقم (٥٠٤٧): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(٥) أخرجه أحمد برقم (٤٨٠٨) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٦) برقم (٥٠٤٥): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(٦) أخرجه أبو داود برقم (١٣٨٦).

والصَّحيحُ عند أحمد وقفه.

وممَّا يدلُّ على ذلك: حديث أبي ذر في قيام النَّبيِّ ﷺ بهم، في أفراد السبع الأواخر، وأنَّه: «**قَامَ بِهِمْ فِي الثَّالِثَةِ وَالعِشْرِينَ إِلَى ثُلُثُ اللَّيْلِ، وَفِي الخَامِسَةِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ، وَفِي السَّابِعَةِ إِلَى آخِرِ اللَّيْلِ، حَتَّى خَشُوا أَنْ يَفُوتَهُمَ الفَلَاحُ**»[١] وجمع أهله ليلتئذ، وجمع النَّاس. و«الفلاحُ»: السحور.

وممَّا استدلَّ به بعضُهم من الآيات والعلامات: ما تقدم عن أُبَيِّ بن كعب، أنَّه استدل على ذلك بطلوع الشَّمس في صبيحتها لاشعاع لها[٢].

وطاف بعضُ السَّلف بالبيت الحرام، ليلةَ سبع وعشرين، فرأى الملائكة في الهواء طائفين فوق رؤوس الناس.

ورجلٌ بالسَّواد ينظرُ، فقال له آخر: أيُّ شيءٍ تنظر؟ فقال: إلى ليلة القدر. فقال: نم فسأخبرك؛ فلما كانت ليلةُ سبع وعشرين، ذهب به إلى النخل، فإذا النخلُ واضعٌ سعفه بالأرض، وقال: لسنا نرى هذا في السَّنة كلِّها إلَّا في هذه اللَّيلة.

ومُقْعَدٌ دعا اللَّهَ فيها فأطلقه، ومقعدةٌ كذلك، وأخرسُ ثلاثين سنة دعا اللَّهَ، فأطلق لسانه وتكلَّم.

وذكر الوزير أبو المظفر: أنَّهُ رأى ليلةَ سبع وعشرين ـ وكانت ليلة جمعةٍ ـ بابًا في السَّماء مفتوحًا شاميَّ الكعبة، ظنه حيال الحجرة النبوية، ولم يزل كذلك إلى طلوع الشمس.

وإن وقع في ليلةٍ من أوتار العشر ليلةُ جمعةٍ، فهي أرجى من غيرها.

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (١٦٧).
(٢) سبق تخريجه في صفحة (١٧٠).

فصلٌ في العمل في ليلة القدر[١]

ثبت عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قال: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٢] وفي المسند عن عبادة رضي الله عنه: «**مَنْ قَامَهَا ابْتِغَاءَهَا، ثُمَّ وَقَعَتْ لَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**»[٣].

وللنسائي في حديث قتيبة بن سعيد عن سفيان: «**غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**» قال الحافظ: وإسناده على شرط الصَّحيح.

وقيامُها: إنَّما هو بالتَّهجد فيها والصَّلاة. وقد أمر ﷺ عائشة رضي الله عنها بالدُّعاء فيها. قال سفيان: الدُّعاءُ في هذه اللَّيلة أحبُّ إليَّ من الصَّلاة، وإذا كان يقرأُ ويدعُو، ويرغبُ إلى اللَّهِ في الدعاء والمسألةِ، لعله يوافق.

وقد كان ﷺ يتهجد في ليالي رمضان، ويقرأُ قراءةً مُرتَّلة، لايمرُّ بآية فيها رحمةٌ إلَّا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلَّا تعوَّذ. فجمع بين الصَّلاة والقراءة والدُّعاء والتَّفكر، وهذا أفضل الأعمال وأكملُّها في ليالي العشر وغيرها.

قال الشَّعبي في ليلة القدر: ليلُها كنهارها.

وقال الشَّافعيّ: أستحب أن يكون اجتهادُه في نهارها كاجتهاده في ليلها.

قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول اللَّه، إن وافقتُ ليلةَ القدر ما

---

(١) لا يوجد هذا العنوان في النسخة التي قرأت بين يدي سماحة الشَّيخ رحمه الله وهو مثبة من نسخة دار القاسم الطبعة السابعة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

(٣) سبق تخريجه في صفحة (١٦٣).

أقول؟ قال: قولي: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»(١).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «**إِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ لَيْلَةَ القَدْرِ إِلَى المُؤْمِنِيْنَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَعْفُو عَنْهُمْ وَيَرْحَمَهُمْ، إِلَّا أَرْبَعَةً: مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَعَاقٌّ، وَمُشَاحِنٌ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ**»(٢).

لما عرف العارفون بجلاله خضعُوا، ولما سمع المذنبون بعفوه طمعُوا ما ثمَّ إلَّا عفوُ اللَّهِ أو النَّارُ، إنَّما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها، وفي ليالي العشر؛ لأنَّ العارفين يجتهدون في الأعمال الصالحة، ثم لا يرون لأنفسهم عملًا، ولا حالًا، ولا مقالًا، فيرجعون إلى سؤال العفو، كحال المذنب المعترف. كان مطرِّفُ يقولُ في دعائه: «**اللهم ارض عنّا، فإن لم ترض عنّا، فاعفُ عنَّا**»(٣).

يـا ربِّ، عـبـدُك قـد أتـا ... كَ وقـد أسـاءَ، وقـد هـفـا
يَـكْـفـيـهِ مـنـكَ حـيـاؤه ... مـن سـوء مـا قـدْ أسـلـفـا
حـمـلَ الـذُّنـوبَ عـلـى الـذُّنـو ... ب الـمـوبـقـاتِ، وأسـرَفـا
وقـد اسـتـجـارَ بـذيـلِ عـفْـ ... ـوكَ مـن عـقـابـك مُـلْـحِـفـا

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٥١٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه برقم (٣٨٥٠) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (٣٣٣٧).

(٢) جزء من حديثه أخرجه البيهقي في شعب برقم (٣٦٩٥) وقال في إسناده: «ضعف». وقد سبق تخريجه في صفحة (٣٦).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٠١١).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث الكثيرة والآثار السلفية، كلها تتعلق بليلة القدر، اللَّهُ جلَّ وعلا أنعم على عباده، في هذا الشَّهر الكريم بأنواع من النِّعم، ورغبهم سبحانه في صيامه وقيامه، والاستكثار من العمل الصَّالح، فيه ليجود عليهم من فضله وليحسن إليهم، فالمشروع لأهل الإيمان في هذا الشهر الكريم، المسابقة إلى الخيرات، والمسارعة إلى أنواع الطاعات، من صلاة وصدقات وتسبيح وتهليل وتكبير واستغفار، وقراءة القرآن، وصلة رحم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى اللَّه عَزَّوَجَلَّ وعيادة المريض، واتِّباع الجنائز إلى غير هذا من وجوه الخير.

هذا الشَّهر العظيم ميدان للسِّباق في الأعمال الصَّالحات والمسارعة إلى الخيرات، فهو شهر الصِّيام والقيام، وهو شهر المسابقة إلى الخيرات، شهر تضاعف فيه الحسنات، وترفع فيه الدرجات، وتُقال فيه العثرات، يجود اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيه على عباده بأنواع الجود؛ ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(١)] و«**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٢)] و«**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٣)] يعني: إيمانًا بأنَّ اللَّهَ شرع هذا الشَّيء، واحتسابًا للأجر عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا رياءً ولا سمعةً، ولا لقصد آخر؛ بل يعمل لِلَّه، يبتغي وجهه، ويبتغي الأجر من عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يرجو رحمته، يصوم ويقوم،

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

(٣) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

ويقرأ القرآن، ويتصدق، ويسبح ويهلل، ويستغفر يرجو رحمة اللَّه، يرجو فضله ﷻ، فهذه الأيام أيام عظيمة.

ومن أهمِّ المهمات: البدار بالتوبة في هذه الفرصة القليلة، توبة نصوح من جميع السيئات، بالندم على الماضي من سيئاتك، والإقلاع منها، والحذر عنها، والعزم الصادق ألا تعود فيها، فالتوبة يَجُبُّ اللَّهُ بها ما قبلها من الذنوب، كما قال النبي ﷺ: «**الإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ**»(١)، و«**التَّوْبَةُ تَهْدِمَ مَا كَانَ قَبْلَهَا**»(٢) وأنت مأمور بالتوبة، دائمًا في كل وقت رمضان وفي غيره، يقول اللَّه سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: ٣١].

أمَّا ليلة القدر فقد بَيَّن الرَّسُول ﷺ أنَّها في العشر الأواخر، فجاهد وساعد وسارع إلى الخيرات، لأنَّك لا تدري ماذا بقي من عُمرك، هل بقي ساعة أو أيام أو شهور، أو سنة أو أكثر لا تدري، فالحزم والكيس والجدَّ في الطَّاعة دائمًا، والحذر من المعاصي دائمًا، والمسارعة إلى الخيرات دائمًا، والتَّوبة من كلِّ ما سلف من الذُّنوب هذا هو الكيس هذا هو الحزم، هذا هو الواجب على المؤمن، أينما كان لا يقول: أنا شاب قد يبقى لي سنوات، يبقى لي كذا ما تدري كم من شاب مات وعاش الشيخ الكبير!؟.

---

(١) هذا جزء من قصة إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٩٨-١٩٩، ٤/ ٢٠٤-٢٠٥) ولفظه: «**وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا**»، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٤٣٣) برقم (١٥٨٩٠): «رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات».

(٢) لم أجد الحديث بهذا اللَّفظ، وإنَّما الَّذي يوجد هو تكملة لحديث عمرو بن العاص رضي الله عنه السابق تخريجه، وهو بلفظ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا**» أخرجه مسلم برقم (١٢١).

البدار بالتوبة ولزوم الأعمال الصالحات والاستكثار منها من الشاب والشيخ، هكذا يكون الحزم، هكذا يكون الكيس في رمضان وفي غيره، المسابقة إلى الخيرات والمسارعة إلى الطَّاعات، والحذر من السَّيئات، ولزوم التَّوبة من جميع ما سلف من ذنوبك وسيئاتك، واللَّه جلَّ وعلا يقول في وصف عباده الصَّالحين من الأنبياء والصَّالحين وأتباعهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١] ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ يعني: من الأعمال الصَّالحات، يعملون ما يعملون من الطَّاعات، وهم على خوف وعلى وجل، يخشون ألا تقبل منهم أعمالهم، يخشون من التَّقصير يخشون من الرياء، وهم على وجل، يعملون باجتهاد وحذر وخوف، ولهذا سابقوا إلى الطاعات وسارعوا إليها وصدقوا لها[(١)].

فأنت هكذا كن، هكذا كن حريصًا على الخير راغبًا فيه مسارعًا إليه، أينما كنت في أي: زمان، وفي أي: مكان ترجو ثواب اللَّهِ وتخشى عقابه، هذا هو الحزم هذا هو الكيس، هكذا يكون المؤمن بعيدًا عن السَّيئات حذرًا منها، مسارعًا للطَّاعات مجتهدًا في تحصيلها تائبًا إلى اللَّهِ ممَّا سلف من ذنوبه مجتهدًا في كل خير، يدعو اللَّهَ ويتضرع إليه أن يعفوا عنه، ويكفر سيئاته، ويغفر سيئاته، هكذا لا يغفل، وهذا هو شأن الأخيار حفظ الأوقات وعمارتها

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٨٠).

بالطَّاعات.

قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول اللَّه إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ القدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا: قَالَ: قُولِي: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّى**»(١) نسأل اللَّه العفو في كلِّ وقتٍ، ومن أفضل القربات اللَّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني، في رمضان وفي غيره، وفي ليلة القدر، وفي غيرها، يقول اللَّهُ جلَّ وعلا: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] ويقول النَّبِيُّ ﷺ: «**ما مِنْ [عبد] مُسْلِم يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِم إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ، إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ [فِي الدُّنْيَا] وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ [الشر مثل ذلك] مِثْلَهَا» قَالُوا: إِذا نُكْثِرُ. قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ»**(٢) والمستحب للمؤمن في ليلة العيد الإكثار من التكبير، شُرِعَ لنا التَّكبير ليلة العيد، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

فيشرع للمسلمين التَّكبير ليلة العيد من غروب الشَّمس إلى الفراغ من خطبة صلاة العيد، كلُّه تكبير في البيت والمسجد والطريق، اللَّهُ أكبر اللَّهُ أكبر، لا إله إلَّا اللَّه، اللَّهُ أكبر اللَّهُ أكبر ولِلَّهِ الحمد، اللَّه أكبر كبيرًا والحمد لِلَّه كثيرًا وسبحان اللَّهِ بكرةً وأصيلًا، سُبحان اللَّهِ والحمد لِلَّهِ ولا إله إلَّا اللَّهُ، واللَّهُ أكبر، هكذا شرع اللَّه

(١) سبق تخريجه في صفحة (١٧٣).

(٢) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه الإمام أحمد برقم (١١١٣٣) والحاكم (١/ ٦٧٠) برقم (١٨١٦) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن علي الرفاعي.

صلاة العيد شكرًا له على هذه النعمة العظيمة، المسلمون إذا فرغوا من رمضان صلوا صلاة العيد، صباح أوَّل يوم من شوَّال شكرًا لِلَّهِ ﷻ، يصلِّي بهم الإمام ركعتين ويخطب ويذكرهم ويعظهم، وشرع اللَّهُ لنا صدقة الفطر، زكاة الفطر صاعًا من الطَّعام صاعًا من قوت البلد، على كلِّ ذكرٍ أو أنثى وصغير أو كبير، وحرٍ أو عبدٍ»[(١)]، فرضًا فرضه اللَّهُ على المسلمين على كل واحد صاع للفقراء والمساكين، وتؤدى قبل خروج النَّاس إلى صلاة العيد، وإذا أدوها قبل العيد بيوم أو يومين فلا بأس، يوم الثَّامن والعشرين، يوم التَّاسع والعشرين، يوم الثلاثين لا بأس، توزع بين الفقراء والمحاويج، وهذه الصَّلاة، صلاة العيد مشروعة للرِّجال والنِّساء، أمر بها النَّبِيُّ ﷺ للرِّجال والنِّساء، وكان الرَّسول ﷺ إذا خطب النَّاس ففرغ من خطبته، أتى النَّساء وخطبهن وذكرهنَّ عليه الصَّلاة والسَّلام»[(٢)]، إذا كن لا يسمعن الخطبة، يشرع للإمام أن يأتيهن ويخطبهن ويذكرهنَّ، ويحثهنَّ على الصَّدقة، وعلى ترك المعاصي والحذر منها، والمسارعة إلى الخيرات، أمَّا اليوم والحمدُ لِلَّه قد يسَّر اللَّهُ المكبرات الَّتي تبلغ النِّساء، فيسمعن الخطبة، يسمعها الرِّجال والنِّساء، وبهذا يحصل المقصود، والحمد لِلَّهِ؛ لأنَّ الخطبة تَعُمُّ الجميع عن طريق المكبرات.

والمقصود: أنَّ الصَّلاة مشروعة للجميع والخطبة لتذكير الجميع، وزكاة الفطر على الجميع، والتكبير والتسبيح والتهليل

(١) كما في البخاري برقم (١٥١١)، ومسلم برقم (٩٨٤) من حديث عبداللَّه بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) كما في البخاري برقم (٨٦٣-٩٧٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي مسلم برقم (٨٨٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

والإكثار من ذلك مطلوب من الجميع، في ختام هذا الشَّهر العظيم نسألُ اللَّهَ أن يتقبلَّ منَّا ومنكم، ومن جميع المسلمين، ونسأل اللَّهُ أن يجعلنا وإيَّاكم وسائر إخواننا من العتقاء من النَّار، وأن يعيده علينا وعلى المسلمين أعوامًا كثيرة في خير وعافيَّة، وصحة واستقامة، وعزٍ للإسلام وظهور، وكبتٍ لأعداء الإسلام.

وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه، ولاحول ولاقوة إلَّا باللَّهِ.

المجلس السادس:
في وداع رمضان واتباعه بستٍ من شوال

وفيه ثلاثة دروس:

الدرس الأوَّل: في وداع شهر رمضان
الدرس الثَّاني: في أسباب المغفرة والعتق من النَّار
الدرس الثَّالث: في فضل صيام ستة أيام من شوَّال

الدرس الأول
في وَدَاعِ رَمضانَ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فصْلٌ في وَدَاعِ رَمضانَ

تقدَّم ما ثبتَ في الصحيحين عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قَالَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١) ولأحمد «**وَما تَأَخَرَ**»(٢) وإسنادهُ حسن، و«**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، و«**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٣)، زاد النسائي: «**غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَرَ**».

ولأحمد عن عبادة مرفوعًا في ليلة القدر: «**مَنْ قَامَهَا ابْتِغَاءَهَا، ثُمَّ وَقَعَتْ لَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَرَ**»(٤)، ولابن حبان والبيهقي، عن أبي سعيد مرفوعًا: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَعَرَفَ حُدُودَهُ وَتَحَفَّظَ مِمَّا كَانَ يَنْبَغِيْ لَهُ أَنْ يَتَحَفَّظَ فِيهِ كَفَّرَ مَا قَبْلَهُ**»(٥).

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

(٢) لأحمد برقم (٩٠٠١) وقال محققو المسند قوله: «**وَما تَأَخَرَ**» انفرد بها حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو فهي زيادة شاذة.

(٣) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

(٤) سبق تخريجه في صفحة (١٦٣)

(٥) أخرجه الإمام أحمد برقم (١١٥٣٤)، وابن حبان برقم (٣٤٣٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٣٣) برقم (٣٣٥١) وضعفه العلامة الألباني في الضعيفة (١١/ ١٤٤) وتمام المنة (ص ٣٩٥).

وعن أبي هريرة مرفوعًا: «**شَهْرُ رَمَضَانَ، يُكَفِّرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى شَهْرِ رَمَضَانَ المُقْبِلِ**»[١] رواه ابن أبي الدنيا، والتكفيرُ مشروطٌ: بالتحفظ ممَّا ينبغي أن يُتحفَّظ منه؛ والجمهور على أن ذلك إنَّما يكفِّرُ الصغائر؛ لما روى مسلمٌ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**»[٢] وفي تأويله قولان:

أحدهما: أنَّ التَّكفير مشروطٌ باجتناب الكبائر.

الثاني: أنَّ المراد: أنَّ هذه الفرائض: تُكفِّرُ الصَّغائر خاصَّة.

وقال ابن المنذر في ليلة القدر: يُرجى بها مغفرة الذنوب كبائرها وصغائرها؛ وقال غيره مثل ذلك في الصوم.

والجمهور: على أنَّ الكبائر لابدَّ لها من توبة نصوح، وحديث أبي هريرة: يدلُّ على أنَّ هذه الأسباب الثَّلاثة، كلُّ واحدٍ منها مكفرٌ لما سلف من الذُّنوب، فقيامُ ليلةِ القدر يقع التَّكفير به إذا وافقها، ولو لم يشعر بها، وأمَّا صيامُ رمضان وقيامُه: فيتوقفُ التَّكفيرُ بهما على تمام الشَّهر[٣].

وقيل: يغفر لهم آخر ليلة من رمضان، ويدلُّ عليه: ما رواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ. قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهِيَ لَيْلَةُ القَدْرِ؟ قَالَ: «**لَا، وَلَكِنَّ العَامِلَ إِنَّمَا يُوَفَّى أَجْرَهُ**

---

(١) أخرجه في فضائل رمضان (ص٣٨) برقم (٣٦).

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٢٣٣).

(٣) ينظر: أحكام الأحكام لابن دقيق (١/ ٨٧)، وشرح الإلمام له (٤/ ٦١٦)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٤٤٤)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٠٨).

إِذَا قَضَى عَمَلَهُ»[١].

وروي: «**أَنَّ الصَّائِمِينَ يَرْجِعُوْنَ يَوْمَ الفِطْرِ مَغْفُوْرًا لَهُمْ**»[٢]، «**وَأَنَّ يَوْمَ الفِطْرِ يُسَمَّى يَوْمَ الجَوَائِزَ**»[٣].

وأخرج البزَّارُ عن معاذ رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَصَلَّى الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ وَحَجَّ البَيْتَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَن يَغْفِرَ لَهُ**»[٤].

قال الزهري: إذا كان يومُ الفطر وخرج النَّاس إلى الصَّلاة اطَّلعَ اللَّهُ عليهم، فقال: يا عبادي، لي صُمْتُم، ولي قمتم، ارجعوا مغفورًا لكم. وقال مورِّق: يرجعُ هذا اليوم قومٌ كما ولدتهم أمهاتهم.

روي عن ابن عباس مرفوعًا: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الفِطْرِ هَبَطَتْ المَلَائِكَةُ إِلَى الْأَرْضِ، فَيَقِفُونَ عَلَى أَفْوَاهِ السِّكَكِ، يُنَادُوْنَ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ، إِلَّا الجِنَّ وَالإِنْسَ، يَقُوْلُونَ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، أُخْرُجُوا إِلَى رَبٍّ كَرِيْمٍ، يُعْطِيْ الجَزِيْلَ، وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ العَظِيْمَ، فَإِذَا بَرَزُوا إِلَى مُصَلَّاهُمْ يَقُوْلُ اللَّهُ عَزَّ وجلَّ لِمَلَائِكَتِهِ: مَا جَزَاءُ الأَجِيْرَ إِذَا**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم (٧٩١٧) قال: الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٤٠) برقم (٤٧٧٨): «رواه أحمد والبزار، وفيه هشام بن زيادة أبو المقدام، وهو ضعيف».

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بمعناه في حديث طويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه (٥/ ٢٩٠-٢٩١) برقم (٣٤٤٤) وقال: تفرد به محمد بن يحيى عن أحرم بن حوشب الهمداني.

(٣) ورد هذا بألفاظ عن عدد من الصحابة منهم أوس الأنصاري أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٢٦) برقم (٦١٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٠١) برقم (٣٢٢٥): «فيه جابر الجعفي وثقه الثوري وشعبة وضعفه النَّاس وهو متروك».

(٤) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٢٠٨٧)، والترمذي برقم (٢٥٣٠) وقال: «وعطاء لم يدرك معاذ بن جبل».

عَمِلَ عَمَلَهُ؟ فَيَقُولُونَ: إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا أَن يُوَفَّى أَجْرَهُ، فَيَقُولُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي جَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِن صِيَامِهِمْ وَقِيَامِهِمْ رِضَائِي وَمَغْفِرَتِي، ارْجِعُوا مَغْفُورًا لَكُمْ» خرَّجه سلمة بن شبيب. زاد البيهقي: «يَا عِبَادِي، فَوَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ شَيْئًا فِي جَمْعِكُمْ لِآخِرَتِكُمْ إِلَّا أَعْطَيْتُكُمْ، وَلَا لِدُنْيَاكُمْ إِلَّا نَظَرْتُ لَكُمْ، فَوَعِزَّتِي لَأَسْتُرَنَّ عَلَيْكُمْ عَثَرَاتِكُمْ مَا رَاقَبْتُمُونِي، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أُخْزِيكُمْ، وَلَا أَفْضَحُكُمْ بَيْنَ أَصْحَابِ الْحُدُودِ، انْصَرِفُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ أَرْضَيْتُمُونِي وَرَضِيتُ عَنْكُمْ، فَتَفْرَحُ المَلَائِكَةُ وَتَسْتَبْشِرُ بِمَا يُعْطِيْ اللَّهُ هَذِهِ الأُمَّةَ إِذَا أَفْطَرُوا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ»(١).

الصِّيامُ وسائر الأعمال: من وفَّاها فهو من خيار عبادِ اللَّهِ المُوفين، ومن طفَّف فيها فويلٌ للمطففين، إذا كان الويلُ لمن طفَّف ميكال الدُّنيا، فكيف حالُ من طفّفَ مكيال الدِّين؟

غدًا توفّى النفوسُ ما عَمِلت ... ويحصدُ الزَّارعُونَ ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسِهمُ ... وإن أساءُوا، فبئْسَما صنعوا

كان السَّلفُ الصَّالحُ يجتهدون في إتمام العمل، وإكماله وإتقانه، ثمَّ يهتمون بعدَ ذلكَ بقبوله: ويخافون من ردِّه، وهؤلاء الَّذين يُؤتُون ما آتو وقلوبهم وجلة، رُوي عن عليٍّ رضي الله عنه: «كُونُوا لِقُبُولِ العَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَامًا مِنْكُمْ بِالعَمَلِ» ألم تسمعُوا اللَّه عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المَائدة: ٢٧](٢).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٧٧) برقم (٣٤٢١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص برقم (٢١٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٧٥) و(١٠/ ٣٨٨).

وعن فضالةَ: لأن أعلم أنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ منِّي مثقال حبَّةِ خردلٍ، أحبُّ إليَّ من الدُّنيا وما فيها؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المَائدة: ٢٧][(١)].

وقال مالك بنُ دينار: الخوفُ على العمل أن لا يُقبل أشدُّ من العمل[(٢)]، وقال عطاءٌ السلميُّ: الحذر الاتقاء على العمل الصالح أن لا يكون لِلَّه.

وقال عبدالعزيز بن أبي رَوَّاد: أدركتُهم يجتهدُون في العمل الصَّالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهمُّ: أتُقُبِّلَ منهم أم لا؟

قال بعض السَّلف: كانوا يدعون اللَّه ستة أشهرٍ أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم.

وكان بعض السلف يظهرُ عليه الحزنُ يوم عيد الفطر، فيقال له: إنه يومُ فرح وسرور، فيقول: صدقتم، ولكني عبدٌ أمرني مولاي أن أعمل له عملًا، فلا أدري أيقبله مني أم لا؟

رأى وهيبٌ قومًا يضحكون يوم عيدٍ، فقال: إن كان هؤلاء تُقُبِّل منهم صيامُهم، فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يُتقبل منهم فما هذا فعل الخائفين[(٣)].

وعن الحسن قال: إنَّ اللَّهَ جعل رمضانَ مضمارًا لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبقَ قومٌ ففازوا، وتخلَّف آخرون

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٩)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٨/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٧٧).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر برقم (٢٩)، وأللهو نعيم في الحلية (٨/ ١٤٩)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٩٦) برقم (٣٤٥٣).

فخابوا، فالعجبُ من اللَّاعب الضاحك في اليوم الذي يفوزُ فيه المحسنون، ويخسرُ فيه المبطلون[١].

روي عن علي ﷺ: أنه كان ينادي في آخر ليلةٍ من رمضان: ياليت شعري من هذا المقبولُ فنهنيه، ومن هذا المحرومُ فنعزِّيه؟ أيُّها المقبولُ: هنيئًا لك، أيُّهَا المردودُ: جبر اللهُ مصيبتك[٢].

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الأحاديث والآثار عن السَّلف الصَّالح كلَّها تتعلق بصوم رمضان وقيامه وما شرع اللَّهُ فيه من الأعمال، وأن المؤمن على خير عظيم، إذا أحسن وأدى ما عليه واجتهد، فاللَّهُ سبحانه لايخلف الميعاد، وهو الكريم الجوَّاد، قد وعدَ عباده إذا أحسنوا أن يحسن إليهم ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرَّحمٰن: ٦٠]، ومن أحسن فله البُشرى بالسَّعادة والتَّوفيق والمغفرة والعتق من النَّار، ومن أساء فباب اللَّه مفتوح، فليبادر بالتَّوبة والرجوع إلى اللَّهِ والإنابة إليه، واللَّه يتوب عليه ﷻ.

وهذه الأيام الَّتي منَّ اللَّهُ بها على عباده في هذا الشَّهر الكريم، أيام مسابقة وأيام مسارعة إلى الخيرات فمن سابق بالخيرات وسارع إليها فليحمد اللَّهَ، وليسأل ربَّه القبول، ولا يعجب ولا يمنَّ بعمله؛ ولكن يسألُ ربَّه القبولَ، ويخاف أن يردَّ عليه عمله بأسباب وقعت

---

(١) ينظر: آداب الحسن البصري لابن الجوزي (ص ١٢٠).

(٢) ورد هذا المعنى عن جمع منهم ابن مسعود ﷺ أخرجه محمد بن نصر المروزى في قيام الليل كما في مختصره للمقريزى (ص ٢١٣)، وابن الشجرى في أماليه رقم (١٦١٢) كما في ترتيبه.
وعن عدى بن أرطاه أخرجه الفريابي في الصيام رقم (١٢٠).

منه، فليحذر العُجب، وليحذر المنَّ بعمله، وليسألَ ربَّه المغفرة والعفو عن التَّقصير، ومن كان أساء وقصَّر فليبادر بالتَّوبة، ومن تاب تاب اللَّهُ عليه، فهو القائل ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥] وهو القائل جلَّ وعلا: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] وهو القائل سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٥٣].

فالحاصل أنَّ هذا الشَّهر الكريم، ينبغي للمؤمن أن يختمه بالتَّوبة الصَّادقة، والاستغفار والإكثار من ذكر اللَّهِ، بالتَّسبيح والتَّهليل والتحميد، ويحسن الظَّنَ باللَّهِ، ويرجوه جلَّ وعلا أن يتقبلَ منه عمله، وأن يغفر له ذنبه، ثمَّ ليعزم العزم الصادق على الاستمرار في الخير، والجدَّ فيه، وعدم الرجوع إلى الشَّر؛ وليعزم العزم الصَّادق على الاستقامة والثبات على الحقِّ، وأن لا يرجع إلى ما سلف منه من تقصير، ولقد وعده اللَّهُ المغفرة «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١) و«**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٢) و«**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٣).

فهو موعود بالمغفرة في صيامه وقيامه، وقيام ليلة القدر، فليحسن الظَّن بربِّه، وليرجو هذه المغفرة مع الخوف، والحذر أن يردَّ عليه عمله؛ وليكون راجيًا خائفًا كما حكى اللَّهُ عن أنبيائه

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).
(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).
(٣) سبق تخريجه في صفحة (٢٦).

ورسله، وعباد الصالحين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

يؤدي ما يؤدي من العمل عن جدٍّ وعن نشاط، وعن رغبة بما عند اللَّهِ ﷻ، وعن خوف ووجل أن تردَّ عليه أعماله، هذا حال الأخيار، هذا حال السَّابقين ليس على مَنٍّ بالعمل ولا عُجب به، لا يمنُّون على اللَّهِ بأعمالهم، ولا يعجبون بها؛ بل يعملون وهم منكسرون خائفون وجلون ومشفقون يرجون الرحمة، ويخشون العقاب، ومن أجل هذا يجود اللَّهُ عليهم ويحسن إليهم، ويجبر كسرهم ويعينهم ويثبتهم؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١] وهم لها سابقون، سارعوا وسبقوا بسبب توفيق اللَّهِ لهم وإعانته لهم، وبسبب صدقهم، وإخلاصهم وخوفهم ورجائهم.

فأنت يا عبدَ اللَّهِ عليك أن تتأسى بهؤلاء الأخيار في جميع أعمالك بجدٍّ ونشاط وإخلاص وصدق، ومع ذلك تخافه وترجوه ولا تَمَنَّ بعملك ولا تُعجب به؛ بل كن بين الخوف والرَّجاء، قال بعض السلف: فليكن الرجاء والخوف للمؤمن كجناحي الطائر يطير بهما، وقال بعضهم: وَلْيُغَلِّب جانب الرَّجاء في حال المرض وليُغلب جانب الخوف في حال الصِّحة، حتَّى يكون في حال الصِّحة أكثر حذرًا وأكثر مسارعةً للخيرات، وفي حال المرض والضَّعف يَغلب عليه

الرَّجاء ليكون حسن الظَّنِّ باللَّهِ؛ ولكن ظاهر القرآن والسُّنَّة أنه ينبغي له أن يكون بين الرَّجاء والخوف، لا هذا، ولا هذا يرجو ربَّه ويخاف ذنبه، يُحسن الظَّن باللَّهِ، ولكن مع هذا هو خائف، فهو بين الخوف والرجاء، كما قال اللَّهُ عن رسله وأنبيائه: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] قال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

❋ ❋ ❋

الدرس الثاني
في أسباب العتق من النَّار

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

شهرُ رمضانَ تَكثرُ فيه أسبابُ المغفرة والغفران، فمن أسباب المغفرة فيه: صيامُه وقيامُه، وقيامُ ليلة القدر.

ومنها: تفطيرُ الصُّوَّام، والتَّخفيفُ عن المملوك.

ومنها: الذِّكرُ. وفي حديث مرفوع «**ذَاكِرُ اللَّهِ فِيهِ مَغْفُورٌ لَهُ، وَسَائِلُ اللَّهِ فِيهِ لَا يَخِيبُ**»(١).

ومنها: الاستغفارُ، وطلبُ المغفرةِ، ودعاءُ الصَّائم مستجابٌ في صيامه وعند فطره، وفي حديث أبي هريرة: «**وَيَغْفِرُ فِيهِ إِلَّا لِمَنْ أَبَى. قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيرَةَ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: يَأْبَى أَن يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ**»(٢).

ومنها: استغفارُ الملائكة للصَّائمين حتَّى يفطروا، لما كثرت أسبابُ المغفرة في رمضانَ، كان الَّذي تفوتُه فيه المغفرة محرومًا غاية الحرمان.

صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ المنبر فقال: «**آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ. فَقِيلَ لَهُ.**

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٦١٧٠) وقال: «... ولا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد»، والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٣٦) برقم (٣٣٥٥) وهو حديث موضوع كما جرده العلامة الألباني في الضعيفة (٨/ ١١٥).

(٢) أخرجه أبو طاهر السلفي في الطيوريات برقم (٤٠٠)، وابن شاهين في فضائل رمضان برقم (١٤) مرفوعاً عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَالَ: إِنَّ جِبرِائِيْلَ أَتَانِي، فَقَالَ: مَن أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ. قُلْ: آمِينَ فَقُلْتُ: آمِينَ»[١] الحديث. رواه ابن حبان.

وقال قتادة: كان يقالُ من لم يغفرْ لَه في رمضان فلن يغفر له فيما سواه؛ وفي حديث آخر: «**مَنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِي رَمَضَانَ، فَمَتَى يُغْفَرْ لَهُ؟**»[٢].

متَّى يغفر لمن لم يغفر له في هذا الشهر؟ متى يُقبل من رُدَّ في ليلة القدر؟ متى يصلُح من لا يصلحُ في رمضان؟ متى يصلحْ من كان فيه من داء الجهالة والغفلةِ مَرَضَان؟

ترحَّلَ الشَّهرُ وَا لهْفَاهُ وانصر مَا ... واختصَّ بالفوزِ بالجنات مَنْ خَدَما
وأصبح الغافلُ المسكينُ منكسرا ... مثلي، فَيَاوَيْحَهُ، يَا عُظمَ ما حُرما
من فاته الزَّرعُ في وقت البذارِ فما ... تراهُ يحصد إلّا الهمّ والنَّدَمَا

شهرُ رمضانَ: أولُه رحمةٌ، وأوسطُه مغفرةٌ، وآخرُه عتق من النَّار. وفي الحديث الصحيح: «**أَنَّهُ تُفْتَّحُ فِيهِ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ**»[٣].

وفي الِّترمذي: «**إِنَّ لِلَّهِ عُتَقَاءَ مِنْ النَّارِ، وذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**»[٤] الأغلب على أوله: الرَّحمة، وأوسطه: المغفرة، وآخره: العتقُ فيه من

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٩٠٧) وأبي يعلى برقم (٥٩٢٢)، والطبراني في الكبير برقم (٢٠٢٢) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال العلامة الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٤٩٢): «حسن»، وفي الباب عن جابر بن سمرة وعمار بن ياسر وابن عباس وعبداللَّه بن الحارث وغيرهم.

(٢) حديث أنس اخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨٨٧١)، والطبراني في الأوسط برقم (٧٦٢٧) وقال: «لم يرو هذا الحديث عن محمد بن إسحاق إلا عبدالرحمن بن مغراء» قال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٤٣) برقم (٤٧٨٨): «رواه الطبراني في الأوسط وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وهو ضعيف».

(٣) سبق تخريجه في صفحة (٢٤).

(٤) سبق تخريجه في صفحة (٢٤).

النَّار[١] لمن أوبقته الأوزار، واستوجب النَّار، بالذنوب الكبار.

وفي حديث ابن عباس المرفوع: «**إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِن شَهْرِ رَمضَانَ عِنْدَ الإِفْطَارِ أَلْفَ أَلْفَ عَتِيقٍ مِن النَّارِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمْعَةِ أَعْتَقَ اللَّهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْهَا أَلْفَ أَلْفَ عَتِيقٍ مِن النَّارِ، كُلُّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبَ العَذَابَ. فَإِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَعْتَقَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ بَعَدَدِ مَا أَعْتَقَ مِنْ أَوْلِ الشَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ**»[٢] أخرجه سلمةُ ابنُ شبيب وغيرُه.

ورَوى البزّارُ عن أبي سعيد مرفوعًا: «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عُتَقَاءَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ** - يَعْنِي: فِي رَمَضَانَ - **وَإِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً**»[٣].

وإنَّما كان يومُ الفطر من رمضان عيدًا لجميع الأمة؛ لأنه يعتق فيه أهل الكبائر من الصائمين من النَّار، فيلتحق فيه المذنبون بالأبرار، كما أنَّ يوم النحر هو العيدُ الأكبر؛ لأنَّ قبله يوم عرفة، وهو اليوم الَّذي لا يرى في يوم من أيام الدّنيا، أكثر عتقاء من النَّار منه، فمن أعتق من النَّار في اليومين، فله يومُ عيد، ومن فاته العتقُ في اليومين، فله يومُ وعيد.

---

(١) كما ورد في حديث سلمان وقد سبق تخريجه في صفحة (٣١).

(٢) أخرجه الفاكهي في اخبار مكة برقم (١٥٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٧٦) برقم (٣٤٢١) وقال العلامة الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب برقم (٥٩٤): «موضوع».

(٣) أخرجه البزار برقم (٩٦٢) كما في كشف الاستار، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٤٣) برقم (٤٧٩٣): «رواه البزار وفيه أبان ابن أبي عياش وهو ضعيف» وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٤٢) برقم (١٠٠٢): «صححه لغيره».

لما كانت المغفرةُ والعتقُ كلٌّ منهما مرتبٌ، على صيام رمضان وقيامه، أمر اللَّهُ سبحانه عند إكمال العدة بتكبيره وشكره، فقال: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥] فشكْرُ من أنعم على عباده بتوفيقهم للصِّيام والقيام، وإعانتهم عليه، ومغفرته لهم وعتقهم من النار؛ أن يذكروه ويشكروه، ويتَّقوه حقَّ تقاته.

يا من أعتقهُ مولاهُ من النَّار، إيَّاك أن تعودَ بعد أن صرت حرًّا، إلى رقِّ الأوزار، أيبعدُك مولاك من النَّار، وأنت تقربُ منها؟ وينقذُك منها، وأنت توقعُ نفسك فيها، ولا تحيدُ عنها؟ إن كانت الرحمةُ للمحسنين، فالمسيءُ لا ييأس منها، وإن تكن المغفرة للمتقين، فالظالم لنفسه غيرُ محجوب عنها.

إن كانَ لا يرجوكَ إلا مُحسنٌ فمن الَّذي يرجوُ ويدعو المذنبُ؟

لم لا يُرجَى العفوُ من ربِّنا؟ وكيف لا يُطمع في حلمه؟

وفي الصحيح: «**أَنَّهُ تَعَالَى بِعَبْدِهِ أَرْحَمُ مِنْ أُمِّهِ**»(١) ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزُّمَر: ٥٣].

فيا أيُّها العاصي ـ وكلُّنا كذلك ـ لا تقنط من رحمة اللَّهِ لسوء أفْعالك، فكم في هذه الأيام من معتق من النَّار، من أمثالك؟ فأحسن الظن بمولاك وتب إليه، فإنَّه لا يهلك على اللَّهِ إلَّا هالك.

إذا أوجعتْك الذنوب فداوِها برفع يَدٍ باللَّيلِ واللَّيلُ مظلمُ
ولا تقنطن من رحمة اللَّهِ، إنَّما قنوطك منها من ذنوبك أعظمُ

---

(١) يشير بذلك لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ: «**لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**» أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٩)، ومسلم برقم (٢٧٥٤).

ينبغي لمن يرجو العتق في رمضان من النَّار أن يأتي بأسبابٍ توجبُ العتق من النَّار، كان أبو قلابةَ يُعتقُ في آخر الشهر جارية حسناء مزينةً، يرجو بعتقها العتق من النَّار.

وتقدَّم في حديث سلمان: «**مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا، كَانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ، وَعِتْقًا لِرَقَبَتِهِ مِنْ النَّارِ، وَمَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلُوكِهِ، كَانَ لَهُ عِتْقًا مِنْ النَّارِ**» وفيه: «**فَاسْتَكْثِرُوْا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَصْلَتَيْنِ تَرْضُوْنَ بِهِمَا رَبَّكُمْ، وَخَصْلَتَيْنِ لَا غِنَاءَ لَكُمْ عَنْهُمَا، فَأَمَّا الْخَصْلَتَانِ الَّتَانِ تُرْضُوْنَ بِهِمَا رَبَّكُمْ: فَشَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالاسْتِغْفَارُ؛ وَأَمَا اللَّتَانِ لَا غِنَاءَ لَكُمْ عَنْهُمَا: فَتَسْأَلُوْنَ اللَّهَ الجَنَّةَ وَتَسْتَعِيذُوْنَ بِهِ مِن النَّارِ**»[(١)]. فهذه الخصالُ كلٌ منها سببٌ للعتق والمغفرة.

فأمَّا كلمةُ التَّوحيد، فَإنَّها تهدم الذُّنوب وتمحوها، ولا تُبقي ذنبًا ولا يسبقُها عمل، وهي تعدلُ عتق الرِّقاب الَّذي يوجب العتق من النَّار، ومن أتى بها أربع مرات ـ حين يصبح وحين يمسي ـ أعتقه اللَّهُ من النَّار، ومن قالها مخلصًا من قلبه حرمه اللَّه على النَّار.

وأمَّا كلمة الاستغفار: فمن أعظم أسباب المغفرة، فإن الاستغفار دعاءٌ بالمغفرة، ودعاءُ الصائم مستجابٌ في حال صيامه وعند فطره.

قال الحسن: أكثروا من الاستغفار، فإنَّكم لا تدرُون متى تنزلُ الرَّحمةُ[(٢)] وقال لقمان لابنه: يَا بُنَيَّ عوِّد لسانك الاستغفار، فإنَّ لِلَّه

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٣١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة (ص ١٢٥) برقم (١٥٨) بلفظ: «**أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، أينما كنتم فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة**».

ساعاتٍ لا يردُ فيها سائلًا[١]؛ وفي الأثر إنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: أَهْلَكتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ، وَأَهْلَكُونِي بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالاسْتِغْفَارَ[٢].

والاستغفارُ: ختامُ الأعمال الصَّالحة كلِّها، فتختم به الصَّلاة والحجِّ وقيامُ اللَّيل، وتختم به المجالسُ، فإن كانت ذِكرًا، كان كالطابع عليها، وإن كانت لغوًا كان كفارةً لها؛ فكذلك ينبغي أن يُختم صيامُ رمضان بالاستغفار؛ وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى الأمصار: يأمرُهم بختم رمضان بالاستغفار، والصدقة، صدقةِ الفطر؛ فإنَّ صدقة الفطر طُهرةٌ للصَّائم من اللَّغو والرَّفث، والاستغفارُ يرقِّعُ ما تخرَّقَ من الصِّيَام باللَّغو والرَّفث.

قال عُمر بنُ عبدالعزيز في كتابه: قُولوا كما قال أبُوكم آدمُ عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] وقولوا كما قال نوحٌ عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧] وقولوا كما قال موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦] وقولوا كما قال ذو النون عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧][٣].

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول برقم (٩٧٢)، وابن أبي الدنيا في كتاب التوبة برقم (١٥٩) وفي الزهد برقم (٤٠٦) وفي حسن الظن باللَّه برقم (١١٩) وفي كلام الليالي والأيام برقم (٤).

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١/ ١٢٣) برقم (١٣٦) عن أبي بكر عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**عليكم بلا إله إلا اللَّه والاستغفار، فأكثروا منهما، فإنَّ إبليس قال: أهلكت النَّاس بالذنوب فأهلكوني بلا إله إلا اللَّه والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، وهم يحسبون أنَّهم مهتدون**» قال: الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٥٠) برقم (١٧٥٧٤) وفيه عثمان بن مطر وهو ضعيف.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في المصنف برقم (٤٩٠٣) وابن أبي الدنيا في العقوبات برقم (٢٣)، وأبو نعيم في الحليه (٥/ ٣٠٤)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٩٠) برقم (٣٤٤٣).

الصِّيَامُ جُنَّةٌ من النَّار مَا لَمْ يُخْرِّقْهَا، والكلام السَّيِّءُ يخرِّقُ هذه الجُنَّةَ، والاستغفارُ يُرقِّعُ مَا تخرَّق منها.

أمر النَّبِيُّ ﷺ عائشة ليلة القدر بسؤال العفو[١]؛ فإنَّ المؤمن يجتهدُ في شهر رمضان في صيامه وقيامه، فإذا قَرُبَ فراغَه وصادف ليلة القدر لم يسأل اللَّه إلَّا العفو، كالمسيء المقصِّر.

قال يحيى بنُ معاذ: ليس بعارفٍ من لم يكن غايةُ أمله من اللَّهِ العفو[٢]، من استغفر بلسانه وقلبُه على المعصية معقود، وعزمُه أن يرجع إلى المعصية بعد الشهر ويعود، فصومُه عليه مردود، وبابُ القبولِ في وجهه مسدود.

قال كعبٌ: من صامَ رمضانَ، وهو يحدِّث نفسهُ إذا أَفطر بعد رمضان: عصى ربَّه، فصيامُه عليه مردُود. ومن صامَ رمضان، وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان أن لا يعصي اللَّه: دخل الجنَّة بغير حساب ولا مسألة.

وأمَّا سؤالُ الجنَّةِ والاستعاذةُ من النَّار فمن أهمِّ الدُّعاءِ، قال ﷺ: «**حَوْلَهَا نُدَنْدِن**»[٣].

فالصَّائمُ يُرجى استجابة دعائه، فينبَغي أن لا يدعو إلَّا بأهمِّ الأمور.

وفي الحديث: «**تَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مَنْ**

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٣٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة (٤/ ٩٣) طبعة دار المعرفة وفي طبعة دار الحديث (٢/ ٢٩٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد برقم (١٥٨٩٥)، وأبو داود برقم (٧٩٢)، وابن ماجه برقم (٩١٠) وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

رَحْمَتِهِ، يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»[١] فمن أصابته سعدَ سعادة لا يشقى بعدها أبدًا.

فإنَّ أعظمَ نفحاته: مصادفةُ ساعة إجابةٍ، يسأل العبدُ فيها الجنَّة والنجاةَ من النَّار، فيجابُ سُؤالهُ، فيفوزُ بسعادة الأبد، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥].

ليس السعيد الَّذي دنياه تُسعِدُه إنَّ السَّعيدَ الَّذي ينجُو من النَّار

عبادَ اللَّهِ، شَهرُ رمضانَ قد عزم على الرَّحيل، ولم يبق منه إلَّا القليل، فمن كان منكم أحسن فعليه بالتَّمام، ومن كان فرَّط فليختمه بالحسنى، فالعملُ بالختام، فاغتنموا منه ما بقي، وودِّعوهُ بأزكى تحيةٍ وسلام.

قُلوبُ المتَّقين إلى هذا الشَّهر تحِنُّ، ومن ألم فراقه تَئنُّ، إذا كان هذا جزعُ من ربح فيه، فكيف بمن خسر في أيامه ولياليه؟ ماذا ينفعُ المفرِّطُ فيه بكاؤه، وقد عظمتْ فيه مصيبتُه وجلَّ عزاؤه؟

كم نُصِحَ المسكينُ فما قبلَ النُّصحَ، كَم دُعيَ إلى المصالحة فما أجاب إلى الصُّلح؟ كما شاهد الواصلين فيه، وهو متباعدٌ، كم مرَّت به زُمرُ السائرين وهو قاعد؟ حتى إذا ضاق به الوقتُ، وحاقَ به المقتُ، ندِمَ على التفريط حين لا ينفعُ النَّدم.

فنفسَك لُمْ، ولا تَلُمِ المطايا ومُتْ كَمَدًا، فليس لك اعتذارُ

شهرَ رمضانَ ترفَّق، دموعُ المحبين تدَفَّق، قُلوبُهم من ألم الفراق تشقَّق، عسَى وقفةٌ للوداعِ تُطفي من نار الشَّوق ما أَحرَقَ، عسَى

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٧٢٠) وفي الدعاء برقم (٢٦)، والبيهقي في شرح السنة برقم (١٣٧٨) وقال: «غريب من حديث أنس رضي الله عنه» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢١) برقم (١٧٧١٤): رواه الطبراني وإسناده رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى بن إياس بن البكير وهو ثقه».

ساعةُ توبةٍ وإقلاعٍ ترفو من الصِّيام كلَّ ما تخرَّق، عسَى مُنقَطعٌ عن رَكب المقبولين يَلْحق، عسى أسيْرُ الأوزارِ يُطلَق، عسَى مَنْ استوجبَ النَّار يُعتق.

عسَى وعسَى مِن قَبلِ وقتِ التَّفرقِ إلى كُلِّ مَا نَرجُو مِنَ الْخَيْرِ نَرْتَقِي
فيُجبرُ مَكسورٌ، ويُقبل تَائبٌ ويُعتَقُ خَطّاءٌ، ويُسعَدُ مَنْ شَقِي

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

من المعلوم أنَّ شهر الصِّيام والقيام، هو شهر رمضان، وهو من نعم اللَّهِ على عباده، جعله سبحانه ميدانًا لهم، يتسابقون فيه إلى الطَّاعات، يتردد عليهم ويتكرر مرة كلَّ عام رحمةً من اللَّهِ، ليتوبوا إليه وليستكثروا من الصَّالحات، ويحاسبوا أنفسهم ويجاهدوها لِلَّهِ، وهو شهر المجاهدة، وشهر الصِّيام، وشهر القيام، وشهر المسابقة إلى كلِّ خير، وشهر المساعدة للمحاويج والمساكين، وشهر الاستكثار من الاستغفار، وأسباب العتق من النَّار، هو شهر عظيم تكثر فيه أسباب المغفرة، وأسباب الفوز بالجنَّة والنَّجاة من النَّار.

فينبغي للمؤمن أن يعرف لهذا الشَّهر قدره، بالجدِّ والاجتهاد، والمسارعة إلى الخيرات، وأن يختمه بأحسن ما يستطيع من أعمال الصَّالحات، وذلك بالإكثار من قول لا إله إلَّا اللَّهُ، هذه كلمة عظيمة كلمة التَّوحيد، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مِرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**»[(١)].

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٤)، ومسلم برقم (٢٦٩٣).

ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ** [يعني: يعتقها]، **وَكُتِبَ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ**»[(١)]؛ ومن قالها صباحًا ومساءً عشر مراتٍ غفر له، من قال: هذه الكلمة العظيمة، ومن أتى بها عن توحيد وعن صدق وإخلاص محا اللَّه بها سيئاته، وهي كلمة التَّوحيد كلمة العتق من النَّار، من قال: لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له صدقًا من قلبه وإخلاصًا من قلبه، وتوبة صادقة محا اللَّه بها كفره وسيئاته، وسائر أعماله السَّيئة، وكانت سببًا لعتقه من النَّار.

والشَّهادتان: شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ، أعظم واجب وأعظم فريضة، والشَّهادتان: من أسباب العتق من النَّار، ومن أسباب تكفير السَّيئات لمن صدق فيها، وأتى بها عن توبة وعن صدق وعن إخلاص، فإنَّ اللَّهَ يتوب بها عليه من جميع سيِّئاته، وإذا مات عليها صادقًا مُخلصًا دخل بها الجنَّة وأنجاه اللَّهُ بها من النَّار، وكم من شهيد أسلم، ثُمَّ قتل في الحال، ودخل بها الجنَّة؛ لأنَّه قالها عن صدقٍ وعن إخلاصٍ وعن توبةٍ وعن ندمٍ، فغفر اللَّهُ بها سيِّئاته كُلَّها من كفر ومعاصي، ودخل بها الجنَّة.

قال اللَّهُ جلَّ وعلا: ﴿**وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ**

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٣)، ومسلم برقم (٢٦٩١).

مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[آل عمران: ١٣٥-١٣٦]
هذا جزاء من استغفر ربَّه وأتى بالتوحيد عن إقلاع، وعن ندم وعن توبة من غير إصرار؛ بل يأتي بالتَّوبة والتَّوحيد، عن إخلاصٍ وعن صدقٍ وعن ندمٍ على ما مضى من الذُّنوب، وعن عزم صادق ألا يعود فيها، فإنَّ اللَّهَ يغفر بها سيِّئاته من كفر وغيره؛ ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟﴾ الإصرار الإقامة(١).

أمَّا أتى التَّوبة باللِّسان وقلبه مقيمٌ على المعاصي، فهذه ليس بتوبة؛ بل هو على خطر عظيم إلَّا أن يعفوَ اللَّهُ عنه، واللَّهُ جلَّ وعلا يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] من أتى بالتَّوحيد ولكن عنده إصرارٌ على المعاصي، فهو تحت مشيئة اللَّهِ، إذا مات على ذلك إن شاء اللَّهُ غفر له بأعماله الصَّالحة، أو بشفاعة الشفعاءِ، أو بمصائب أصابته من أمراض وغيرها، أو لأسباب أخرى غَفر اللَّهُ بها سيِّئاته، وإن لم يكن له أسباب توجب المغفرة، فهو تحت مشيئة اللَّهِ قد يَعف اللَّهُ عنه فضلًا منه ﷻ لتّوحيده وإيمانه، وقد يُعذَّب في النَّار على قدر المعاصي الَّتي مات عليها، ثُمَّ يخرجه اللَّهُ من النَّار، لا يخلد في النَّار إلَّا الكُفَّار، أمَّا العاصي فلا يُخلد لو دخلها عُذِّب بقدر المعاصي، لو دخلها بالزنا أو بالسرقة أو بالظُّلم أو بالرِّبا أو بالعقوق لا يخلد فيها، ما دام موحداً مسلماً؛ لكن يُعذَّب على قدر المعاصي الَّتي مات عليها، ثُمَّ يُخرجه اللَّهُ من النَّار، فالعصاة من الموحدين يُخرجهم اللَّهُ من النَّار، وقد امتحشوا واحترقوا، فيلقون في نهر

(١) ينظر: تفسير الطبراني (٦/ ٦٥).

الحياة، فينبتون، كما تنبت الحبَّة في حميل السيل[(١)].

واللَّهُ جلَّ وعلا يُشفِّعُ أنبياءَهُ في العصاة، ويشفِّعُ نبيَّه محمَّد ﷺ في العصاة، وَيُشفِّعُ الأولياء المؤمنين في العصاة، ويَشفِّعُ ﷺ عدة بالشفاعات، في العصاة الَّذين دخلوا النَّار، فيخرجهم اللَّهُ منها جَمًّا غفيرًا وبشفاعته ﷺ، **يَحِدُّ اللَّهُ لَهُ حَدًّا فَيُخْرِجُهُمْ، ثُمَّ يَشْفَعَ فَيَحِدُ اللَّهُ لَهُ حَدًّا فَيُخْرِجُهُمْ، ثُمَّ يَشْفَعُ فَيَحِدُ اللَّهُ لَهُ حَدًّا فَيُخْرِجُهُمْ، ثُمَّ يَشْفَعْ فَيَحِدُ اللَّهُ لَهُ حَدًّا**[(٢)] وهكذا الأنبياء والصَّالحون والملائكة والأفراط[(٣)] كُلُّهم له شفاعة[(٤)]، ولا يُخلد في النَّار أبد الآباد إلَّا من مات على كفره باللَّهِ والعياذ باللَّهِ، هذا مُخلد في النَّار، كما قال جلَّ وعلا: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] وقال ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٧] هذه حال الكفرة نسأل اللَّه العافية.

المقصود: أنَّ هذا الشَّهر، هو شهر الصِّيام، وشهر القيام،

---

(١) جاء هذا اللَّفظ في حديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢).
وأخرجاه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم برقم (١٨٣).

(٢) هذا المعنى ورد في حديث الشَّفاعة المتفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٥)، ومسلم برقم (١٩٣).

(٣) الأفراط: جمع فرط، وهو من مات، وهو صغير دون بلوغ سنِّ التَّكليف والفَرَطُ: التَّقدم يقال: فرط يفرط فرطًا: إذا تقدم وسبق. ينظر النِّهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة: [فرط] (ص٧٠١) حرف الفاء باب الرَّاء.

(٤) كلام الشيخ هنا مأخوذ من عدة أحاديث منها من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (٦٥١٥)، ومسلم برقم (١٩٣).

وشهر المغفرة، وشهر العتق من النَّار، وشهر مضاعفة الأجور، فأنت يا عبد اللَّهِ لا تيأس اجتهد في الخيرات، وأحسن ظنك بربك وأعرف أنَّ ربَّك جوَّاد كريمٌ يُعطي الجزيلَ، ويغفرُ الذَّنب العظيمَ، فأصدق في توبتك، وأصدق في استغفارك، فهذه أيام الاستغفار تزال فيها الذُّنوب، فالصَّبر والصِّدق والصَّدقة والنفقة في الخير، والاستغفار وعتق الرقبة، كلّ ذلك من أسباب المغفرة، ومن أسباب النَّجاة من النَّار، فعليك بالجدِّ والاجتهاد في الاستغفار في آخر اللَّيل، وفي أدبار الصَّلوات، وعقب انتهاء الحَجِّ، وفي كلِّ وقت، أكثر من الاستغفار، اللَّهُ جلَّ وعلا يقول: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هُود: ٣] ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: ١٠٦].

وهو سبحانه يُحِبُّ من عباده أن يستغفروه، ويضَّرعوا إليه، ويلجئوا إليه، وينكسروا بين يديه ﷻ، ثُمَّ أكثر من كلمة التَّوحيد لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، أكثر منها في اللَّيل والنَّهار، وفي الطريق، وفي البيت في محل العمل، وأنت تعمل، وأنت في السيَّارة، أكثر من ذكر لا إله إلَّا اللَّه، ومن الاستغفار، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ**»[(١)]، ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَةَ إِلَّا بِاللَّهِ**»[(٢)]، ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ**

(١) أخرجه مسلم من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه برقم (٢١٣٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في حديث عثمان بن غفان رضي الله عنه برقم (٥١٣) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه برقم (١١٧١٣) وقال محققو المسند: «حسن لغيره».

وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»[(١)] أخرجه مسلم في الصحيح.

ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**»[(٢)] متفق على صحته.

ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مِرَار كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**»[(٣)]، وفي اللَّفظ الآخر: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[(٤)]، وفي اللَّفظ الآخر: «**يُحْيِي وَيُمِيتَ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**»[(٥)].

فأكثر ـ يا عبَداللَّهِ ـ من هذه الكلمة العظيمة، التي إذا قالها الإنسان مئة مرة، صارت تعدل عشر رقاب يعتقها، ويكتب اللَّه له بها مئة حسنة، ويمحى عنه بها مئة سيئة، وكان في حرز من الشيطان

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٢٦٩٥).
(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٦)، ومسلم برقم (٢٦٩٤).
(٣) سبق تخريجه في صفحة (٢٠٠).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٢٩٣)، ومسلم برقم (٢٩٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) أخرجه الترمذي برقم (٣٤٢٨) وقال: «غريب» وبرقم (٣٤٢٩) وقال: «عمرو بن دينار هذا هو شيخ بصرى وقد تكلم فيه بعض أهل الحديث من غير هذا الوجه»، وابن ماجه برقم (٢٢٣٥) وضعفه العلامة الألباني بهذه السياقة في الضعيفة برقم (٥١٢٨) وقال: «ضعيف جداً».

يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلَّا رجل عمل أكثر منه.

وهكذا الصَّلاة أكثر منها، في اللَّيل وفي الضَّحى وفي الظَّهر أكثر من صلاة النافلة، هكذا الصَّدقة على الفقراء ولو بالقليل، هذا ريال، وهذا عشرة، وهذا خمسة، وهذا مئة، على حسب ما تيسر، هذا تمرة وهذا تمرتين كما في الحديث: «**اتقوا النَّار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**»(١)، **ويقول جلَّ وعلا**: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٤] فضل عظيم: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٧١] ويقول النبي ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ** ـ وذكر منهم رَجُلًا تصدَّق بصدقة، فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجلًا ذكر اللَّهَ خاليًا ففاضت عيناه ـ، **هم سبعة إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ** ـ يعني ترك الزِّنا خوفًا من اللَّهِ ـ، **وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤١٧)، ومسلم برقم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري برقم (٦٦٠)، ومسلم برقم (١٠٣١).

وفي الصحيحين[١]: أَنَّ ثَلَاثَةَ مِنَ النَّاسِ مِمَّنَ قَبْلَنَا أَوَاهُمْ المَبِيتُ في اللَّيْلِ، إِلَى غَارِ الغار، يتَّقون المطر، ليبيتوا ويستريحوا، فانحدرت صخرة من ظهر الجبل، سدت عليهم الغار، آية من اللَّهِ، وحكمة؛ ليبيِّن لعباده فضل الأعمال الَّتي ذكروها، انحدرت صخرة سدت عليهم الغار، فلم يستطيعوا دفعها، وهم ثلاثة، قالوا فيما بينهم: إنَّه لاينجيكم من هذه الصخرة إلَّا أن تسألوا اللَّهَ بصالح أعمالكم، يعني: يَسألوا اللَّهَ ويتوسَّلوا بصالح أعمالهم، فقال أحدهم: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا**»، أغبق[٢]، يعني: أسقي اللَّبن، الغبق عند البدو ما كان في أول اللَّيل يحلبون يشربون، وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا، فنأى بي طلب الشَّجر ذات ليلة، فتأخر عليهما، فلما جاء باللَّبن إذاهما قد ناما، فكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاربون بين رجلي يريدون اللَّبن، وكرهت أن أسقي قبلهما أحدًا، من كمال بره لوالديه ما استطاع أن يسقي أولاده ولا أهله من هذا اللَّبن، فوقف عندهما والقدح على يديه ينتظر، فلما استيقظا سقاهما، اللَّهم إن كنت تعلم أَني فعلت هذا ابتغاء وجهك ففرج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصَّخرة بعض الشَّيء أجاب اللَّهُ دعوته فانفرجت الصخرة، ففي هذا بيان فضل البر.

ثم قال الثَّاني: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي امْرَأَةُ بِنْتُ عَمٍ وَكُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ لِلنِّسَاءِ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا**». أرادها للزِّنا

(١) متفق عليه من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري برقم (٢٢٧٢)، ومسلم برقم (٢٧٤٣)، ولفظه: «**انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ...**» الحديث.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/ ٣٤١).

فأبت عليه وامتنعت فألمت بها سِنةٌ حاجة وجدب، فجاءت إليَّ قالت: يا ابن عم أنا محتاجة تصدق عليَّ، فقال: «لا، إلَّا أن تمكنيني من نفسك»، إلَّا أن تسمحي لي بالزِّنا بك، ومن شدَّة الحاجة سمحت له وأعطاها مئة وعشرين دينارًا، فلما جلس بين رجليها، وهي ليست راضية لكن الضَّرورة، قالت: «**اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُفِضْ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ**»، يعني: بما أحلَّ اللَّهُ لك، وهوُ بالزَّواج، اتَّق اللَّهُ ولا تفض الخاتم إلَّا بحقِّه، فارتعد من هذا وخاف وقام، ولم يزنِ بها وترك لها الذَّهب الَّذي أعطاها إليها، «**اللَّهُمَّ إِن كُنْتَ تَعْلَمُ أَنيِّ فَعَلْتُ هَذَا ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ**»، فانفرجت الصخرة شيئًا زيادة، لكن ما يستطيعوا الخروج حتَّى يَتُمِمَّ اللَّه مراده ﷻ.

ثم قال الثَّالث: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ أَجِيرٍ أَجْرَه**»، يعني: عنده عمال لهم أجور من رز أو من ذرة، أجور أصواع، فأعطى كلّ إنسان أجره من العمال، بقي واحد ما أعطاه أجره، ليس بحاضر، ثَمَّرَهُ لَهُ، ونماه له، واشترى منه عبيدًا وإبلًا وبقرًا وغنمًا، فلما مضى مدة جاء الرَّجل، قال: يا عبد اللَّه أعطني مالي أجري الَّذي عندك، قال: يا عبدَ اللَّهِ كُلّ ما تجده مالك الإبل والبقر والغنم والعبيد، كلّها من أجرك الَّذي عندي قال: يا عبدَ اللَّهِ لاتستهزئ بي، قال: إني لا استهزئ بك هذا مالك نميته لك وثمَّرته، فساقه كلّه، ساق الإبل والبقر والغنم والعبيد من تلك الأصواع التي نماها له، «**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلَتُ هَذَا ابْتَغِاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجُ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ**»، فانفرجت الصخرة وخرجوا.

هذه آيات اللَّهُ ومن أصحِّ الأحاديث في الصَّحيحين، عمَّن قبلنا

خَبَّر النَّبِيُّ أمَّته بها؛ ليستفيدوا من هذا الخبر حتى يعرفوا فضل بر الوالدين، ويعرفوا فضل العفة عن الزِّنَا، وما فيه من الخير العظيم، ولاسيما مع القدرة عليه إذا عفَّ عن الزِّنا وهو قادر، له أجر عظيم، وفضل أداء الأمانة وتنميتها، والحرص على نفع النَّاس، ونفع الفقير ونفع الأجير وتنمية نصيبه، وأنَّها من أسباب تفريج الكربة، برِّ الوالدين والعفة عن الفواحش، وأداء الأمانات من أسباب تفريج الكروب، من أسباب تيسير الأمور، من أسباب رضا اللَّهِ، ومن أسباب دخول الجنَّة والنَّجاة من النَّار.

فهكذا هذا الشَّهر العظيم شهر رمضان، الأعمال الصَّالحات فيه والصَّدقات والنَّفقات والتَّسبيح والتَّهليل والتَّحميد والتَّكبير، وقراءة القرآن كلُّها من أسباب المغفرة، وكلُّها من أسباب العتق من النَّار، وهكذا في شوَّال، وفي ذي القعدة، وفي ذي الحج، وفي كلِّ وقت، هذه الأعمال الصَّالحات كلُّها من أسباب المغفرة في أي: وقتٍ، وفي أي: مكان كنت، ولو في بطن صخرة، هذه الأسباب كلُّها من أسباب المغفرة، والعتق من النَّار فاستكثر منها أينما كنت، في البرِّ والبحر، وفي السَّيارة، وفي الباخرة، وفي الطَّائرة، وفي البيت على الفراش، وفي كلِّ مكان، احرص على هذه الأشياء، افعل منها ما تستطيع من الذِّكر، والاستغفار والتَّسبيح والتَّهليل والتَّحميد والتَّكبير، والصَّدقات والإنفاق في وجوه الخير، وقراءة القرآن بالتَّدبر والتَّعقل، في أي وقت في كلِّ مكان ترجو ثوابَ اللَّهِ وتخشى عقاب اللَّه.

❀ ❀ ❀

الدرس الثالث
في فضل صيام ستة أيام من شوَّال

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

تتِمَّةٌ في صيام ستٍّ من شوَّال

عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**»(١) رواه مسلم.

وروى أحمدُ والنَّسائي عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ بِعَشَرَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامُ سَتَةِ أَيَامٍ بِشَهْرَيْنِ فَذَلِكَ صِيَامُ السَّنَةِ**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ بِسِتٍ مِنْ شَوّالَ، فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ**»(٣) رواه البزّار وغيره.

وروى الطبراني عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، وَأَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١١٦٤).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢٢٤١٢)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٢٨٧٣)، وقال محققو المسند: «حديث صحيح وهذا إسناد حسن من أجل ابن عياش».

(٣) أخرجه البزار برقم (٨٣٣٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٣) برقم (٥٠٩٩): «رواه البزار وله طرق رجال بعضها رجال الصحيح».

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٨٦٢٢) لم يرو هذا الحديث عن نافع إلا أبو عبداللَّه الحمصي تفرد به مسلمة بن علي، وقال العلامة الألباني في الضعيفة برقم (٥١٩٠): «موضوع».

آخره، والحمدُ لِلَّهِ ربِّ العَالمينَ، وصلَّى اللَّهُ على محمَّد وآله وصحبه وسلَّم.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

إنَّ من نِعمِ اللَّهِ العظيمة، أن شرع لعباده صيام رمضان وقيامه وجعله ميدانًا لعباد للمسابقة إلى الطاعات والمسارعة إلى الخيرات، ووعدهم سبحانه على هذا الخير الكثير والفضل العظيم، ووعدهم مغفرة ومضاعفة الأجر، والعتق من النَّار، وهذا من فضله سُبحانه وجوده وكرمه، وشرع لهم فيه أنواع العبادات، من قراءة القرآن، والتسبيح والتهليل والتكبير والاستغفار والدعاء، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى غير هذا من وجوه الخير، وإن كانت مشروعة في غير رمضان؛ لكن في رمضان يتأكد ذلك، وكان النَّبيُّ ﷺ يدارس جبرائيل القرآن في رمضان كلِّ ليلة[(١)]، قد قال اللَّهُ جلَّ وعلا: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ولم يبق من هذا الشَّهر إلَّا القليل.

فجديرٌ بالمؤمن أن يحرص على ختمه بأفضل ما يستطيع، من ذكر اللَّهِ واستغفاره والتَّوبة إليه ﷻ، وسؤاله جلَّ وعلا القبول والمغفرة، ويسأل ربَّه أن يُعيده عليه أعوامًا كثيرة في خير واستقامة وصلاح على الوجه الَّذي يرضيه ﷻ، وأن يتقبل منه هذا الشَّهر، وأن يجعله من أسباب المغفرة والعتق من النَّار، ومن كمال صيام هذا الشَّهر إتباعه بستٍ من شوَّال لقوله ﷺ قال: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**»[(٢)] أخرجه مسلم في الصحيح.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦)، ومسلم برقم (٢٣٠٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢١٠).

هذا من تمام الخير، ومن كمال هذا الخير، اتباعه بصيام ستٍ من شوَّال، إذا تيسر ذلك، ويشرع لك يا عبدَ اللَّهِ الصَّوم في جميع السَّنة، لا تنس الصَّوم فيه خير عظيم، ففي الحديث الذي رواه أحمد وغيره يقول النَّبِيُّ ﷺ لبعض الصحابة: «**عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ**»(١).

والصوم له شأن عظيم ففي الحديث الصحيح: «**الصَّوْمُ جُنَّةَ**»(٢) يعني: جُنَّة من النَّار، وكان النَّبِيُّ ﷺ يصوم الاثنين والخميس(٣)، وأمر بصيام ثلاثة أيام من كل شهر(٤)، وكان يصل في الصوم كثيرًا حتى يقال: لا يفطر،ويصل في الإفطار حتى يقال: لا يصوم(٥)، على حسب مشاغله وفراغه عليه الصلاة والسلام، هكذا أمَّته يشرع لهم التأسي به في الاستكثار من الصَّوم في بقيَّة السَّنة، وفي صوم الاثنين والخميس وفي صيام ثلاثة أيام من كل شهر، يرجونَ ما عند اللَّهِ من المثوبة.

وأفضل الصِّيام بعد رمضان صيام شهر اللَّه المحرم(٦) عاشورا، وأفضل الصِّيام التطوع في الجملة، صوم يوم وفطر يوم هذا أفضل

(١) أخرجه في المسند من حديث أبي أمامة برقم (٢٢١٤٠)، والنسائي برقم (٢٢٢٠، ٢٢٢١)، وابن خزيمة في كتاب الصوم، باب فضل الصيام برقم (١٨٩٣) قال: الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٢) برقم (٥٠٨٧) ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) سبق تخريجه في صفحة (١٠٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (١٩٧٦)، ومسلم برقم (١١٥٩) من حديث عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري برقم (١٩٦٥)، ومسلم برقم (١١٠٣).

(٦) رواه مسلم من حديث ابي قتادة رضي الله عنه برقم (١١٦٣).

التَّطوع، أن يصوم يومًا وأن يفطر يومًا، وهذا صوم داود عليه الصَّلاة السَّلام، كان يصوم نصف الدَّهر يصوم يومًا ويفطر يومًا قال عبداللَّهِ بن عمرو ﷺ لرسول اللَّهِ ﷺ: إني أريد أفضل من ذلك، فقال لعبداللَّه بن عمرو: «**لا أفضل من ذلك**»[(١)]، ليس هناك أفضل من شطر الدَّهر، يصوم يومًا ويفطر يومًا إذا تيسَّر له ذلك، أمَّا إذا شغله ذلك عن مهمات أخرى كطلب الرِّزق، فهذا لا يشرع له، لابدَّ أن يراعي حاجات أهله طلب الرِّزق، والتسَّبب، ولابدَّ أن يشغله ما هو أهم من طلب العلم والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والإنسان يتطوع بالتطوعات الَّتي لا تشغله عمَّا هو أهم منها.

وهذه الكفارات تقدَّم غير مرة أن المراد عند اجتناب الكبائر، فينبغي الحذر من الكبائر؛ لأنَّ اللَّهَ يقول سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النِّسَاء: ٣١] فجعل التكفير مشروطًا باجتناب الكبائر، وهذا يَعُم المؤمنين جميعًا، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ**» **وفي لفظ**: «**مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**»[(٢)]، دل على أن الكبائر تحتاج إلى توبة، وأنها من أسباب حرمان المغفرة لمن أَصَرَّ عليها.

والكبائر[(٣)]: هي المعاصي العظيمة الَّتي جاء فيها الوعيد بالنَّار، أو جاء فيها الوعيد بغضبِ اللَّهِ، أو باللَّعنة، أو فيها حدود كالزِّنا والسرقة والعقوق للولدين أو أحدهما، أو قطيعة الرَّحم والغيبة

(١) أخرجه البخاري برقم (١٩٧٦)، ومسلم برقم (١١٥٩).
(٢) أخرجهما مسلم برقم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٣) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (ص ٢٦١).

والنميمة، وأكل الرِّبا، وقذف المحصنات الغافلات، وأكل مال اليتيم إلى غير هذا من المعاصي الكبيرة، يجب الحذر منها لأنَّها معاصي، ويجب الحذر منها أيضًا؛ لأنها من أسباب حرمانك المغفرة، فجاهد نفسك يا عبدَ اللَّهِ في الحذر ممَّا حرَّم اللَّهُ عليك دقيقه وجليله، صغيره وكبيره، وحاسب هذه النَّفس وذكرها موقفها بين يدي اللَّهِ، وأنَّ اللَّهَ أباح لها ما يكفي، وشرع لها ما يكفي، ليس لها حاجة فيما نهى اللَّهُ عنه، وقد أباح اللَّهُ لها ما يكفي ويُغنيها عمَّا حرَّم اللَّهُ عليها.

وممَّا ينبغي أن يختم به هذا الشَّهر، العزم الصادق على طاعة اللَّهِ ورسوله، وأن تستمر في الخير بقيَّة زمانك، وعندك عزم وعندك قوة ونشاط على أن تستقيم على طاعة ربِّكَ، من صلاة وصدقات واستغفار ودعاء، وقراءة قرآن وغير ذلك، ويكون عندك العزم على جهاد نفسك على هذا الخير مع الحذر من جميع ما نهى اللَّهُ عنه.

وهكذا يجب الحذر من صحبة الأشرار، فإنَّ صحبة الأشرار شرها عظيم «**المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ**»[(١)]، فيجب عليك أن تحذر صحبة من لا يعينك على الخير، أو يجرك إلى الشر، واحرص على صحبة من يعينك على الخير ويثبتك ويشجعك، أمَّا من يثبطك عن الخير ويكسلك عنه، أو يدعوك إلى الشر فأحذر صحبته.

من يرجع إلى المعاصي بعد رمضان يخشى عليه؛ لأن هذا

(١) وتمامه: «**فَلْيَنظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**» أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٨٤١٧)، وأبو داود برقم (٤٨٣٣)، والترمذي برقم (٢٣٧٨) وقال: «هذا حديث حسن غريب وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة» برقم (٩٢٧).

علامة التساهل، وأنَّه غير صادق التوبة، فينبغي للمؤمن إذا منَّ اللَّه عليه بإكمال الشَّهر، أن يستقيم، وأن يستمر على الخير، وأن يحذر الشَّر والعودة إليه، فإنَّ العودة إلى الشر خطير، قد يكون سببًا لحبوط عمله، وعدم قبوله لا حول ولا قوة إلَّا باللَّهِ، نسأل اللَّه السَّلامة.

وفقَ اللَّهُ الجميعَ، وتقبَّل من الجميعِ، وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه.

❋ ❋ ❋

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة مؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية:	٥
ترجمة موجزة لصاحب الأصل ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ:	٧
ترجمة موجزة للمختصر ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ:	٩
ترجمة موجزة لسماحة الشيخ الشارح ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:	١١
مقدمة المؤلف ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ:	١٩
المجلس الأول:	
فضل شهر رمضان	
الدرس الأول: في التبشير بمجيء شهر رمضان:	٢٣
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:	٢٥
الدرس الثاني: في الخصال التي أعُطيتها الأمة في شهر رمضان:	٣٠
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:	٣٢
الدرس الثالث: في تهيئة الجنة لمن صام شهر رمضان:	٣٦
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:	٣٩
المجلس الثاني:	
في أجر الصيام وفوائده	
الدرس الأول: لا حد لمضاعفة أجر الصيام:	٤٥
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:	٤٨
الدرس الثاني: من أسباب مضاعفة الأجر شرف العامل:	٥٤
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:	٥٨
الدرس الثالث: من فوائد الصيام (تضييق مجاري الدم):	٦١
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:	٦٣

الموضوع — رقم الصفحة

الدرس الرابع: وجوب حفظ الجوارح في رمضان وغيره: ٦٧
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ٧٣
الدرس الخامس: في طبقات الصائمين: ٧٦
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ٨٠
الدرس السادس من فوائد الصيام طيب رائحة فم الصائم: ٨٤
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ٨٦

المجلس الثالث:
في فضل الجود رمضان وتلاوة القرآن

الدرس الأول: في الحث على الانفاق أو الصدقات الجود: ٩١
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ٩٥
الدرس الثاني: من فوائد مضاعفة جود النبي ﷺ في رمضان: ١٠٠
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ١٠٣
الدرس الثالث: مدارسة القرآن في ليالي رمضان والاجتماع له: ١٠٧
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ١١١

المجلس الرابع:
في صلاة التراويح وقيام ليالي شهر رمضان

الدرس الأول: فصل في سنة صلاة التراويح: ١١٧
فصل: ١١٧
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ١٢٠
الدرس الثاني: في اجتماع أنواع الجهاد في رمضان: ١٢٥
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ١٢٩
الدرس الثالث: فصل في فضل قيام رمضان: ١٣٢
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ١٣٧
الدرس الرابع: كلمة سماحة الشيخ بمناسبة انتصاف الشهر: ١٤١
الدرس الخامس: في فضل العشر الأوسط من شهر رمضان: ١٤٤
فصل في العشر الوسط: ١٤٤
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ١٤٨

الموضوع — رقم الصفحة

المجلس الخامس:
في فضل العشر الأواخر من رمضان
الدرس الأول: في فضل إحياء الليالي العشر الأواخر بالصلاة والاعتكاف: ١٥٣
فصل في فضل العشر الأواخر من رمضان: ١٥٣
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ١٥٨
الدرس الثاني: في التهيىء لليلة القدر بالغسل والتنظيف والتطيب: ١٦٠
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ١٦٤
الدرس الثالث: في فضل تحري ليلة القدر: ١٦٧
في السبع الأواخر من رمضان: ١٦٧
فصل في أرجى ليلة لها: ١٧٠
فصل في العمل في ليلة القدر: ١٧٢
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ١٧٤

المجلس السادس:
في وداع رمضان واتباعه بستٍ من شوال
الدرس الأول: في وداع رمضان: ١٨٣
فصل في وداع رمضان: ١٨٣
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ١٨٨
الدرس الثاني: في أسباب العتق من النار: ١٩٢
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ٢٠٠
الدرس الثالث: في فضل صيام ستة أيام من شوال: ٢١٠
تتمة في صيام ست من شوال: ٢١٠
شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ٢١١
فهرس الموضوعات: ٢١٧